التشيع في بلاد المغرب الإسلامي

حتى منتصف القرن الخامس الهجري

دكتور

محمد بركات البيلي

كلية الآداب - جامعة القاهرة

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

مطبعة جامعة القاهرة

والكتاب الجامعي

١٩٩٣

اهداء من

احمد رزق

نسألكم الدعاء

صدقة جارية عنه وعن والديه

التشيع فى بلاد المغرب الإسلامى

حتى منتصف القرن الخامس الهجرى

دكتور

محمد بركات البيلى

كلية الآداب - جامعة القاهرة

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

مطبعة جامعة القاهرة

والكتاب الجامعى

١٩٩٣

مقدمة

كانت بلاد المغرب جزء هاما من الجناح الغربي لعالم الاسلام في القرون الوسطى ، وكانت مقصدا لكثير من الثوار ورافعي راية العصيان على حكومة الخلافة المركزية لبعدها عن دار الخلافة ــ الأموية فالعباسية ــ من ناحية ، وتهيؤ أحوالها لانبات بذرة الثورة من ناحية أخرى .

واذا كان الخوارج والعلويون قد اتجهوا الى بلاد المغرب لتحقيق طموحاتهم السياسية فيها بعدما لاقوا المصاعب والهزائم في المشرق الاسلامي ، وتمكنوا فعلا من تحقيق بعض طموحاتهم هذه على أرض المغرب على النحو الذي تمثل في دويلات الخوارج : بنو رستم الاباضية في تاهرت وبنو مدرار الصفرية في سجلماسة من جهة ، ودولة الأدارسة العلويين في فاس من جهة أخرى ، فان الشيعة مالبثوا أن ساروا على ذات الطريق وتوجهوا الى بلاد المغرب ليحققوا على أرضها طموحاتهم السياسية في اقامة دولة شيعية .

واذا كان التشيع الاسماعيلي خاصة هو الذي نفذ الى بلاد المغرب فان أهالي المغرب لم يكونوا مهيأين لاعتناق التشيع الاسماعيلي بعد أن تمكنت السنة من نفوسهم ــ خاصة المذهب المالكي ــ فلم تترك للفرق الأخرى الا مساحات ضيقة على الساحة المغربية لتحقق بعض النجاحات المحدودة ــ كالتي حققها الخوارج ــ والتي اتسمت مع محدوديتها بعزلتها وقلة تأثيرها ــ نسبيا ــ في المجتمع المغربي .

أحرز التشيع المستور نجاحا أول الأمر على يد أبي عبد الله الشيعي الذي حرص أول دعوته على اخفاء مقاصده الشيعية وكان للاخفاء والتمويه الذي انتهجه أكبر الأثر في تحقيق نجاحه السياسي واقامة دولة ما لبثت أن كشفت عن حقيقة هويتها الشيعية فلقيت منذ الوهلة الأولى معارضة سنية

قوية جعلت العبيديين أصحاب هذه الدولة لا يشعرون بالاستقرار على الساحة المغربية وتطلعوا ـ منذ خليفتهم الأول ـ الى مصر يأملون أن يستولوا عليها لينقلوا اليها قاعدة دولتهم وحاضرتها • واذا كانوا قد نجحوا فى تحقيق ذلك فى عهد خليفتهم الرابع ـ المعز لدين الله ـ فقد خفف انتقال العبيديين الى مصر قبضة التسلط السياسى الشيعى عن أهل المغرب فقاموا يطرحون عن ظهورهم عباءة التشيع التى أجبروا على الدخول تحتها قهرا وعنوة وتمكن أهل المغرب ـ من القاء عباءة التشيع هذه ورفعوا من جديد راية التسنن عالية •

والكتاب الذى أقدمه بين يدى القارىء يستعرض تاريخ التشيع فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، حتى طويت صفحة التشيع من كتاب التاريخ المغربى ، كما يستعرض موقف المغاربة من هذا التشيع ومدى قبولهم أو رفضهم اياه ابان وجوده بينهم أو تقلصه وانحساره عنهم •

ولما كان التشيع الذى نفذ الى بلاد المغرب اسماعيليا على وجه الخصوص ، ولما كان انتساب الأسرة العبيدية الى البيت العلوى واتخاذهم اسم الفواطم أحد قواعد هذا التشيع الاسماعيلى فقد رأيت من المناسب أن تتناول قضية النسب العبيدى وتتبين صحته أو كذبه من خلال الكتب الاسماعيلية ذاتها فمن الانصاف ألا ننساق وراء الروايات المعادية وأن نتعرف على حقيقة الدعوى من أصحابها • ونترك للقارىء أن يستخلص بنفسه رأيا مقنعا من خلال استعراضنا لأقوال الاسماعيلية وكتاباتهم •

وبعد ، فقد أردت من خلال هذا الكتاب أن أعرض للحقائق التاريخية فى حيدة وموضوعية وطرحت جانبا ـ قدر طاقتى ـ كل ما من شأنه أن يخل بهذه الحيدة والموضوعية آملا فى أن أقدم للقارىء الكريم تاريخا حقيقيا •

والله من وراء القصد •• وبالله وحده التوفيق ••

د• محمد بركات البيلى

ميت عساس / سمنود / ١٩٦٣/٦/١

فاطميون أم عبيـــديون

قراءة تاريخية للنسب العبيدى فى المصادر الاسماعيلية

فاطميون أم عبيديون ؟ ! قضية خطيرة مطروحة منذ وقت طويل — ولا تزال — عن نسب الأسرة الشيعية التى حكمت ردحا طويلا من الزمن فى المغرب الاسلامى ومصر — وغيرهما — باسم الفواطم (١) وانتهى حكمها فى القاهرة على يد صلاح الدين الأيوبى فى المحرم سنة ٥٦٧ هـ .

واذا كان السؤال الرئيسى — على حد قول ايفانوف — فى هذه القضية عما اذا كان عبيد الله المهدى(*) — أول خلفائهم فى افريقية — من سلالة النبى — صلى الله عليه وسلم — أم من غيرها (٢) فان الاجابة على هذا السؤال غير قاطعة حتى الآن ولا يزال نسب تلك الأسرة مثار خلاف شديد بين الدارسين من المسلمين وغير المسلمين ، ولم يقطع القول فيه أحد من القدامى أو المحدثين وانما وقف الدارسون منه موقفين متقابلين : منهم من يقر بصحة انتساب تلك الأسرة الشيعية الى البيت العلوى ويرى أنهم فاطميون يصح انتسابهم الى فاطمة الزهراء بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومنهم من يدحض صحة ذلك النسب العلوى ويرى أن تلك الأسرة دعية فى انتسابها الى على وفاطمة ولا يعدو نسبها كونها عبيدية نسبة الى عبيد الله المهدى (٣) .

وعلى الرغم من شبهة اصدار أحكام مسبقة فاننا نرى أن تسميتهم بالعبيديين أكثر صحة ودقة من تسميتهم بالفاطميين وذلك لاعتبارين هامين هما :

---

(١) يرى صديقى د. ايمن فؤاد سيد (الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٤) أن مصطلح الفاطميين لايوجد فى المصادر الاسماعيلية والفاطمية وان كتب الدعوة تطلق على الدعوة اسم الدعوة الهادية او دعوة الحق غير أنه أورد فى الكتاب نفسه (ص ٤٢) نصا من تحفة القلوب للحامدى — وهو من كتب الدعوة — جاء فيه أن الامر بأحكام الله الفاطمى وصف اليمن بأنها « ... لم تخل من أبناء الدعوة الفاطمية » .

* الاسم الحقيقى للمهدى عبد الله لكن الشائع عبيد الله .

(٢) Ivanow Ismaili Tradition Concerning the Rise of The Fatimids, Calcutta, 1942. p. xviii.

(٣) يقول ابن خلكان (وفيات الاعيان ، جـ ٢ ص ٣٠٣) « ولأصل نسبتهم اليه يقال لهم العبيديون . هكذا النسب الى عبيد الله » .

١ — ان العبيدين — اذا صح نسبهم العلوى — ليسوا وحدهم الفواطم حتى يستأثروا بلقب الفاطميين دون غيرهم وانما يشاركهم فى الانتساب لفاطمة الزهراء — رضى الله عنها — فروع علوية أخرى من الحسنيين والحسينيين ولم تكن كل هذه الفروع على وفاق معهم بل كان منهم من لا يرضى بأن ينفرد العبيديون من دونهم باسم الفواطم ليصبح علما عليهم وحدهم دون سائر الحسنيين والحسينيين (٤) .

٢ — اذا كان انتساب العبيدين الى البيت العلوى لا يزال مثار خلاف ولم يقطع القول فيه حتى الآن بل يختلف الرأى فيه بين مؤيد ومكذب ، فان نسبهم العبيدى ثابت مؤكد لا شبهة ولا جدال فيه ومن ثم فان الأخذ بالقول الثابت المؤكد أولى وأصح من الأخذ بالقول المحتمل المشكوك فيه ومعنى ذلك أن تسميتهم بالعبيديين أولى وأصح من تسميتهم بالفاطميين (٥) على الأقل الى أن تتأكد صحة انتسابهم الى البيت العلوى .

لا ريب أن محاولة حسم قضية النسب العبيدى تكتنفها كثير من الصعوبات فالمصادر لا تقف ازاء هذه القضية فى خندق واحد وانما هى متباينة الهويات والأهواء والآراء فى هذا الصدد . فالمصادر السنية — على تنوعها بين كتب للتاريخ والأنساب والفرق — ليست على اتفاق تام بشأن قضية النسب العبيدى ، فمنها من ينكر صحة انتساب العبيدين

---

(٤) يطلق كثير من النسابة العلويين اسم الفواطم على فروع علوية عديدة — غير العبيديين — فعلى سبيل المثال ، يذكر تاج الدين الحسينى (غاية الاختصار فى البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، ص ١٥٢) ان « ... الفواطم بمصر وكلهم ينتمون فى الحسين الاصغر بن على زين العابدين » كما يذكر الرفاعى (صحيح الاخبار عن الفاطمية الاخيار ، ص ٣٠) ان « الحسين الاصغر اعقب من خمسة رجال ... منهم الفواطم بمصر ، كان منهم العلامة النسابة الطاهر حيدرة الفاطمى » ومن الواضح أن اولاد الحسين الاصغر فرع علوى آخر غير اولاد محمد الباقر الذى يرفع العبيديون نسبهم اليه .

(٥) من الملاحظ ان ابن خلدون يؤيد صحة انتساب العبيديين الى البيت العلوى لكنه يسمى دولتهم العبيدية وليست الفاطمية .

الى البيت العلوى (٦) ومنها من يؤيد صحة هذا النسب ويعيب على المنكرين له موقفهم منه (٧) وقد لاحظ برنارد لويس أن المصادر السنية المبكرة كانت قليلة المعلومات عن عقائد الاسماعيلية لكنها لم تشك فى صحة انتساب العبيديين للفواطم ثم بدأت المصادر السنية حوالى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى — خاصة منذ كتابات ابن رزام الكوفى — تتوسع فى معلوماتها عن الاسماعيلية وظهر فيها اسم ميمون القداح وابنه عبد الله وتحدثت عن دورهما فى الحركة الاسماعيلية من جهة ومن جهة أخرى بدأ التشكيك فى صحة انتساب الخلفاء العبيديين للبيت العلوى يدب فى تلك المصادر السنية ويتطرق اليها (٨) .

وقد لا تخلو ملاحظات لويس هذه من الصواب ، لكنه لم يقدم لها تبريرا أو تفسيرا . وأغلب الظن أن ذلك راجع الى أن حركة الاسماعيلية كانت حتى أوائل القرن الرابع الهجرى لا تزال فى دور التكوين ، تعيش مرحلة الستر والتقية ، يتخفى أئمتها وراء حجاب كثيف من السرية والتقية والترحال من مكان لآخر والحذر فى اذاعة حقائق الدعوة الاسماعيلية الا فيمن يوثق به أشد الوثوق ومن ثم صعب على أهل السنة التعرف على الحقائق الخفية — الباطنية — للتشيع الاسماعيلى وصعب أيضا معرفة النسب الحقيقى لأئمة الاسماعيلية فتوقفت تلك المصادر المبكرة عن الخوض فى موضوع لم تتضح جوانبه .

ولما أحرزت الاسماعيلية بعض النجاح وظهرت خباياها ودخل أئمتها فى « دور الظهور » اجتهدت المصادر السنية فى التحرى عن هؤلاء الأئمة فلم تعرف لهم نسبا صريحا ولم تهتد الى شجرة متصلة لهذا النسب

---

(٦) من هؤلاء : ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب ، وابن ايبك الداودارى فى الدرة المضية فى تاريخ الدولة الفاطمية وابن خلكان فى وفيات الأعيان والبغدادى فى الفرق بين الفرق والشهرستانى فى الملل والنحل وابو حامد الغزالى فى فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية والهمدانى فى تثبيت دلائل البنوة وابو المحاسن بن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ... وغيرهم .

(٧) من هؤلاء : ابن خلدون فى العبر وديوان المبتدا والخبر والمقريزى فى اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا وفى المقفى الكبير ترجمة المهدى عبيد الله .

(٨) أصول الاسماعيلية ترجمة خليل جلو وهاشم الرجب ، القاهرة / ١٩٤٧ ، ص‌ص ٥٢ — ٥٩ .

لطول تخفى هؤلاء الأئمة وتورايهم وتسترهم أو كتمانهم وتقيتهم فشكت المصادر السنية فى النسب العلوى لأئمة الاسماعيلية لاسيما وأنه صعب على أهل السنة أن يصدقوا صدور مثل هذه الأباطيل والعقائد التى روجها الاسماعيلية عن أفـراد ينتسبون الى آل البيت . ولعل كنار Canard قد أصاب اذ قال « يرفع الفاطميون نسبهم الى اسماعيل بن جعفر وبما أنهم لم يصرحوا حقبة من الزمن وبصفة رسمية وعلنية بنسبهم وأن أسماء الأئمة فى دور الستر من محمد بن اسماعيل الى عبيد الله المهدى بقيت قصدا فى طى الخفاء فقد وردت سلسلة نسبهم بصـور مختلفة مما جعل أصل الفاطميين لا يزال حتى الآن يحوطه الغموض وقد أنكر خصوم الفاطميين انتسابهم الى على وقالوا انهم أدعياء حتى أن عبيد الله اعتبر ابنا ليهودى حسب العادة العربية القديمة التى تنسب الأشخاص المكروهين الى أصل يهودى » (٩) .

لكن المصادر السنية معدودة من الأعداء الطبيعيين للعبيديين ويقتضى الانصاف منا ألا ننساق وراء ما تردده تلك المصادر السنية عن الاسماعيلية وأئمتها وغاية الانصاف أن نستقى سلسلة نسب الأئمة الاسماعيلية من المصادر الاسماعيلية ، لكن هذه المصادر الاسماعيلية لا تشفى غليلنا ولا يمكن الاكتفاء بها فى التعرف على نسب العبيـدين فهى لا تقـدم الكثير عن دور الستر فى تاريخ أئمة الاسماعيلية ، وقد لاحظ ايفانوف أن أسماء الأئمة المكتومين أو المستترين بين محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وعبيد الله المهدى لم يشر اليهم أبدا فى كتب الاسماعيلية حتى وقت أبى حاتم الرازى والقاضى النعمان وجعفر بن منصور اليمن وغيرهم من كتاب الاسماعيلية الذين ينتمون الى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وأن أول اشارة اليهم كسرت حاجز الصمت عنهم انما جاءت فى نهاية تلك الفترة عند مؤلف كتاب استتار الامام (١٠) وهو أحمد بن محمد النيسابورى الذى يبدو أنه كان اسماعيليا فارسيا ألف كتابه بايعاز من العزيز بالله ثانى خلفاء العبيديين فى مصر (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ — ٩٩٦ م) كما ألف كتبا أخرى فى عقيدة الاسماعيلية مثل : اثبات الامامة

---

(٩) نقلا عن محمد ولد داداه : مفهوم الملك فى المغرب . ص ٥٢ .
(١٠) Ivanow; op. cit., p. 28.

والزاهرة فى معرفة الدار الآخرة والمجازاة الكافية وتحفة القلوب (١١)
بل يرى برنارد لويس أنه لايوجد كتاب اسماعيلى يرجع الى ما قبل حكم أول خلفاء الظهور فى افريقية — عبيد الله المهدى — باستثناء ما يسمى « أم الكتاب » عند اسماعيلية آسيا الوسطى وأن جميع الكتب الاسماعيلية التى وصلت الينا تمثل مرحلة الدعوة « الفاطمية » الرسمية فى عهد ضعفها أكثر مما تمثلها فى عهد ثوريتها الأولى (١٢) .

وفضلا عما سبق فان كتب الاسماعيلية ليست من نوع واحد ولا طبيعة واحدة كما أنها ليست على درجة واحدة من المصداقية وانما هى نوعان : كتب الباطن أى الكتب السرية التى تضم أسرار الاسماعيلية وحقائقها الخفية التى يحرص الاسماعيلية على ألا يطلعوا عليها الا الموثوق فيهم من أتباعهم ، وكتب الظاهر وهى التى تكتب للعامة — عامة الاسماعيلية وغير الاسماعيلية — ويقدم فيها صورة معتدلة — أو محسنة — لعقيدة الاسماعيلية وآرائها .

ومن الملاحظ أن ما يكتبه الكاتب الاسماعيلى الواحد فى كتب الظاهر يختلف كثيرا عما يكتبه هو نفسه فى كتب الباطن (١٣) . فعلى سبيل المثال يتناقض ما ذكره الداعى المطلق الاسماعيلى ادريس عماد الدين فى كتابه عيون الأخبار — وهو من كتب الظاهر — مع ما ذكره الداعى نفسه فى كتابه زهر المعانى — وهو من كتب الباطن — عن الأب المباشر لعبيد الله المهدى — أول خلفاء الظهور — وعن بنوة القائم بأمر الله — ثانى خلفاء الظهور — لعبيد الله المهدى — ففى عيون الأخبار يذكر الداعى ادريس أن القائم بأمر الله كان ابنا لعبيد الله المهدى من صلبه وأن المهدى كان ابنا للحسين بن أحمد وتكفله عمه سعيد الخير (١٤)

---

(١١) Ivanow; op. cit., p. 7.

(١٢) أصول الاسماعيلية ، ص ٧٢ .

(١٣) احسان الهى ظهير : الاسماعيلية ، تاريخ وعقائد ، لاهور ١٩٨٦ ص ٢٠ .

(١٤) عيون الاخبار وفنون الآثار ، بيروت ١٩٧٥ سبع ٥ ص ٨٩ .

لكن الداعي ادريس نفسه يذكر فى زهر المعانى أن المهدى لم يكن الا سعيد الخير الذى استكفل القائم بأمر الله وأن القائم بأمر الله لم يكن ابنـا حقيقيا للمهدى من صلبه وانما كان ابنا روحيا ينسـب اليـه بتعليمه وافادته (١٥) .

ويبدو أن الاسماعيلية فى دور الظهور كانت تحاول تحسين صورتها سواء بالتخفيف من غلو عقائدها فيما تنشره من كتب الظهور أو بانكار صلتها ببعض الغلاة سيئى السمعة مثل أبى الخطاب الذى تنسب اليه فرقة الخطابية المباركية فضلا عن محاولة تحسين صورة بعض رجالهـا الذين لا يمكن انكار دورهم فى الحركة الاسماعيلية مثل ميمون القداح وابنه عبد الله لكن هذه المحاولات أدت الى كثير من التناقض بين كتب الظاهر والباطن الاسماعيلية بل تعدى الأمر ذلك الى وجود المتناقضات أحيانا كثيرة داخل الكتاب الواحد ، فكتاب عيون الأخبار الذى أشرنا اليه لا يخلو من المتناقضات التى تزيد من الشكوك التى تحوم حـول صحة انتساب العبيديين الى البيت العلوى ولعله كان من أسباب تزايد تلك الشكوك احجام العبيديين عن اصدار اعلان رسمى يوضحون فيه نسبهم الصريح ويقطعون به الجدل المتزايد حول نسبهم والشك فيه ، ولم يكن احجامهم هذا مجرد استخفاف بالمتشككين كما فهمه ايفانوف (١٦) بل يبدو أن سببه هو عجزهم عن التصريح بنسب لا يملكون أدلـة قاطعة على صحته خاصة وأنهم لم يعودوا فى حاجة الى كتمانه تقية وسترا بعد أن أصبح لهم دولة وسلطان .

وعلى الرغم من ذلك فان الانصاف ــ كما ذكرنا آنفا ــ يقتضى استقاء شجرة النسب العبيدى من كتابات الاسماعيلية أنفسهم لاسيما وأن المصادر السنية المعادية للاسماعيلية لا يمكن الركون الى تكذيبها لصحة هذا النسب . ومع أن البحث يهدف أساسا الى استجلاء النسب العبيدى دون الخوض فى عقائد الاسماعيلية فلا مفر أحيانا من التعرض

---

(١٥) زهر المعانى من المنتخب لا يقانوف ، ص‌ص ٦٦ ــ ٦٨ .

(١٦) Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids - p. 27.

لبعض هذه العقائد التى لا يمكن فصلها عن نسب الأئمة ولابد منها لاستجلاء بعض غوامض هذا النسب وفضلا عن ذلك فان التعرف على شجرة هـذا النسـب يستوجب البدء من جذورها .

كان العبيديون شيعة اسماعيلية يقولون بما يقول به سائر الشيعة من أن الامامة لا تكون الا فى على بن أبى طالب وبنيه من بعده (١٧) وتتفق الاسماعيلية مع غيرها من الامامية على وصول الامامة الى جعفـر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب لكنها تتميز عن بقية الشيعة بقولهم ان الامامة آلت بعد جعفر الصادق الى ابنه اسماعيل ثم توارثها بنو اسماعيل من بعده « بالنص » فى الأعقاب الاكبر فالاكبر لا ترجع القهقرى ولا تعود الى الوراء (١٨) ولذلك أطلق عليهم اسم الاسماعيلية نسبة الى اسـماعيل بن جعفـر الصادق (١٩) .

لم يكن التشيع يوما فرقة واحدة وانما تعرض لسلسلة من الانقسامات المتتابعة التى قسمت التشيع الى فرق كثيرة كان بينها من دواعى الفرقة والخلاف أكثر مما يمكن أن يجمع بينها من دواعى التقارب والاتفاق (٢٠) . ولقد كانت فاجعة كربلاء نقطة تحول هامة فى التاريخ الاسلامى عامـة وتاريخ التشيع خاصة ، اذ أدت الى تحول التشيع بعد قتل الحسين الى عقيدة راسخة فى نفوس الشيعة (٢١) ومنها كانت الانطلاقة الحقيقيـة

---

(١٧) الرصاص : مصباح العلوم فى معـرفة الحى القيـوم ، بيروت ١٩٧١ ص ٢١ .

(١٨) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ص ١٦٠ .

(١٩) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ، نشر هلموت ريتر ص ٢٧ . والغزالى : فضائح الباطنية ص ١٦ والشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٦٧ .

(٢٠) النوبختى : فرق الشيعة . تحقيق ريتر ، النجف / ١٩٥٩ ص ١٦ وما بعدها . والبغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦ .

(٢١) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية وسهيل زكار : الفكر الاسماعيلى فى تطوره الافريقى صص ٢٨ — ٤٣ . الاسلامية ص ١٣٨ .

للتشيع المذهبي (٢٢) ، غير أنها كانت أيضا — فيما يبدو — مثار الخلاف بين أشياع البيت العلوى الذى انقسم على نفسه الى ثلاثة أفرع رئيسية : الفرع الحسنى والفرع الحسينى ثم فرع محمد بن الحنفية (٢٣) وقد تفاوتت مسارات الفروع الثلاثة تفاوتا ظاهرا وملحوظا ، فقد غلب على الحسنيين الميل الى المعارضة الظاهرة والثورات العلنية مما عرضهم لانتقام كل من الأمويين والعباسيين من بعدهم ، بينما تنازل أتباع محمد بن الحنفية المعروفون باسم الكيسانية عن دعوى استحقاق الامامة للعباسيين على حد زعم الرواية العباسية .

أما الفرع الحسينى فقد اهتز بعنف نتيجة فاجعة كربلاء التى فقد فيها أساطينه (٢٤) وكاد أن ينقطع نسله لولا نجاة على زين العابدين بن الحسين من تلك المذبحة الشنيعة التى أوقعها الأمويون بالحسين ومن معه ، فركن على زين العابدين الى الدعة والسكون (٢٥) وعكف طيلة حياته على النسك والعبادة ، وسار على نهجه من بعده ولده محمد الباقر لاسيما بعد أن رأى فشل الثورة التى أشعلها أخوه زيد بن على على الحكم الأموى ، وقد أطلق زيد على من انفض عنه من الشيعة اسم الرافضة (٢٦) بينما يعرف اتباعه باسم الزيدية .

---

(٢٢) شتروتمان : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شيعة .

(٢٣) ليس صحيحا ما ذهب اليه سهيل زكار (الفكر الاسماعيلى فى تطوره الافريقي ، صص ٢٨ — ٤٣) من أن زعامة الحزب الشيعى بعد كربلاء انحصرت فى ابناء فاطمة ، فقد كانت الكيسانية حينذاك تدعو لامامة محمد بن الحنفية ثم من بعده لابنه ابو هاشم عبد الله .

(٢٤) محمد السعيد جمال الدين : دولة الاسماعيلية فى ايران ، ص ١٨ .

(٢٥) برنارد لويس : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢٦) تلك هى البداية الحقيقية تاريخيا لمسمى الرافضة (ابن خلدون، العبر ، جـ ٤ ص ٢٩) فليس صحيحا ماذهب اليه البغدادى (الفرق بين الفرق ص ١٦) من ان هذه التسمية بدات فى عهد على بن ابى طالب ، وعلى الرغم من ان مجد الدين الحسنى المؤيدى (التحف شرح الزلف ، ص ٢٧) يذكر ان الأمة اجمعت على ان الرافضة هم الفرقة الناكثة على الامام زيد بن على فان الداعى ادريس (عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٢٤٨) حاول ابعاد هذا الاسم عن الاسماعيلية فذكر ان الرافضة هم أصحاب المغيرة بن سعيد البجلى من الغلاة لعنه محمد الباقر وتبرا منه وكتب الى شيعته برفضهم وسماهم المغيرية الرافضة .

« لقد انقسم الفرع الحسينى بعد وفاة على زين العابدين الى فرقتين رئيسيتين هما : الزيدية ، أتباع زيد بن على زين العابدين (٢٧) والامامية وهم الذين قالوا بانتقال الامامة من على زين العابدين الى ولده محمد الباقر ومنه الى ولده جعفر الصادق (٢٨) لكن الامامية ما لبثوا أن انقسموا على أنفسهم بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ الى أكثر من فرقة (٢٩) كان أبعدها صيتا وأكثرها أهمية فرقتا الاسماعيلية والاثنا عشرية ، وهما يتفقان على الأئمة الأوائل من على بن أبى طالب حتى جعفر الصادق ، لكنهما — على حد قول الشهر ستانى — « مختلفون فى المنصوص عليه بعد الصادق من أولاده » ، فتقول الاثنا عشرية بامامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق بينما تقول الاسماعيلية بامامة أخيه اسماعيل بن جعفر جعلها له والده جعفر دون سائر ولده (٣٠) ثم تسوق الاسماعيلية الامامة فى بنى اسماعيل — على حد زعمها — من بعده وفقا لمعايير خاصة بها .

واذا أمعنا النظر فى معايير الاسماعيلية وأقوالها التى تبرر بها وتبرهن على مسارها الخاص للامامة ، سنجد أن الدعاية الاسماعيلية كانت تبرر وضعا قائما انتهى اليه تسلسل أئمتها بالفعل ومع أنها كانت تحاول أن تبدو وكأنها تستند فى ذلك التبرير الى قواعد أو معايير مقررة سلفا من قبل الأئمة الأوائل ويجب الالتزام بها فى توارث الامامة دون تعديل ولا تبديل ، غير أن هاتيك القواعد والمعايير لم تكن — فيما يبدو — أولية ولم تكن معروفة فى القرن الأول الهجرى ولم يبدأ تقريرها الا منذ أوائل القرن الرابع الهجرى أو أواخر القرن الثالث الهجرى على أحسن

---

(٢٧) ترى الزيدية ان الامامة تكون فيمن قام ودعا الخلق الى طاعة الله تعالى وكان من ولد الحسن او الحسين وهو جامع لخصال الامامة وهى العلم والفضل فى الدين والسخاء بوضع الحقوق فى مواضعها ثم الشجاعة فى جهاد اعداء الله تعالى والقوة على تدبير امر الأمة وسلامة الحواس وجودة الراى وحسن التدبير (الرصاص : المصدر السابق ، ص ص ٢٢ — ٢٣) .

(٢٨) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٦٥ .

(٢٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة والبغدادى : المصدر السابق ص ١١٧ .
والداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٤ ص ٣٣٢ .

(٣٠) الاشعرى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .
والشهرستانى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٧ .

تقدير (٣١) • وبعبارة أخرى فان رفع هاتيك القواعد أو المعايير الى علي بن أبي طالب كان انتحالا غير صادق بأى حال من الأحوال •

وفضلا عن هذا فان هاتيك المعايير أو القواعد لم تكن ثابتة ولا يلتزم الاسماعيلية بها دوما ، وانما كانت الدعاية الاسماعيلية تضع لكل نقلة معيارا خاصا أو تبريرا مناسبا تدعى أوليته متغافلة عما يشوب تلك المعايير من تناقض فى كثير من الأحيان فكانت بذلك دعاية انتهازية لا تلتفت الى تناقض اللاحق مع السابق ولا يهمها الا تبرير توارث الامامة فى أئمتها متخذة الى ذلك مقولات تبتدعها مثل « النص » و « الامامة المستقرة والامامة المستودعة » وغير ذلك من المقولات التى تفننت الدعاية الاسماعيلية فى وضعها ولم تمل ترديدها لتبرهن على استحقاق أئمتها للامامة دون غيرهم •

اذا تتبعنا كيفية وصول الاسماعيلية بالامامة الى اسماعيل بن جعفر وجدنا عدة نقلات شائكة كان على الاسماعيلية تبريرها وأول تلك النقلات الشائكة هى نقلهم الامامة من الحسن الى الحسين واخراجهم ولد الحسن منها نهائيا لتستقر فى الفرع الحسينى دون الفرع الحسنى من العلويين •

تقول الدعاية الاسماعيلية فى ذلك ان الامامة انتقلت من الحسن الى الحسين وفقا « للنص » ولكن دعاتها يختلفون فيما بينهم حول ماهية هذا « النص » ومصدره ، ففى كتابه غاية المواليد يقول الداعى الاسماعيلى خطاب بن الحسن « وقام أمير المؤمنين (على بن أبى طالب) بالرتبتين حتى حضرته غيبته فأظهرها فنص برتبة النبوة على ولده الحسن وبرتبة الامامة على ولده الحسين وعهد الى الحسن عند حضور نقلته بأن يسلم الرتبة الى أخيه الحسين بعد تقدم النص عليهما من جدهما بقوله الحسن والحسين امامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما ، فلما قضى الحسن نحبه سلم الى أخيه الحسين فاجتمعت الرتبتان فى الحسين وقام

(٣١) لاحظ برنارد لويس (اصول الاسماعيلية ص ١٠٣) ان جميع الوثائق الاسماعيلية المتيسرة لنا لا تسبق عصر نجاح الدعوة الاسماعيلية وتاسيس دولتها .

بهما حتى أظهر الغيبة » (٣٢) ويشير الداعي المطلق الاسماعيلي أدريس عماد الدين الى « النص » في هذه النقلة على نحـــو قريب مما ذكـــره خطاب بن الحسن فيذكر أن على بن أبي طالب قال لابنه الحسن : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أوصى اليك وأن أدفع اليك كتبي وسلاحي وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفع ذلك الى أخيك الحسين (٣٣) • ويبدو أن الداعي أدريس أحس بأنه مقولة « النص » هنا لا تكفي للاقناع فأضاف اليها في موضع آخر تبرير آخر قال فيه على لسان جعفر الصادق ان الامامة خرجت عن ولد الحسن الى ولد الحسين لأن الحسين كانت له الامامة بعد أخيه الحسن لأنه نظيره في التطهير وله فضل السبق على ولد أخيه الحسن (٣٤) •

ويبدو ذلك التباين في تفسير تلك النقلة هينا اذا قورن بما جـاء في تبرير النقلة التالية من الحسين الى ولده على زين العابدين • فبينما يذكر خطاب بن الحسن أن الحسين « قام بهما (النبوة والامامة) حتى أظهر الغيبة ••• وولده على بن الحسين في حد الطفولية فأودع لـه أخاه محمد بن حنفية واستكفله اياه وأوصى اليه أن يسلم اليه وديعته عند بلوغه أشده فقام محمد بن على المعروف بابن الحنفية بأمر الله وبث دعاته وأقام دعوته الى أن أتاه على بن الحسين فطلب تسليم وديعته ••• فعند ذلك جمع محمد بن على الدعاة والنقباء وسلم اليه بحضرتهم » (٣٥) •

لكن الداعي ادريس يدبج لتلك النقلة ديباجة أخرى فيذكر أن على بن أبي طالب « أقبل على الحسين فقال له : وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدفعه الى ابنك هذا ثم أخذ بيد ابنه على بن الحسين فضمه اليه ثم قال : يابني وأمرك رسول الله صلى الله عليه وســـلم

---

(٣٢) غاية المواليد من المنتحب من بعض كتب الاسماعيلية ، نشرة ايفانوف ملحقا بكتابه Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids. ص ٣٥ من النص العربي •

(٣٣) عيون الاخبار ، سبع ٤ ، ص ٢١١ •

(٣٤) نفس المصدر : سبع ٤ ص ٢١٠ •

(٣٥) غاية المواليد ، من المنتخب ، ص ٣٥ •

أن تدفعه الى ابنك محمد واقرأه من رسول الله ومنى السلام ، فنص عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأبان فضله وفضل ابنه محمد الباقر » (٣٦) .

الخلاف بين ديباجتى خطاب بن الحسن وادريس عماد الدين واضح جلى الا أنه تجدر الاشارة الى الملاحظات الآتية :

١ — كان مقتل الحسين فى كربلاء مثار أول خلاف بين الشيعة حول استحقاق الامامة ولم تكن الاسماعيلية حاضرة فى هذا الخلاف الأول — لأنها لم تكن قد وجدت بعد — الا أنه كان لزاما عليها أن تدلى برأيها فيه لتبرر كيفية سوقها الامامة الى أئمتها .

٢ — بررت الاسماعيلية حصرها الامامة فى ولد الحسين دون ولد الحسن بمبررات ثلاثة :

أولا : قرب رحم أولاد الحسين الى أبيهم حيث يضيف الداعى أدريس على لسان جعفر الصادق : فلما قتل الحسين لم يجز أن ترد الامامة الى ولد الحسن وانما كان ولد الحسين أولى بها لأنهم أقرب الى أبيهم رحما « وأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض » (الأنفال / آية ٧٥) فأخرجت هذه الآية الكريمة — على حد قوله — ولد الحسن من الامامة وحكمت لأولاد الحسين بمصير الامامة فيهم الى يوم القيامة (٣٧) .

ثانيا : أفضلية على زين العابدين بن الحسين على ولد الحسن اذ يذكر الداعى ادريس أنه لم يكن فى ولد الحسن من يضاهى على بن الحسين فى فضله وعلمه وزهده وعبادته (٣٨) .

ثالثا : النص على امامة على زين العابدين وهذا النص لم يكن من قبل على بن أبى طالب فحسب وانما يرجع به الداعى ادريس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(٣٦) عيون الأخبار ، سبع ٤ ص ٢١١ .
(٣٧) نفس المصدر : سبع ٤ ص ٢١٠ .
(٣٨) نفس المصدر ، سبع ٤ ص ٢١١ .

اذا دققنا النظر فى المبررات الثلاثة وجدنا أولها تبرير محدث اخترعته الامامية — والاسماعيلية منهم — لتسقط مطالبة الفرع الحسنى بالامامة وكيلا تعود الامامة القهقرى الى ولد الحسن بعد مقتل الحسين ولو قيل به قبل ذلك لما آلت الامامة الى الحسين أصلا . أما القول بأفضلية على زين العابدين على ولد الحسن فهو تفضيل من وجهة نظر الحسينيين ولا يلزم الحسنيين الأخذ به ومثل هذا التفضيل واضفاء الألقاب على المبرزين من البيوتات الطامحة الى الحكم كان مثار تنافس بينهما فاذا كان لدى الحسينيين زين العابدين فقد كان لدى الحسنيين ذو النفس الزكية بل وكان لدى العباسيين من لقب بالسجاد .

أما عن المبرر الثالث وهو القول « بالنص » على امامة على زين العابدين فقد ورد فى كتب الاسماعيلية على أكثر من وجه فيذكر الداعى خطاب بن الحسن أن الحسين لما أظهر الغيبة « وولده على ابن الحسين فى حد الطفولية فأودع له أخاه محمد بن حنفية واستكفله اياه وأوصى اليه أن يسلم اليه وديعته عند بلوغه أشده » (٣٩) بينما يذكر الداعى المطلق ادريس أن على بن أبى طالب التقى حفيده على بن الحسين وأخبره بالنص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أخبره أيضا بالنص على ابن سوف ينجبه بعد أن يكبر ويتزوج ويسميه محمد (٤٠) ، ولكى يثبت الداعى ادريس صحة ما يدعيه عن لقاء على بن الحسين بجده على بن أبى طالب ، يزعم الداعى ادريس أن عليا المقتول مع أبيه يوم كربلاء هو على الأصغر ويجعل عليا الناجى من القتل يومذاك هو على الاكبر محرفا بذلك الادعاء واقعة تاريخية مؤكدة عن نجاة على الاصغر لمرضه فى حجور النساء يوم كربلاء (٤١) وتعمد الداعى الاسماعيلى التحريف

---

(٣٩) غاية المواليد من المنتخب ، ص ٣٥ .

(٤٠) عيون الأخبار ، سبع ٤ ص ١٤٣ .

(٤١) يذكر المقريزى (اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ١٣) أن عليا الاكبر قتل بالطف ولا عقب له أما على الاصغر ففيه البقية . ويذكر المخزومى (صحيح الاخبار عن الفاطمية الاخيار) انه ليس على وجه الأرض من حسينى الا وينتهى عقبه الى على الاصغر زين العابدين ويذكر محمد بن أبى بكر الحسينى (المشرع الروى فى مناقب السادة الكرام آل أبى علوى ، جـ ١ ص ٨٩) أن العقب من على الأصغر أما على الاكبر فانه قتل مع الحسين يوم كربلاء .

لأن القول بنجاة على الأصغر — وليس الاكبر — يوم كربلاء لا ينفى فقط واقعة التقائه بجده الذى تكون وفاته قبل ميلاد حفيده زين العابدين وانما ينفى أيضا مقولة « النص » بالكيفية التى صاغها الداعى ادريس ومن ثم ينقطع اتصال الامامة فى الأعقاب الأكبر فالأكبر وهو المبدأ الاسماعيلى الهام الذى يعد ركيزة أساسية فى عقيدة الاسماعيلية ورأيها فى الامامة ولذلك لا يبالى الداعى ادريس بتحريف الوقائع التاريخية واستبدال المقتول بالناجى لكى يحفظ على الاسماعيلية مقـولة طالما تشدقت بها وفرية افترتها ثم توهمت صدقها حتى أن ابن خلدون — وهو أحد القائلين بصحة انتساب العبيديين للبيت العلوى — لا يتردد عن وصف مقولة « النص » بأنها من الأكاذيب أو على حد قوله « من موضوعات الامامية وأكاذيبهم » (٤٢) .

٣ — وجدير بالملاحظة أيضا أن الدعاية الاسماعيلية كان تنتهز كل فرصـة سانحة للنيل من ادعاء القوى المنافسة باستحقاق كل منها للامامة فكما حرص الداعى ادريس على اخراج ولد الحسن من الامامة وحرص على اخراج الزيدية منها ، تجد خطاب بن الحسن يجعل محمد بن الحنفية كفيلا لعلى بن الحسين ومستودعا لامامته وعاملا فيها باسمه وهو بذلك لا يصادر فقط على قول الكيسانية بامامة محمد بن الحنفية وولده أبى هاشم عبد الله من بعده وانما يصادر أيضا على ادعاء العباسيين انتقال الامامة اليهم عن طريق تنازل أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية عن الامامة لمحمد بن على العباسى .

٤ — لم يكن القول « بالنص » مقبـولا عنـد سائر أولاد على زين العابدين بل كان منهم من يبطله ويرفض القول به مثل زيد بن على الذى كان أتباعه من الزيدية — على الرغم من قولهم بحصر الامامة فى أولاد الحسن والحسين — يبطلون القول بالنص (٤٣) .

---

(٤٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٤ ص ٢٩ .

(٤٣) الرصاص : المصدر السابق ص ٤٣ يقول « وانما حصرنا الامامة فى أولاد الحسن والحسين لان الامة أجمعت على جوازها فيهم واختلفت فيمن سواهم بعد بطلان قول الامامية بالنص على جماعة من ولد الحسين لانه لو كان ما ادعوه من النص صحيحا بوجب ان يكون ظاهرا مشهورا عند جميع المكلفين فلما لم يكن معلوما وجب نفيه » .

ويشير الداعي الاسماعيلي ادريس نفسه الى تشكك زين بن علي في مقولة النص اذ سأله بعض الشيعة : أعندك عهد من أبيك أو وصية أوصى بها اليك ؟ (٤٤) فأجابه زيد : لا ومعاذ الله أن أقول عليه ما لم يقله ولكن الامام منا من شهر سيفه وقام بأمر الأمة لا من قعد في بيته وأرخى عليه ستره ثم يبدي زيد تشككه في أن يكون أبوه علي زين العابدين قد أوصى بالامامة الى أخيه محمد الباقر دون أن يطلعه على هذا السر مع أنه ــ أي زيد ــ كان مقربا من أبيه (٤٥) • ولا يجد الداعي الاسماعيلي ادريس بدا من التشكيك في شهادة زيد بن علي عن بطلان مقوله النص فيزعم ادريس أنه يصح ألا يخبر علي زين العابدين ابنه زيدا بوصيته الى محمد الباقر ، ويقوم الداعي الاسماعيلي ادريس في سبيل تدعيم زعمه بتأويل قصة يوسف عليه السلام وعدم اخباره اخوته برؤياه تأويلا يوافق هوى الاسماعيلية ويدعم آراءهم (٤٦) •

على أي حال ، ترى الامامية ــ ومنها الاسماعيلية ــ أن الامامة انتقلت من علي زين العابدين الى ابنه محمد الباقر ومنه الى ابنه جعفر الصادق ــ كما سبق أن أشرنا ــ لكن الامامية مالبثوا بعد وفاة جعفر الصادق أن انقسموا انقساما خطيرا حول من يستحق الامامة من أبنائه •

لم يقتصر انقسام الامامية حول من يخلف جعفر الصادق في الامامة على فرقتين فقط كما قال ابن خلدون (٤٧) وانما كان ذلك الانقسام أوسع من ذلك بكثير (٤٨) ويعترف أكثر من مصدر اسماعيلي باتساع شقة ذلك الخلاف فيذكر الداعي ادريس أنه كان « اختلافا كبيرا » (٤٩) اذ أنه

---

(٤٤) يلاحظ ان السائل لم يسأل زيدا عن « النص » وانما سأله عن عهد أو وصية ، مما يدل على أن كلمة النص لم تكن متداولة حينذاك ولم تعرف وانما ابتدعتها الاسماعيلية بعد ذلك .

(٤٥) عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٢٢٩ .

(٤٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤٧) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٤ ص ٢٩ .

(٤٨) البغدادي : المصدر السابق ص ١٧ .

(٤٩) عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٣٣٢ .

« لما توفى الامام الصادق تاه كثير من الشيعة فى أولاد الصادق واختلفت مقالاتهم فى المستحق بعده أن يكون الامام » (٥٠) .

ومع أن المؤرخين والنسابة يختلفون فى تعداد أبناء جعفر الصادق وتسميتهم (٥١) فان الشهرستانى (٥٢) والكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى (٥٣) وجعفر بن منصور اليمن (٥٤) يحصرون ذلك الخلاف حول أربعة فقط من أبناء جعفر الصادق ادعى كل منهم النص والتعيين وهم : محمد وعبد الله وموسى واسماعيل .

عرفت الفرقة التى نادت بامامة محمد بن جعفر الصادق بالمحمدية (٥٥) وعرفت الفرقة التى نادت با مامة عبد الله الأفطح بالأفطحية (٥٦) وعرفت الفرقة التى نادت بامامة موسى بن جعفر بالموسوية أو الاثنا عشرية بينما عرفت الفرقة التى قالت بامامة اسماعيل بن جعفر — أو بالأحرى محمد بن اسماعيل بن جعفر — بالاسماعيلية .

---

(٥٠) عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٣٣٥ .

(٥١) من المؤرخين من يجعل أبناء جعفر الصادق اربعة فقط هم : اسماعيل وموسى ومحمد وعبد الله (الهمدانى : فى نسب الخلفاء الفاطميين ص ٩) وعطا ملك الجوينى : تاريخ جهانكشاى ، ص ١٤٤) ومنهم من يجعل عددهم خمسة هم : اسماعيل وموسى ومحمد وعلى العريفى واسحاق الحسينى : عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب ص ١٧٣ والرفاعى : صحيح الأخبار عن السادة الفاطمية الاخيار ص ٤٤) ويجعل الداعى ادريس عددهم خمسة ايضا لكنه يسميهم : اسماعيل وعبد الله وموسى واسحاق ومحمد (عيون الأخبار ، سبع ٤ ، ص ٣٣٢) بينما يزيد المقريزى عددهم الى سبعة هم : اسماعيل وعبد الله وموسى واسحاق ومحمد والعباس وعلى العريفى (اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص) بل يزيد عبد الرحمن بن محمد ابن حسين عددهم الى ثلاثة عشر هم : عبد الله ويحى والمحسن والحسن وجعفر ومحمد الاصغر وعبد الله الافطح واسماعيل الاعرج ومحمد الاكبر الملقب بالديباج واسحاق المؤتمن وموسى الكاظم وعلى العريفى (شمس الظهيرة ص ٤١) .

(٥٢) الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٦٥ .

(٥٣) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٩ .

(٥٤) اسرار النطقاء ، من المنتخب لايفانوف ص ٨٣ .

(٥٥) نفس المصدر ، ص ٨٤ .

(٥٦) الشهرستانى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٧ .

هكذا كان انقسام الامامية بعد جعفر الصادق كبيرا فى حجمه خطيرا فى أبعاده ، أما عن أسبابه فقد اختلفت فيها المصادر الاسماعيلية اختلافا بينا ، فبينما يذكر الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى أن سبب ذلك الانقسام هو كتمان جعفر الصادق اسم الامام الذى يأتى بعده (٥٧) فان جعفر بن منصور اليمن (٥٨) وخطاب بن الحسن (٥٩) وصاحب كتاب التراتيب (٦٠) يذكرون أن الصادق لم يكتم اسم الامام بعده وانما سلم الامامة لولده اسماعيل فى حياته . أما الداعى ادريس فيناقض نفسه من كتاب له الى آخر ، اذ يذكر فى عيون الأخبار أن الصادق كتم اسم الامام بعده (٦١) لكنه يذكر فى زهر المعانى أنه جعل الامامة لاسماعيل (٦٢) .

غير أن اسماعيل بن جعفر — باجماع كافة المصادر — كان قد توفى فى حياة أبيه الذى حرص على التأكيد على خبر وفاة ولده واشهاد الناس عليها .

واذا كانت المصادر قد اختلفت فى تبريرها لتأكيد جعفر واشهاده الناس على وفاة ولده (٦٣) فان المصادر الاسماعيلية قد وجدت نفسها فى مأزق

---

(٥٧) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٩ .

(٥٨) اسرار النطقاء ، ص ٩٤ .

(٥٩) غاية المواليد ، من المنتخب لايفانوف ص ٣٦ .

(٦٠) نشره سهيل زكار ضمن أخبار القرامطة ، ويرى ان مؤلفه المجهول الاسم قد يكون معاصرا لقيام الدولة العبيدية (ص ص ١٣٥ — ١٣٦) .

(٦١) عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٣٣٣ .

(٦٢) زهر المعانى ، من المنتخب ، ص ٤٧ .

(٦٣) ترى المصادر السنية ان جعفر الصادق كان يؤكد على وفاة ولده اسماعيل تكذيبا لما يتقوله الشيعة عن ان الامامة فى جعفر وانها تنتقل بالنص فى الاعقاب الاكبر فالاكبر ، فاراد جعفر — وهو امام فى العلم مقدر عند أهل السنة — ان يكذب مقولة النص التى تزعمها الامامية . وترى مصادر الاثنا عشرية ان جعفر الصادق كان يؤكد على وفاة ولده اسماعيل كيلا يظن الظانون ان الامامة له بعد ابيه وانها انتقلت بوفاته الى اخيه موسى الكاظم ابن جعفر الصادق .

(النوبختى : فرق الشيعة ، ص ص ٩٩ — ١٠٠ ، والقمى : المقالات والفرق ص ص ٨٨ — ٨٩) .

بسبب تلك الوفاة التى تهدد بانقطاع تسلسل الأئمة كما يراه الاسماعيلية فتدعى لتجاوز ذلك المأزق ادعاءين : أولهما ، أنها تصور وفاة اسماعيل ابن جعفر على أنها غيبة مفتعلة للتمويه على العباسيين وأن جعفر الصادق حبك تمثيلية بارعة أدى فيها دوره باقتدار ليوهم أبا جعفر المنصور — ثانى خلفاء العباسيين — بأن اسماعيل بن جعفر المعروف امامته قد توفى كيلا يطلبه أبو جعفر الدوانيقى — على حد وصف الاسماعيلية اياه — لكن اسماعيل ما لبث أن ظهر فى البصرة بعد أيام من اعلان خبر وفاته (٦٤) وثانيهما هو أن اسماعيل حين حضرته النقلة — الوفاة — فى حياة أبيه انتقلت الامامة الى محمد بن اسماعيل (٦٥) .

ولكى تصل المصادر الاسماعيلية بالامامة الى اسماعيل وابنه من بعده ، حرصت على أن تدحض دعوى كل فرقة نادت بامامة ابن من أبناء جعفر غير اسماعيل (٦٦) مبرهنة على امامة اسماعيل وولده ببراهين يصعب تقبلها على غير الاسماعيلية (٦٧) .

ومهما يكن من أمر فان نسب أئمة الاسماعيلية يدخل فى منعطف خطير من خلال رأى خطير جدا طلع به علينا الكتاب الاسماعيلى المنسوب الى عبيد الله المهدى والذى قيل انه أرسله الى اليمن متضمنا أسماء الأئمة المستورين للاسماعيلية ، جاء فيه : « وكان صاحب الحق منهم — أى أولاد جعفر الصادق — عبيد الله بن جعفر . فلم يكن علم مقامه الا عند

---

(٦٤) جعفر بن منصور اليمن : المصدر السابق ، ص‌ص ١٠٣ — ١٠٤ والداعى ادريس : زهر المعانى ، ص ٤٨ .

(٦٥) تختلف المصادر الاسماعيلية حول كيفية حدوث ذلك فمنها من يقول ان اسماعيل اوصى والده الصادق بأن يقيم لولده حجبا ومستودعا (زهر المعانى ص ٣٧) ومنها من يقول ان اسماعيل سلم الامامة الى ولده فى حضور ابيه . (أسرار النطقاء ص ٩٩) .

(٦٦) انظر على سبيل المثال : جعفر بن منصور اليمن : كتاب أسرار النطقاء من المنتخب ، ص‌ص ٨٣ — ٩٣ .

(٦٧) نفس المصدر ص‌ص ٩٤ — ١٠٤ .

والداعى ادريس : عيون الاخبار ، سبع ٤ ص .

الأبواب والثقات تقية عليه ، وقد تعلق به قوم على غير هــذه الحقيقة توهما منهم ، فلما أراد الأئمة من ولد جعفر احياء دعوة الحق خافوا من نفاق المنافقين فتسموا بغير أسمائهم .... فأشاروا بالامامة الى عبد الله وتسمى باسماعيل ودعوا أن المهدى اسمه محمد بن اسماعيل لأنه محمد وهو من ولد عبد الله الذى تسمى باسماعيل فنافق جماعة من دعى فذكروا اسماعيل ومحمد بن اسماعيل وهما لا يوجدان وأصحاب الحق سالمون آمنون ، فكان كلما قام منهم امام تسمى بمحمد والاشارة فى الدعوة الى محمد بن اسماعيل والمراد باسماعيل عبد الله والمراد بمحمد كل من كان فى عصره الى أن يظهر صاحب الظهور وهو محمد فتزول التقية والأمر منتظم بهذه التسمية » (٦٨) .

اذا صح هذا النص الذى ورد فى الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى فانه يعنى أن اسماعيل الذى تأخذ الاسماعيلية اسمها عنه وينحدر عنه أئمتها لم يكن فى الحقيقة الا اسما حركيا لعبد الله بن جعفر الصادق وأن الاسماعيلية عاشوا طيلة تاريخهم يتوهمون وهما كبيرا أنهم اتباع اسماعيل بينما هم فى الحقيقة اتباع عبد الله الذى اتخذ اسم أخيه سترا وتقية .

لا شك أننا أمام قضية شائكة وحلقة حاسمة فى سلسلة نسب أئمة الاسماعيلية فهل هم من نسل اسماعيل بن جعفر أم من نسل عبد الله الذى اتخذ من اسم اسماعيل اسما حركيا ؟ !

اذا قيل انهم من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق فقد يرى البعض أنه لم يكن هناك مبرر أوداع لأن يرث اسماعيل الامامة فى حياة أبيه جعفر ليورثها لابنه محمد — فى حياة جعفر أيضا — ومحمد هذا مشكوك فى وجوده عند البعض ممن يرون أن اسماعيل لم يعقب أو ممن يرون ان اسم محمد هذا كان اسما حركيا على النحو الذى يذهب اليه الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى وفضلا عن هذا فان مقولة « النص » التى تبرر وحدها هــذا التوارث غير مقبولة الا عند الاسماعيلية ولا يعدو رأى الآخرين فيها رأى ابن خلدون الذى يرى أنها من موضوعات الامامية وأكاذيبهم .

---

(٦٨) الهمدانى : فى نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٠ .

واذا قيل انهم من نسل عبد الله بن جعفر الذى اتخذ من اسماعيل اسما حركيا يتبغى مناقشة ذلك فى ضوء الاعتبارات الآتية : —

١ — لم يذكر بعض النسابة العلويين اسم عبد الله ضمن أبناء جعفر الصادق (٦٩) غير أن كتابا كثيرين مثل الشهر ستانى (٧٠) والمقريزى (٧١) والكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى (٧٢) وعطا ملك الجوينى (٧٣) وعبد الرحمن بن حسين (٧٤) والداعى الاسماعيلى ادريس عماد الدين (٧٥) وغيرهم ، يذكرون اسم عبد الله ضمن أبناء جعفر الصادق ، بل يشير بعضهم الى أنه كان الشقيق الأوحد لاسماعيل ، أمهما فاطمة بنت الحسن المثنى بن على بنت أبى طالب ، لم يتزوج جعفر الصادق عليها ولم يتخذ سرية فى حياتها حتى توفيت فتزوج بعدها واتخذ امهات أولاد (٧٦) وعلى ذلك فان الأخوين الشقيقين اسماعيل وعبد الله كانا أكبر اخوتهما سنا لكننا لا نعرف على وجه التأكيد أيهما كان أسن من أخيه فالاسماعيلية ترى أن اسماعيل كان أكبرهما سنا (٧٧) والأفطحية — اتباع عبد الله الملقب بالأفطح — تقول ان عبد الله كان أسن من اسماعيل (٧٨) ولا يخفى على الباحث أن كل فرقة منهما كانت تريد اثبات حق صاحبها فى الامامة

---

(٦٩) مثل الرفاعى : صحيح الاخبار ص ٤٤ والحسنى : عمدة الطالب ص ١٧٣ .

(٧٠) الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٦٥ .

(٧١) اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص

(٧٢) نشره حسين بن فضل الله الهمدانى ، ص ٩ .

(٧٣) تاريخ جها نكشاى ، ص ١٤٤ .

(٧٤) شمس الظهيرة ، ص ٤١ .

(٧٥) عيون الأخبار ، سبع ٤ ص ٣٣ .

(٧٦) الشهرستانى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٥ والمقريزى : المصدر السابق جـ ١ ص   والداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٤ ص ٣٣٢ .

(٧٧) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٤ ص ٣٣٢ .

(٧٨) الشهرستانى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٥ .

بجعله أسن من أخيه . لكنه اذا كان اسماعيل قد توفى فى حياة أبيه جعفر الصادق فان عبد الله لم يعش بعد والده أكثر من سبعين يوما فقط (٧٩) .

٢ — يذكر بعض الكتاب أن عبد الله بن جعفر مات دون أن يعقب (٨٠) ويذكر بعض آخر أن اسماعيل لم يعقب — كما سبق أن أشرنا — أو أن محمد بن اسماعيل توفى دون أن يعقب (٨١) ومعنى ذلك — اذا صح — انقطاع نسل كل من اسماعيل وعبد الله ولدى جعفر الصادق .

٣ — فى ضوء ما سبق نجد أنفسنا أمام أقوال متناقضة يصعب تصديقها أو تكذيبها فى آن واحد اذ لا تملك دليلا قاطعا على أى من الأمرين لاسيما وأن الخلفاء العبيديين تجاهلوا تماما ما يثار حول نسبهم من تساؤلات ولم يبالوا بما تلوكهم به الألسنة (٨٢) اما لافتقارهم الى ما يقنعون به الناس عن صحة نسبهم أو رغبة منهم فى عدم كشف أولئك الذين سترهم الله (٨٣) .

٤ — لكن كتابا اسماعيليا متقدما نسبيا — ومن ثم قد يعتد برأيه — هو كتاب التراتيب ، يذكر عبارة قد يكون لها مغزى اذ جاء فيها « وانتسب الامام الحق بعد اسماعيل الى ابن أخيه وهو محمد لشدة تعاظم الفترة وظهور الأضداد » (٨٤) .

ومهما كانت أوجه فهمنا لهذه العبارة فانها تنتهى بنا الى أن الامام بعد اسماعيل انتسب الى غيره من اخوته أى أن الامام بعد اسماعيل بن جعفر لم يكن ابنه وانما كان ابن أخ له مما يدعونا الى التساؤل : ابن من هو من اخوة اسماعيل ؟ ! هل هو ابن عبد الله كما يشير الكتاب

---

(٧٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة والداعى ادريس : المصدر السابق، سبع ٤ ص ٣٣٥ .

(٨٠) نفس المصدران ، نفس الصفحات .

(٨١) الغزالى : فضائح الباطنية ص ١٦ والحمادى : كشف اسرار الباطنية ص ١٩٨ والبغدادى : الفرق بين الفرق ص ٤٧ .

(٨٢) Ivanow; op. cit. p. 27.

(٨٣) ايمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٣٢ .

(٨٤) كتاب التراتيب ، (نشر ضمن أخبار القرامطة) ص ١٣٧ .

المنسوب الى عبيد الله المهدى ؟ ! لكن عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق مات بعد أبيه بسبعين يوما دون أن يعقب — كما سبق أن أشرنا — فهل يمكن أن يكون هناك عبد الله آخر ؟ ! واذا كان المنكرون لصحة انتساب العبيديين الى البيت العلوى يتهمونهم بأنهم من نسل عبد الله بن ميمون القداح فهل من الممكن أن يكون عبد الله المشار اليه — تلميحا دون تصريح — والذى اتخذ لنفسه اسم اسماعيل على سبيل التقية هو عبد الله ابن ميمون القداح ؟ !

اذا أردنا الاجابة على هذه التساؤلات ، فان الانصاف يقتضى منا ألا ننساق وراء الروايات المعادية للعبيديين والتى قد يدفعها عداؤها الى تلفيق ما قد لا يصح عنهم ، ولذا فاننا سنهتم أساسا باستقراء الروايات الاسماعيلية قبل غيرها على أن يؤخذ فى الاعتبار مدى مصداقيتها .

يشير الداعى المطلق ادريس فى عيون الأخبار الى مكانة عبد الله بن ميمون القداح فى الحركة الاسماعيلية فيقول « وكان الامام اسماعيل بن جعفر قد اختص عبد الله بن ميمون القداح وأقامة حجة له ولابنه محمد بن اسماعيل ودليلا عليهما وهاديا اليهما بأمر الصادق فخرج عبد الله بن ميمون الى مكة وأظهر الدعوة الى أهل البيت ولم يبن أمر ولى الله بل ستره وأخفاه وكتمه تقيه عليه من الأضداد وخوفا من أهل العناد ، ولم يعرف بامامة اسماعيل وولده محمد الا قليل ممن عرف فيهم الدين والأمانـة فأمرهم بالستر لما أطلعهم من ذلك والصيانة » (٨٥) .

ويذكر الداعى ادريس أيضا « وميمون القداح هـو من شيعتهم وأوليائهم وقد ذكرنا أنه كان حجة الامام اسماعيل بن جعفر (٨٦) وولده عبد الله بن ميمون كان حجة محمد بن اسماعيل وبنيه داعيا اليهم ...

---

(٨٥) السبع ٤ ، ص ٣٣٥ .

(٨٦) ما ذكره الداعى ادريس من قبل هو ان عبد الله بن ميمـون — وليس ميمون — هو حجة اسماعيل بن جعفر وولده محمد بن اسـماعيل لكن الداعى ادريس نفسه فى كتابه زهر المعانى يذكر ان جعفر الصـادق سلم محمد بن اسماعيل الى ميمون القداح وجعله « كفيل له ومستودع أمره » ويضيف « وكتم الصادق منزلة ابن ابنه واقام له ميمون القداح وابنه عبد الله ابن الميمون كفلاء » (زهر المعانى من المنتخب ، ص ٣٧ ، ص ٣٩) .

وكانوا من بعد محمد بن اسماعيل قد دخلوا فى كهف التقية وأخفوا أسماءهم وأنسابهم لعظم المحنة والبلية خيفة وخفية من عدوهم ••• وكان الدعاة وقت التقية يخفون اسم الامام وربما تسمى أحد من الدعاة بأسمائهم تقية عليهم وسترا » (٨٧) •

ثم يقول الداعى ادريس أيضا « لما وقتوا فى محمد بن اسماعيل ما وقتوه ومات وقالوا عنه ما قالوا زعموا أنه استخلف بعده غير ولده واستخلف الى أن بلغوا سبعة زعموا أن أولهم عبد الله بن ميمون القداح وكل ذلك ليثبتوا قولهم الذى يقولون به ان الامام بعده — وان استخلفه — هو من عرض (عامة) الناس وكان لذلك سبب أوجب ذكره ، وذلك أنه لما فشت دعوة محمد بن اسماعيل طلب المتغلبون من بنى العباس من يشار اليهم بالأمر فاستترت الأئمة وكنى الدعاة عن أسمائهم تقية عليهم بما هو لهم ويليق فيهم فقالوا الامام من ولد محمد بن اسماعيل ابن عبد الله وهو عبد الله كما قالوا وابن ميمون القداح وهو كما قالوا ابن الميمون النقيبة القادح زند الهداية المورى نور الحكمة وجرت الكتابة على من بعده من الأئمة بأمرهم وما رسموه لدعاتهم ثم سقط ذلك الى من لم يفهمه بعد الماضين فاحتمله على ظاهره » (٨٨) •

نستخلص مما سبق : ١ — أن عبد الله بن ميمون القداح كان حجة اسماعيل بن جعفر أو ابنه محمد بن اسماعيل أو حجتهما واحدا تلو الآخر وأنه كان دليلا عليهما وهاديا اليهما اذ قام بسترهما واخفائهما أو كتمها تقية عليهما فلم يعرف بامامتهما الا القليل من ثقات الدعاة معرفة غير مباشرة عن طريق عبد الله بن ميمون القداح •

٢ — كان الدعاة — وعلى رأسهم عبد الله بن ميمون القداح — يغيرون أسماء الأئمة سترا لهم وتقية عليهم وقد ينتحل أحد الدعاة لنفسه اسم الامام •

٣ — كان الامام من ولد محمد بن اسماعيل يعرف أيضا بابن عبد الله ابن ميمون القداح وان كان الداعى ادريس يؤول الاسم تأويلا اسماعيليا بأنه عبد الله لأنه عبد لله وابن الميمون النقيبة القادح زند الهداية •

---

(٨٧) عيون الأخبار ، سبع ٥ ، ص‌ص ١٥٨ — ١٥٩) .

(٨٨) نفس المصدر ، سبع ٥ ص ١٦١ .

ومن الباحثين من ينساق وراء مثل هذه التأويلات الاسماعيلية فيرى أن أئمة الاسماعيلية اتخذوا أسماء مثل : مبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن فيها تبعا لمبدأ التقية وأن لقب ميمون الذى أطلق على أحـد أولاد جعفر الصادق هو الذى قاد الى الخلط بين اسمه واسم عبد الله بن ميمون القداح (٨٩) .

لكن القراءة المتأنية للمصادر الاسماعيلية تذهب بنا الى أبعد من ذلك فالداعى ادريس نفسه فى كتابه زهر المعانى يؤكد على أن ميمون القداح كفيل محمد بن اسماعيل ومستودع أمره وينسب ميمون الى سلمان الفارسى فيجعله ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسى ويجعل سلمان من اولاد اسحاق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ على حد قوله (٩٠) ومع أن ايفانوف يذهب الى الأخذ بتفسير الداعى ادريس القائل بأن المقصود بالميمون — أى الميمون النقيبة — هو محمد بن اسماعيل (٩١) فان تتبع نص زهر المعانى الذى ألحقه ايفانوف نفسه بكتابه عن « ظهور الفاطميين » (٩٢) قـد ينقض ما ذهب اليه اذ يقول الداعى الاسماعيلى ادريس « وكتم الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله بن الميمون (هكذا) كفلاء » (٩٣) .

وفضلا عن ذلك ، فصاحب كتاب التراتيب بعد أن يذكر أن الامام انتسب بعد اسماعيل الى ابن أخيه يقول « كان حجابه الذى احتجب به وستره الذى ستره والذى نصبه أو أقامه ميمون القداح وأمره الامـام أن يأخذ العهود لنفسه أعنى لميمون القداح ففعل ما أمره به الامـام

---

(٨٩) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ، ص ٣٥ . و
Ivanow; The Alleged Founder of Ismailism, Bombay 1946 p. 152.

(٩٠) من المنتخب لايفانوف ، ص ٤٧ .

(٩١) The Alleged Founder of Ismailism, pp. 110-112.

(٩٢) Ismaili Tradition concerning the Rise of Fatimids, pp. 80-47.

(٩٣) زهر المعانى ، من المنتخب ، ص ٤٩ .

... فلما حضرته النقلة أحضر ولده محمدا وسلم الامامة له ... فقام محمد بالأمر وأمر الامام ابن ميمون القداح أن يقوم مقامه ويأخذ العهود لنفسه كفعل أبيه ميمون القداح ولم يزل قائما بالأمر على اذن الامام » (٩٤) .

هكذا تبدو مكانة عبد الله بن ميمون القداح فى الحركة الاسماعيلية كما تصورها المصادر الاسماعيلية نفسها ، غير أن المصادر الاسماعيلية تقدم لنا بشأن اسماعيل الذى تنسب اليه الاسماعيلية قولين متناقضين أولهما قال به الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى وهو أن عبد الله بن جعفر تسمى باسماعيل أى أن اسماعيل كان اسما حركيا حقيقته عبد الله ، وثانيهما قال به الداعى ادريس وهو أن محمد بن اسماعيل يقال له محمد بن عبد الله على اعتبار أن اسماعيل عبد من عباد الله أى أن عبد الله — على هذا القول — اسم حركى حقيقته اسماعيل .

يبدو أن المصادر الاسماعيلية لم تكن تعرف حقيقة اسماعيل الذى يدعى له خاصة وأن الشك يكتنف بعض جوانب شخصية العبدلين اللذين يحمل كل منهما اسم اسماعيل أيضا اما حقيقة أو انتحالا . فكلاهما مختلف بشأنه من حيث : أيهما أسن من أخيه (٩٥) وبالتالى أحقيته بالامامة ، وأيهما توفى فى حياة أبيه (٩٦) وأيهما توفى دون أن يعقب (٩٧) .

---

(٩٤) التراتيب ، ص ٣٨ .

— ويجعل خطاب بن الحسن (غاية المواليد ص ٣٨) لقب وصى اسماعيل بن جعفر هو القداح .

(٩٥) ترى الاسماعيلية ان اسماعيل كان اسن من اخيه (عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٣٣٢) بينما ترى الافطحية ان عبد الله كان اسن من أخيه (الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١٦٥) وجدير بالذكر ان ايفانوف يأخذ بان عبد الله الافطح كان اسن من اخيه لكنه كان يبدو ضعيف العقل مما جعل الانظار تتجه الى اسماعيل على انه وريث الامامة .
(The Alleged Founder of Ismailism, p. 155).

(٩٦) مع ان الارجح هو وفاة اسماعيل فى حياة ابيه فان الداعى ادريس (زهر المعانى ص ٥٠ من المنتخب) يقول ان عبد الله الافطح مات فى عصر ابيه دون ان يعقب .

(٩٧) انظر ما سبق ان ذكرناه فى ص

واذا كان هذان العبدلان لا يسلمان من التشكيك فيهما فلمـــاذا لاتتجه بأبصارنا الى عبد الله آخر تقر المصادر الاسماعيلية نفسها بمكانته الكبيرة فى الحركة الاسماعيلية وبأنه كان حجابا وسترا على الامام وهاديا اليه لا يتعرف اتباع الاسماعيلية على امامهم الا بواسطتة ونقصد بذلك عبد الله بن ميمون القداح الذى يذكر صاحب كتاب التراتيب أنه كان يقوم مقام الامام ــ باذنه ــ ويأخذ العهد لنفسه (٩٨) وهو قد ينتحل اسم الامام لنفسه تقية عليه أو يتخذ الامام اسمه لنفسه على سبيل التقية أيضا ، فهل يصعب على شخص مثل ذلك أن يقتنص الامامة لنفسه وأن يكون هو عبد الله الذى تسمى باسماعيل أو هو عبد الله الذى ادعى أن أصل اسمه اسماعيل . وليس هناك من يمنعه عن القيام بذلك فلا أحد يعرف الامام المستور غيره وأحد العبدلين لم يعقب وثانيهما ترك وريثه محمدا فى حد الطفولية (٩٩) أو لعله لم يكن قد ولد بعد حين توفى (١٠٠) .

اذا تجاوزنا عن كل ذلك ووصلنا الى شخصية محمد بن اسماعيل الذى يفترض أنه وريث اسماعيل الذى تنسب اليه الاسماعيلية مهما كانت حقيقة هذا الاسم الباطنة فسوف نلاحظ أن الاســماعيلية وان كانت تستقى اسمها من اسماعيل (١٠١) فانها تجعل لمحمد بن اسماعيل مكانة الذروة فى الحركة الاسماعيلية ، اذ أنه ليس أول الأئمة المستورين فحسب ولكنه أيضا الامام السابع المتمم للدور (١٠٢) .

---

(٩٨) كتاب التراتيب ص ١٣٨ .

(٩٩) خطاب بن الحسن : غاية المواليد (من المنتخب) ص ٣٦ .
ويحدد الداعى ادريس (زهر المعانى ص ٤٧) سنة حينذاك بثلاث سنوات لكن جعفر بن منصور اليمن (اسرار النطقاء ص‌ص ٨٢ ــ ٩٩) يجعل عمره ١٤ سنة ويصفه بانه كان رجلا كاملا جائز القول مقبول الشهادة .

(١٠٠) عبد الله المرتضى : الفلك الدوار ، ص ١٢٥ .

(١٠١) يرى الغزالى (فضائح الباطنية ص ١٦) أن الاسماعيلية نسبة الى أن زعيمهم محمد بن اسماعيل .

(١٠٢) يفسر فيلسوف الاسماعيلية السجستانى (اثبات النبوءات ، ص ١٨١) معنى الدور بقوله « معنى اسم الدور على نوعين : دور كبير ودور صغير فالدور الكبير يبتدى من آدم عليه السلام الى القائم سلام الله عليه أما الدور الصغير فهو بين كل ناطق وناطق وتتخلل الدور سبعة ائمة مستقرين الا فى الفترات التى تحدث لعلل واسباب فمن آدم الى نوح دورا صغيرا ومن نوح الى ابراهيم دورا صغيرا ... الى موسى ... الى عيسى ... الى محمد ومن محمد الى القائم دورا صغيرا » .

لكن شخصية محمد بن اسماعيل من أكثر الشخصيات الاسماعيلية اثارة للجدل • ففضلا عما ذكره الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى من أنه فى الحقيقة ليس محمد بن اسماعيل ولكنه محمد بن عبد الله فان المصادر الأخرى الاسماعيلية لا تتفق فيما تقوله عنه فى حياة أبيه ، فيذكر عبد الله المرتضى أن اسماعيل توفى قبل ولادة ابنه وزوجه حامل فيه (١٠٣) ويناقض الداعى ادريس نفسه تناقضا شديدا فيما كتبه عن ذلك ، ففى زهر المعانى يذكر أن عمره كان حين وفاة أبيه ثلاث سنوات (١٠٤) بينما يذكر فى عيون الأخبار أن عمره وقتذاك كان ست وعشرون سنة (١٠٥) لكن جعفر بن منصور اليمن لايزيد فى عمره حين وفاة أبيه عن أربعة عشرة سنة يرى أنها تجعله أهلا للامامة وتقبل بها شهادته (١٠٦) •

وتصر الرواية الاسماعيلية على أن اسماعيل كان قد نص علـى ابنه محمد وفوض اليه أمر الامامة من بعده (١٠٧) مخالفة بذلك المقولات التى لا تمل ترديدها لكنها لا تتردد فى أن ترمى بها عرض الحائط اذا تعارضت مع أهدافها السياسية وها هى تفعل ذلك ، اذ كيف يمـكن لاسماعيل أن ينص على امامة ابنه محمد والامامة لم تصل اليه أصـلا من أبيه جعفر الصادق الذى كان لا يزال على قيد الحياة حين وفاة ابنه اسماعيل ، فمن مقولات الاسماعيلية أن الامام لا يكون أماما ولا يتسمى بالامامة حتى يغيب الامام الذى أفضى اليه بالامامة (١٠٨) • ولذلك لم يكن القائم بأمر الله ثانى خلفاء الظهور العبيديين اماما فى حياة أبيه عبيد الله المهدى وانما كان حجة له ولذا قال لجوذر حين وفاة المهدى : « يا جوذر لا يحل للحجة بعد الامام أن يدفن الامام حتى يقيم حجة لنفسه ولم يحل لى ذلك حتى أقيم حجتى » (١٠٩) • وقياسا على ذلك لا يحل لاسماعيل أن يكون

(١٠٣) الفلك الدوار ، ص ١٢٥ .
(١٠٤) زهر المعانى ، ص ٤٧ .
(١٠٥) عيون الأخبار ، سبع ٤ ، ص ٣٥١ .
(١٠٦) اسرار النطقاء (من المنتخب) ص ٨٢ .
(١٠٧) يقول البهروجى (الأزهار ص ٢٣٥) « لم يفارق اسـماعيل الدنيا حتى نص على ولده محمد بن اسماعيل وفوض أمر الامامة اليـه واقامه مقامة باذن أبيه الامام جعفر الصادق » .
(١٠٨) محمد كامل حسين : مقدمة سيرة جوذر ، ص ٢١ .
(١٠٩) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ص

اماما فى حياة أبيه جعفر الصادق ولا يحل تبعا لذلك أن ينص على ابنه أو أن يوصى اليه بشىء لم يصل اليه بعد . ويبدو أن الرواية الاسماعيلية أدركت ضعف حجيتها فى هذا الموقف فأشارت الى أن اسماعيل أوصى لابنه بعد اذن أبيه جعفر فى ذلك وبرضاه لكنها تناست أنها تدعى أن النص لابداء فيه ومن ثم فالأولى ألا يكون فيه اذن .

واذا قورن قول القائم بأمر الله العبيدى انه كان حجة لأبيه وولى عهده ووريثه بما قيل عن أن عبد الله بن ميمون القداح كان حجة لاسماعيل ومحمد بن اسماعيل وسترا عليهما وهاديا اليهما ، واذا لاحظنا أنه لم يسبق أن كان هناك حجة من غير البيت العلوى على حد مايرويه الاسماعيلية أنفسهم أن الحسين بن على جعل أخيه محمد بن على (ابن الحنفية) سترا وحجة على ولده على زين العابدين وجعل زين العابدين ابنه زيدا سترا وحجة على ولده محمد الباقر وجعل جعفر الصادق ابنه موسى الكاظم سترا على أخيه اسماعيل فلماذا اذن شذ اسماعيل عن سنة أسلافه واتخذ حجته من غير أبناء البيت العلوى اذ اتخذ عبد الله بن ميمون القداح حجة له ؟ ! وهل هناك ما يمنع ابن القداح — الذى تختلط شخصيته بشخصية امامه — ويتسمى كل منهما باسم الآخر — من تقديم نفسه للاسماعيلية — الذين لا يعرفون امامهم الا بواسطته — على أنه وريث الامام وحجته ويدعم موقفه بادعاء الانتساب الى البيت العلوى على اعتبار أن الحجج لم يكونوا سابقا الا من بين أبناء البيت العلوى .

واذا أسقطنا جانبا القول بأن محمد بن اسماعيل مات دون أن يعقب فسنجد فيما يروى عن أولاده أكثر من قول ، يذكر البعض أنه أعقب فى رجلين فقط هما جعفر واسماعيل (١١٠) بينما يذكر الداعى ادريس أن محمد ابن اسماعيل ترك فى المدينة ولدين خاليين من الامامة هما اسماعيل وجعفر (١١١) وخرج الى ينسابور فتزوج بها امرأة ولدت له ولدا أسماه عبد الله وجعل الامامة فيه (١١٢) ويذكر ادريس نفسه — فى كتاب آخر —

---

(١١٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ١٥ .

(١١١) والرقاعى : صحيح الاخبار ، ص‌ص ٤٥ — ٤٦ .

Ivanow, Thealleged founder of Ismailism p. 157.

(١١١) لاحظ ايفانوف انهما لم يلعبا أى دور فى الحركة الشيعية

(١١٢) زهر المعانى (من المنتخب) ص ٤٩ .

أن محمد بن اسماعيل أنجب عبد الله هذا من فاطمة بنت أخت اسحاق ابن عباس الفارسى (١١٣) ثم خرج الى الرى ومنها الى ناحية سرحة بنهاوند فتزوج فيهـا سريوه بنت منصور بن جوش فرزق منها بأربعـة أولاد ذكور ، أمدنا الداعى الاسماعيلى ادريس بأسماء ثلاثة منهـم فقط هم : حسين وعلى وأحمد (١١٤) .

أدى تعدد الأقوال فى أولاد محمد بن اسماعيل الى تعددها فى الأئمة من بعده ومن ثم وقع الاختلاف فى النسب العبيدى المنحدر عن محمد بن اسماعيل فالمقريزى — وهو أحد من يرى أن محمد بن اسماعيل لم يعقب الا فى ولديه جعفـر واسـماعيل — يذكر أن الامام بعد محمـد بن اسماعيل الملقب بالمكتوم — هو ابنه جعفر — المصدق — وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب فولد محمد الحبيب عبيد الله المهدى أول خلفاء الظهور بالمغرب (١١٥) . غير أن الداعى ادريس يذكر أن جعفر وأخيه اسـماعيل اللذين أنجبهما محمد بن اسـماعيل بالمدينة كانا خاليين من الامامة دون أن يذكر سببا لذلك ويقول الداعى الاسماعيلى أن محمد بن اسماعيل تزوج فى سابور من امرأة لم يسمها وانما سمى خالها وأنجب محمد بن اسماعيل من هذه المرأة عبد الله الذى أوصى اليه بالامامة . وهكذا يخالف الاسماعيلية مرة أخرى مقولة « النص » التى طالما تشدقوا بها ويرمى الداعى ادريس بها عرض الحائط ، اذ كيف يجعل محمد بن اسـماعيل الامامة فى ولده عبد اللـه الذى أنجبه بنيسابور دون ولديه اللذين تركهما فى المدينة مع أن الامامة — فى رأيهم — لا تصـح الا فى الأعقاب الأكبر فالأكبر .

واذا كانت توصية محمد بن اسماعيل بالامامة الى عبد الله تظهر عدم التزام الاسماعيلية بمقولة النص التى يجعلونها أساس وصول الامامة الى أئمتهم فانها تظهر أيضا حرص الاسماعيلية على استمالة الفرس الى دعوتهم بجعل الامامة فى امام تجرى فى عروقه الدماء الفارسية من ناحية أمه « بنت أخت اسحاق بن عباس الفارسى » مما يعيد الى الذاكرة محاولة الشيعة من قبل اجتذاب الفرس الى صفوفهم بقولهم ان على زين العابدين ولد الحسين بن على من شهربانوه بنت كسرى يزدجرد آخر أكاسرة الفرس .

(١١٣) عيون الأخبار ، سبع ٤ ص ٣٥٣ .
(١١٤) نفس المصدر ، سبع ٤ ص‌ص ٣٥٤ — ٣٥٦ .
(١١٥) اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ١٦ .

واذا كان لنا أن نساير الرواية الاسماعيلية حتى آخر الشوط فانها تذكر أن عبد الله الذى أصبح اماما بعد أبيه محمد بن اسماعيل رجع الى نهاوند وتزوج فيها من ابنة حمدان ابن عم منصور بن جوش الذى كان محمد بن اسماعيل قد تزوج من ابنته سريوه وأنجب منها أربعة أخوة لعبد الله (١١٦) وكان حمدان الذى تزوج عبد الله ابنته من أهل كارزون وقد انجبت ابنته للامام عبد الله ولدا يدعى على . لكن ملاحقة العباسيين لعبد الله وشدة طلبهم اياه جعلته يتخفى فاستخلف على ولده المدعو على وغاب حتى لم يعرفه أحد من حدوده ولا من شيعته (١١٧) ونزل عبد الله متخفيا بقرية تعرف بأشناس على مقربة من بلاد الديلم وتزوج هناك امرأة علوية أنجبت له ولدا أسماه أحمد هيأه للخلافة من بعده وقلده أماناته وعهده ونص عليه (١١٨) .

وهنا يصعب علينا التغاضى عن المتناقضات العديدة التى تتخبط فيها الرواية الاسماعيلية ، فبينما يذكر الداعى ادريس أن عبد الله تخفى وغاب حتى لم يعرفه أحد من شيعته ولا من حدوده يذكر أنه نزل بأشناس وأن دعوته انتشرت وقام بها الدعاة وكثر أهل ولايته فى جميع الجهات (١١٩) بل يذكر أيضا أن عبد الله فرق دعاته فى نواحى الأرض وأمر الناس بطاعة أخيه الحسين بن محمد بن اسماعيل واستخلفه مكانه وخرج فى اثنين وثلاثين رجلا من الدعاة الى بلاد الديلم يدعون الناس ويعرفونهم بالامام (١٢٠) .

وفضلا عن هذه المتناقضات التى نوهنا اليها ، فقد ذكر الداعى ادريس أن الامام عبد الله تخطى ابنه الاكبر المدعو على الذى أنجبه

---

(١١٦) يرى ايفانوف — على سبيل انكار ان يكون عبد الله بن ميمون القداح جدا للعبيديين — ان اسم عبد الله بن محمد بن اسماعيل يسهل تحويله الى عبد الله بن ميمون القداح بل يسهل ذلك ايضا مع اسماء عبد الله التى ظهرت بعد ذلك فى سلسلة النسب العبيدى . انظر :

(Ivanow; the Rise of Fatimids, p. 141, 150).

(١١٧) الداعى ادريس : عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٣٥٧ .

(١١٨) نفس المصدر ، سبع ٤ ص ٣٥٨ .

(١١٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٢٠) نفس المصدر ، سبع ٤ ص ٣٦٣ .

من ابنة حمدان — كما سبق القول — وأوصى بالامامة لابنه أحمد الذى أنجبه من امرأة علوية — هكذا — بقرية أشناس ، وبذلك يخالف عبد الله مقولة « النص » التى تتشدق بها الاسماعيلية مثلما خالفها أبوه محمد بن اسماعيل من قبل مما يؤكد — مرة أخرى — أن هذه المقولة لم يكن لهـا وجود فعلى فى أكثر الأحيان مثلما لم يكن لها وجود نظرى مبكر فقـد أنكر القول بها زيد بن على ولم يلتزم بها محمد بن اسماعيل ولا ابنه عبد الله بل يمكننا القول — اعتمادا على الداعى ادريس نفسه — ان اخوة عبد الله بن محمد بن اسماعيل وأعقابهم لم يعنوا كثيرا بمقولة « النص » أو لم يكن لديهم معرفة بها فلم ينقادوا لامامة عبد الله وكان منهم من يدعو لنفسه ويجمع حوله الاتباع ولا يلتزم بالستر ولا بالتقية ، يدل على ذلك أن على بن محمد بن اسماعيل الملقب بعلى الليث أطاعة أهل نهاوند لقرابته من ملكهم منصور بن جوش واجتمع له منهم جيش بلغ نحو ألفين من الفرسان والرجالة لكنه سرعان ما قتل بأيدى جنـد العباسيين . أما الحسين بن محمد فقد اشتغل بدراسة الكتب حتى اذا بلغه خبر أخيه على خرج خائفا الى أخيه أحمد المقيم بخوارزم فلحق به قوم من العامة المناصبين له بالعداء فقتلوه هو وجميع من كان معه من أهله وأصحابه لم ينج منهم غير أحمد بن أخيه على فلما شب أحمد بن على هذا جمع من انضم اليه من الشيعة وقتل قتلة عمه الحسين بن محمد ورجع الى مستقره فى رستاق أبل فى مهدى كدكاه (١٣١) .

ويذكر الداعى ادريس أن الامام عبد الله بن محمد بن اسـماعيل لما سمع بما جرى على اخوته خرج من الأهواز ومعه ولده أحمد بن عبد الله الى سامراء وأقام بها مدة وكتب الى دعاته يخبرهم بسلامته ثم انه قصد من سامراء الى الشام فى زى التجار فنزل سلمية وابتنى بها دارا وهو فى هيئة التجار وكان فيها قوم هاشميون من بنى العباس وغيرهم فانتسب اليهم وأخفى اسمه واسم ولده ولم يعلم الدعاة فى أى جهة هو فاجتمعوا وافترقوا فى طلبه (١٣٢) .

---

(١٣١) عيون الاخبار ، سبع ٤ ، ص ٣٦٤ .

(١٣٢) نفس المصدر ، سبع ٤ ص ٣٦٥ .

على الرغم مما ذكره الداعي ادريس أن الامام كتب الى دعاته يخبرهم بسلامته فان الرواية الاسماعيلية تتحدث عن فقدان الدعاة لامامهم وخروجهم للبحث عنه لكن الروايات الاسماعيلية تتفاوت فيما بينها فيما تذكره عن كيفية بحث الدعاة عن أنفسهم ووصولهم اليه ، فالداعي ادريس يذكر أن مهدى بن هرمز خرج للبحث عن الامام حاملا معه أربعة آلاف دينار من نفقات الأتباع ، فاشترى شيئا من العطر وتستر ببيعه وهو يسأل عن صفة الامام الى أن بلغ سلمية فدل على صاحب الصفة حتى اذا انتهى الى باب قصر الامام أذن له بالدخول فلما حضر بين يدى الامام فرح به وسره قدومه وأدى مهدى بن هرمز الأمانة الى ولى أمره وامام عصره ورجع الى وطنه يقيم الدعوة هناك (١٢٣) .

غير النيسابورى يذكر أنه لما فقد الامام وتحير الدعاة اجتمع وجوههم بمدينة عسكر مكرم وهم سبعة نفر (١٢٤) واجتمعوا مع الأولياء والمحبين فجمعوا نفقات وقالوا لهؤلاء امضوا فتفرقوا على خراسان والعراق وجزيرة حران واليمن واطلبوه فخرجوا فتفرقوا مع كل واحد منهم صفة الامام وتخفوا فى هيئة الطوافين على دوابهم يبيعون الفلفل والريحان والمغازل والمرايا واللبان وما يصلح للنساء حتى دخلوا اقليم حمص بمعرة النعمان وجعلوا الميعاد بينهم فى الجامع فخرج أبو غفير — أحد الدعاة — الى معرة النعمان فدله صبى وامرأة على وجود الامام بدير عصفورين فركب حماره ومضى حتى وصل الدير وأخرج الكتاب الذى معه فيه الصفة والهيئة ولم تكن له معرفة به قبل ذلك ولما وقف عليه عرفه بالصفة فقال له يا هذا انما جئت الى هذا الموضع لأستر نفسى فيه فجئتم لتكشفونى فخرج أبو غفير فاجتمع بأصحابه فمضوا بجماعتهم الى دير عصفورين فاجتمعوا مع الامام ورغب فى تغيير المكان فداروا مدينة شيون ومدينة حماة وكفر طاب ثم أتوا الى سلمية وكانت مدينة محدثة بناها محمد بن عبد الله بن صالح العباسى فقالوا له ان هاهنا رجلا بصريا من التجار فاشتروا له دار أبى فرحة فنزل الامام بسلمية كسائر التجار

---

(١٢٣) عيون الاخبار ، سبع ٤ ص ٣٦٥ .

(١٢٤) استتار الامام ، ص ص ٩٣ — ٩٤ .

فلما نزل بها زاد دورا كثيرة وهدم وبنى فأحدث قصرا شامخا وبث دعاته الى جميع البلدان سرا وولد له بها أحمد وابراهيم ولما توفى كانت الامامة لأحمد دون ابراهيم (١٢٥) .

يوجد فيما سبق اختلاف بين ادريس والنيسابورى فى كثير من الوقائع خاصة فيما يخص أحمد بن عبد الله الذى يذكر ادريس عنه أنه خرج مع أبيه من الأهواز الى سامراء الى سلمية بينما يذكر النيسابورى أنه ولد بسلمية . وتجاوزا عن هذا التباين فقد استقر الامام عبد الله فى نهاية المطاف بسلمية وتوفى بها ودفنه ابنه الامام أحمد بن عبد الله فيها . ويضيف الداعى ادريس أن أحمد بن عبد الله تزوج بسلمية من امرأة أنجبت له ولدا يدعى الحسين بن أحمد هو والد عبيد الله المهدى (١٢٦) .

وواقع الأمر أن لدينا عدة قوائم لأئمة الاسماعيلية بين اسماعيل ابن جعفر وعبيد الله المهدى تمدنا بها المصادر الاسماعيلية نفسها منها قائمة أوردها الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى على النحو التالى :

١ ـ اسماعيل بن جعفر = عبد الله بن جعفر فى الحقيقة .

٢ ـ محمد بن اسماعيل = محمد بن عبد الله فى الحقيقة .

٣ ـ عبد الله (الميمون) بن محمد .

٤ ـ أحمد بن عبد الله = ويلقب أيضا بمحمد بن عبد الله .

٥ ـ محمد بن أحمد = ويلقب بالحسين أو محمد بن محمد .

٦ ـ على بن محمد .

٧ ـ محمد بن على وهو محمد القائم وكان المهدى حجة له (١٢٧) .

وقائمة أخرى نستمدها من خطاب بن الحسن على النحو التالى :

---

(١٢٥) استتار الامام ، ص ٩٥ .

(١٢٦) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٨٩ .

(١٢٧) الهمدانى : فى نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ٢٢ وما بعدها .

١ — اسماعيل بن جعفر .
٢ — محمد بن اسماعيل .
٣ — عبد الله بن محمد .
٤ — أحمد بن عبد الله .
٥ — الحسين بن أحمد .
٦ — على بن الحسين . والمهدى حجة له . والقائم ابن على وليس ابنا للمهدى (١٢٨) .

أما القائمة الثالثة فقد وردت عند النيسابورى والداعى ادريس على النحو التالى :

١ — اسماعيل بن جعفر .
٢ — محمد بن اسماعيل .
٣ — عبد الله بن محمد .
٤ — أحمد بن عبد الله .
٥ — الحسين بن أحمد .
٦ — عبد الله بن الحسين (عبيد الله المهدى) (١٢٩) .

ومن الملاحظ أنه يوجد اتفاق بين هذه القوائم الثلاثة حتى خامس الأئمة المذكورين وهو الحسين بن أحمد وان كانت قائمة الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدى تجعل الاسم الحقيقى للحسين بن أحمد هو محمد بن أحمد . وتتفق نفس القائمة مع قائمة خطاب بن الحسن حتى السادس من الأئمة المذكورين وهو على بن الحسين لكن قائمة النيسابورى والداعى ادريس تختلف عنهما فى ذلك اذ تجعل سادس المذكورين هو عبد الله بن الحسين وهو المعروف بعبيد الله المهدى وتجعل له مكانا فى القائمة بينما تخرجه القائمتان السابقتان من الأئمة وتجعله مجرد حجة لعلى ابن الحسين أو لابنه القائم .

---

(١٢٨) غاية المواليد (من المنتخب) ص ص ٣٦ — ٣٧ .
(١٢٩) استتار الامام ، ص ٩٥ وعيون الاخبار سبع ٥ ص ٨٩ .

غير أن صاحب كتاب التراتيب يقدم لنا قائمة رابعــة تختلف عن القوائم الثلاثة السابقة اختلافا بينا اذ جاءت كالتالى :

١ — اسماعيل بن جعفر •
٢ — انتسب الامام الحق بعد اسماعيل الى ابن أخيه وهو محمد •
٣ — أحمد الرضى بن محمد (أول المستورين) وحجابه ميمون القداح
٤ — محمد بن أحمد وحجابه عبد الله بن ميمون القداح •
٥ — أحمد بن محمد (جعل أخاه حجابا لابنه محمد الملقب بالمهدى) •
٦ — محمد (المهدى) قام بالامامة (وعمه قام بالخلافة) وانتسب محمد المهدى بالبنوه لعمه •
٧ — القائم بن محمد المهدى (وقام مقامه عمه عبد الله بأمر محمد المهدى الذى أمر أن يقوم عبد الله مقامه وتسمى باسمه وينسب القائم اليه على أنه ولده) (١٣٠) •

وفضلا عن اختلاف الروايات الاسماعيلية فيما بينهــا على نحــو ما أسلفنا ، فانها تختلف تماما عن القائمة التى قدمها المقريزى — وهــو من المتحمسين لاثبات صحة النسب العلوى للعبيديين — وقد جاءت قائمته على النحو التالى :

١ — اسماعيل بن جعفر الصادق •
٢ — محمد المكتوم بن اسماعيل •
٣ — جعفر المصدق بن محمد المكتوم •
٤ — محمد الحبيب بن جعفر المصدق •
٥ — عبيد الله المهدى بن محمد الحبيب (١٣١) •

لا يقتصر الاختلاف بين قائمة المقريزى والقوائم الاسماعيلية وانما يمتد الى الفروع التى تنحدر عنها الأئمة فاذا كان الكتاب المنســوب

---

(١٣٠) التراتيب ، ص ص ٣٧ — ١٤٠ .
(١٣١) اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ١٦ .

الى عبيد الله المهدى ينسب الأئمة الاسماعيلية الى عبد الله بن جعفر المتسمى باسماعيل وينسبهم صاحب كتاب التراتيب الى ابن أخ لاسماعيل لم يذكر اسمه فان المصادر الاسماعيلية الأخرى تنسبهم الى اسماعيل ابن جعفر نفسه لكن هذه المصادر تختلف عن المقريزى فى أنها تنسب الأئمة الى عبد الله بن محمد بن اسماعيل بينما ينسبهم المقريزى الى جعفر ابن محمد بن اسماعيل وجعفر هذا ترى الاسماعيلية — أو بالاحرى الداعى ادريس — أن أبيه محمد تركه فى المدينة خاليا من الامامة دون تبرير لذلك.

ومهما كان رأينا فى هذا الخلط فى الرواية الاسماعلية فانه قد يعد شيئا يسيرا اذا قورن بخلط الاسماعيلية فيما كتبوه عن عبيد الله المهدى . ويمكن القول ان الرواية الاسماعيلية واجهت مأزقا حقيقيا حينما أصبح لزاما عليها اثبات نسب المهدى وبيان شخصيته ، ذلك أن المهدى كان أول أئمة الظهور ولا يمكن أن تقول الرواية الاسماعيلية عنه ما اعتادت ترديده عن أئمة الستر واتخاذهم لأسماء حركية أو تبادلهم الاسماء مع الحجج والأبواب والدعاة على سبيل التقية والستر والكتمان تخفيا عن عيون العباسيين التى تلاحقهم وتتبع آثارهم .

وقد قوبل عبيد الله المهدى منذ أول ظهوره كأول خلفاء العبيديين فى أفريقية بالانكار الشديد لانتسابه الى البيت العلوى ولم يقتصر الانكار على أهل السنة وحدهم بل أنكره أيضا بعض الاسماعيلية الذين أخلصوا فى خدمتها كأبى عبد الله الشيعى صاحب الفضل الأكبر فى اقامة دولة العبيديين فى افريقية وأخيه أبى العباس المخطوم ، ولقد بهت المهدى بهذا الانكار لنسبه من جانب هؤلاء الاسماعيلية المقربين فلم يجد وسيلة للرد عليهم سوى الفتك بهم والخلاص منهم لكنه رغم ذلك لم يستطع ايقاف هذا الانكار أو دحض آراء المنكرين .

ولقد سكت الاسماعيلية حينا عن الخوض فى نسب عبيد الله المهدى ظنا منهم أن تجاهل تلك المسألة سينسى الناس الخوض فيها غير أن سياسة التجاهل العبيدية لم تجد فتيلا فما من خليفة من خلفاء العبيديين الأوائل الا واجهته هذه المشكلة وقوبل بانكار المنكرين لانتساب العبيديين الى البيت العلوى فلم يجد الاسماعيليون بدا من نسج نسب لعبيد الله المهدى يرفعونه الى البيت العلوى لكنهم لما كانوا يبنون على غير أساس فقـد

تخبطوا وتباينت أقوالهم على النحو الذى انعكس على كتبهم التى عجزت عن رتق الفتوق على الرغم من توفر الفرصة أمامها لتصوغ نسبا محكما لكنها لما كانت لا تستند الى أساس متين ولا صحيح فقد ذهبت محاولاتها سدى وفشلت فى نسج نسب علوى محبوك لعبيد الله المهدى .

لقد اختلفت أقوال الاسماعيلية فيمن هو المهدى ؟ وفيمن هو أبيه ؟ وفى تحديد علاقته بالقائم بأمر الله الذى خلفه على الخلافة العبيدية فى افريقية ، وتتخبط تلك الأقوال جميعها فى عبارات غامضة متداخلة تهدف الى التعمية والتضليل أكثر مما تهدف الى الابانة والتنوير اذ يختلف ما يذكره الكاتب الاسماعيلى الواحد عن المهدى من كتاب لآخر بل من فقرة لأخرى فى بعض الأحيان .

فالقاضى النعمان بن حيون المغربى — قاضى قضاه العبيديين وداعى دعاتهم — يقول « ولما انتهت الامامة الى المهدى وقبض الامام قبله الذى كان عهد فيها اليه .... وخاف المهدى بنى العباس على نفسه ... فخرج بنفسه وبالامام ابنه — القائم من بعده — معه ، وهو يؤمئذ غلام حدث السن والمهدى شاب عندما كمل حتى انتهى الى مصر » (١٣٢) . ويضيف القاضى النعمان « ... الى أن خرج من مصر ومعه ابنه » (١٣٣) ويضيف أيضا « عهد — أى المهدى — الى محمد أبى القاسم ابنه القائم » (١٣٤) .

وهكذا يثبت القاضى النعمان — مرارا — بنوة القائم للمهدى دون أن يفصح عن صلة المهدى بالامام الذى كان قبله والذى عهد اليه بالامامة ، لكنه القاضى النعمان نفسه فى كتاب آخر يروى على لسان المعز لدين الله رابع خلفاء العبديين ما يفيد أن قصر المهدى غير قصر القائم ونساء المهدى وأهل بيته غير نساء القائم وذريته بمعنى أنه كانت توجد فروق وحدود بينهما وأن القائم لم يكن ابنا للمهدى ولا امتدادا له (١٣٥) . ويذكر القاضى

---

(١٣٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ .
(١٣٣) نفس المصدر ، ص ١٦١ .
(١٣٤) نفس المصدر ، ص ٣٢٤ .
(١٣٥) المجالس والمسايرات ، جـ ٨ ص ص ٥٤٢ — ٥٤٣ .

النعمان أيضا أن المهدى أراد أن يصرف الامامة عن القائم ويؤثر بهـا من قرب منه ممن لم يجعله الله عز جل له فكلما نصب لذلك واحدا مات الى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة اذ لم يجد غيره فقال القائم الآن يا عم بعد أن فعلت ما فعلت فردها الله عز وجل الى صاحبها المستقرة فيه وأخرجها من يد من كانت مستودعة عنده بعد أن جهـد فى صرفها الى من قرب منه جهده فليس المستقر كالمستودع ولا الوكيل كالموكل ولا الوصى كالموصى عليه (١٣٦) .

والداعى المطلق ادريس يناقض نفسه هو الآخر من كتاب لآخر فيذكر ان المهدى بالله هو أبو محمد عبد الله بن الحسين بن أحمد وان أباه استكفل له عمه أبا على الحكيم محمد بن أحمد المكنى بسعيد الخير (١٣٧) لكنه يذكر فى موضع آخر أن المهدى لم يكن الا سعيد الخير نفسه وأنه كان « الحجاب الأعظم والباب الأشرف الأكرم حامل أمانة الله ووديعته ومسلمها الى القائم بأمر الله ولده المنتسب اليه بتعليمه وافادته وهـو لخليفته القائم منه » (١٣٨) ويضيف أن « الامام صاحب الزمان تقدم للهجرة الى المغرب والمهدى فى كنفه فأظهر النقله فى سفره وأوصى الى أخيه سعيد الخير واستكفله واستودعه لولده وكفله سعيد الخير وتسمى بالامامة بأمر الناس عليه سترا على ولى الله واخفاء لمقامه عند أهل دعوته حتى يكون أوان ظهوره وأمر الحـدود بذلك وأن يكنوه بالشمس الطالعة سترا على ولى الله القائم من بعده .... فظهر من سجلماسه ومعه الامام القائم بأمر الله محمد بن عبد الله المستحق بعده للخلافة والذى اليه دعوة الأولياء كافة والمهـدى بالله كافل له فى كفالته ويشير بعالى مقامه الى دعوته » (١٣٩) ومعنى هذا أن المهدى سواء كان سعيد الخير أو شـخص آخر كان فى كنف الامام « صاحب الزمان » لم يكن والد القائم وانما كان

---

(١٣٦) نفس المصدر ، جـ ١٩ ص ص ٤١٠ — ٤١١ .
يذكر النيسابورى شيئا مشابها لذلك عن وصول الامامة للمهدى نفسـه سنورد ذكره لاحقا .

(١٣٧) عيون الاخبار ، سبع ٤ ، ص ص ٤٠٣ — ٤٠٤ .

(١٣٨) زهر المعانى ، ص ص ٦٦ — ٦٧ .

(١٣٩) نفس المصدر ، ص ٦٦ .

والد القائم هو الامام المكنى عنه بصاحب الزمان (١٤٠) • ولعلنا نلاحظ أن كلا من القاضى النعمان والداعى ادريس يظهران فى كتب الظاهر أن القائم بأمر الله ابن للمهدى لكنهما يبطنان فى كتب الباطن أن القائم بأمر الله لم يكن ولدا للمهدى من صلبه وانما هو على الاكثر ابنه المتبنى المنتسب اليه بتعليمه وافادته ولا تعدو أبوة المهدى له الا الأبوة الروحية •

أما الداعى الاسماعيلى خطاب بن الحسن فيذكر أن الامامة انتهت الى على بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل وأن عليا هذا هو الذى أرسل ابن حوشب الى اليمن وأبا عبد الله الشيعى الى المغرب فلما مكنا له فى تلك النواحى خرج يريد بلاد المغرب « حتى كان فى بعض طريقه فأظهر الغيبة واستخلف حجته سعيد الملقب بالمهدى سلام الله عليه فثبت قواعد الدعوة ••• فلما حضرت المهدى النقله سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن على القائم بأمر الله تعالى وجرت الامامة فى عقبة سلام الله عليه » (١٤١) ولا يعنى ذلك الا أن القائم بأمر الله لم يكن ابنا للمهدى بل كان ابنا لعلى بن الحسين •

أما النيسابورى فيذكر أن المهدى كان ابنا للحسين بن أحمد وأن سعيد الخير كان أخا لوالد المهدى أى أنه سعيد بن أحمد ، وقد ولد للحسين بن أحمد ولد هو المهدى فاستودع له حين نقلته أخاه سعيد بن الحسين — سعيد الخير — اذ كان ولده — المهدى — يومئذ فى حال الطفولية لكن سعيد الخير استبد بالامامة وأراد أن ينقلها لأولاده فهلكوا جميعا فعلم سعيد الخير حينذاك أن الحق لا يفارق أهله فتاب وأناب وجمع دعاته وأعلمهم أنه مستودع للمهدى واعترف له بالوديعة وصارت الامامة

---

(١٤٠) يرى الدروز — وهم اسماعيلية حاكمية يعتقدون فى الحاكم بأمر الله اعتقادا خاصا — ان المهدى آخر الائمة المستودعين (لدور الستر) وانه من نسل الامام المستودع الاول عبد الله بن ميمون القداح الاهوازى بينما كان ابو القاسم محمد (القائم بامر الله) آخر الائمة المستقرين (فى دور الستر) الذين ينتسبون الى الامام اسماعيل بن جعفر الصادق اى انه لم يكن ابنا لعبيد الله المهدى •

— يوسف سليم الديبسى : اهل التوحيد « الدروز » لبنان ١٩٩٢ جـ ١ ص ٢٥٢ •

(١٤١) غاية المواليد (من المنتخب) ص‌ص ٣٦ — ٣٧ •

الى المهدى الذى رحل آخذا معه أبا القاسم ولده وجعفر الحاجب (١٤٢) • ومعنى هذا أن النيسابورى ينفى أن يكون المهدى هو سعيد الخير ويثبت بنوة القائم بأمر الله للمهدى •

ويذكر جعفر الحاجب أن القائم بأمر الله ابن للمهـدى أنجبه من ابنة عمه (١٤٣) ويوضح البهروجى شخصية عم المهدى الذى زوجه ابنته بأنه أبو على الحكيم محمد بن أحمد الملقب بسعيد الخير (١٤٤) •

على هذا النحو تتخبط الروايات الاسماعيلية وتضطرب قائلة حينا ان المهدى والد القائم وحينا آخر انه ليس بأبيه ، وتذكر حينا ان سعيد الخير هو عم المهدى وتذكر حينا آخر ان سعيد الخير هو المهدى نفسه ، ويرجع هذا التخبط والاضطراب الذى يعترى الروايات الاسماعيلية الى اصرارها على اختلاق نسب علوى لعبيد الله المهدى دون سند أو دليل (١٤٥) •

ويبدو أن الاسماعيلية قد أدركوا جسامة التخبط الذى وقعوا فيه واضطراب تسلسل الأئمة الذى ابتدعوه فحاولوا تبرير ذلك التناقض بمقولات أخذوا فى اشاعتها والترويج لها كالتبنى الروحى والامامة المستقرة والمستودعة (١٤٦) وتعدد أسماء الامام الواحد حتى أنهم جعلوا للامام الواحد سبعة أسماء : اسم جسمانى واسم نفسانى واسم روحانى واسم طبيعى واسم حقيقى واسم ظاهر واسم باطن (١٤٧) •

وفضلا عن هـذا فانهم يميزون بين الامامة والخلافة فلا يقصدون بالخلافة خلفاء الظهور وانما يقصد بها من يقوم بالأمر نيابة عن الامام المستور ، يقول صاحب كتاب التراتيب « فقام محمد المهدى بالامامة وقام عنه بالخلافة » وهو فى هذا يتحدث عن دور الستر (١٤٨) ويذكر أيضا

---

(١٤٢) استتار الامام ، صص ٩٥ — ٩٦ .
(١٤٣) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٠٨ .
(١٤٤) الأزهار ، ص ٢٣٦ .
(١٤٥) احسان الهى ظهير : الاسماعيلية ، ص ٢٢٨ وما بعدها .
(١٤٦) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ج ١٩ ص ٤١٠ وكتاب التراتيب ص ١٣٨ وخطاب بن الحسن : غاية المواليد ص ٣٦ والداعى ادريس : زهر المعانى صص ٦٦ — ٦٧ .
(١٤٧) احسان الهى ظهير : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .
(١٤٨) كتاب التراتيب ، ص ١٣٨ .

أن القائم بأمر الله قام بصورة الجود الكلي والفيض الالهى — يقصد الامامة — وقام عمه عبد الله بالخلافة والنيابة (١٤٩) فهو بذلك يميز بين الامامة والخلافة جاعلا اياهما أشبه ما يكون بالامامة المستقرة والامامة المستودعة . وجدير بالذكر أن الداعي الاسماعيلى حسن بن نوح البهروجى يميز بين الأئمة والخلفاء على نحو آخر ، اذ يجعل الأئمة سبعة تفر من الحسن بن على بن أبى طالب حتى محمد بن اسماعيل بن جعفر ويجعل الخلفاء سبعة أيضـــا من عبد الله بن محمد بن اســـماعيل حتى المعز لدين الله العبيدى ، بل يقسم الخلفاء الى قسمين : ثلاثة مستورين وأربعه ظاهرين دون أن يذكر سببا لهذا التقسيم .

وقد انساق بعض الدارسين وراء تلك المقولات التى برعت الدعاية الاسماعيلية فى ابتداعها وترويجها واعتقدوا أن فيها التفسير الصحيح للتخبط والاضطراب الذى يعترى سلاسل نسب الأئمة العبيديين ، فأخذ ماسينيوى بفكرة التبنى الروحى بمعنى أن التلميذ يعتبر ابن روحى لمعلمه ، ويرى أن هذه البنوة الروحية كانت عند الاسماعيلية أهم من البنـــوة الجسدية وبموجبها كان عبد الله بن ميون القداح الابن الروحى لمحمد ابن اسماعيل . وعلى الرغم من أن هذه الفكرة قد قادت ماسينيون الى القول بأن الأئمة الذين جاءوا بعد محمد بن اسماعيل كانوا قداحيين غير علويين الا أنه ينتقص من هذه الفكرة أن المصادر الاسماعيلية أشارت الى أن عبد الله بن ميمون القداح كان استاذا لمحمد بن اسماعيل ووصيا له فيكون بذلك — ووفقا التبنى الروحى — أبا روحيا لمحمد بن اسماعيل وليس ابنا روحيا له .

ويأخذ برنارد لويس بفـــكرة التبنى الـــروحى كما انتهى اليهـــا ماسينيون ، لكنه يرى (١٥٠) ، أن الأئمة المستورين لم يكونوا جميعا

---

(١٤٩) نفس المصدر ، ص ١٣٩ .

(١٥٠) استند لويس ـ رأيه هذا الى مصادر درزية خاصة رسالة لاسماعيل التميمى وهو الحد الثانى من حدود الدعوة الدرزية أو ما يسمونه النفس الكلية وعنوان تلك الرسالة « كتاب فيه تقسيم العلوم واثبـــات الحق وكشف المكنون » وهى من رسائل الكتاب الثانى من الكتب الدرزية الستة المعروفة بكتب الحكمة الستة . وقد قابل لويس بين ما جاء فى تلك الرسالة وما جاء فى كتاب غاية المواليد للداعى الاسماعيلى خطاب بن الحسن .
— عن الدروز وعقيدتهم وآرائهم انظـــر :
يوسف سليم الدبيسى : أهل التوحيد « الدروز » لبنان / ١٩٩٢ .

قداحيين وأن المهدى كان قداحيا الا أن القائم بأمر الله كان علويا ، ولكى يدلل لويس على صحة رأيه يضيف الى فكرة التبنى الروحى فكرة أخرى هى الامامة المستقرة والامامة المستودعة وتعنى عنده أن الامام المستودع هو الامام الحفيظ الذى يحفظ الامام المستقر ويستره فى الشدائد والأوقات العصيبة • ومزج لويس فكرة التبنى الروحى بالامامة المستقرة والمستودعة وانتهى الى القول بأن « أبناء الأئمة الروحانيين ولا سيما القداحيين منهم قد مثلوا دور الامام المستودع أو الامام الحفيظ ، وعلى ذلك فالاسماء التى جاءت فى قائمة الدروز معلمه بـ « من ولد القداح » انما تشير الى الأئمة المستودعين وسائرها من الأئمة المستقرين ••• وكان سعيد عبيد الله وهو آخر امام فى دور الحظر آخر القداحيين ثم خلفه بعد وفاته أبو القاسم محمد القائم ولم يكن ولده ولكنه كان الامام المستقر الذى كان يعمل من أجله سعيد » (١٥١) •

وجدير بالذكر أن برنارد لويس لم يكن أول من مزج فكرتى التبنى الروحى بالامامة المستقرة والمستودعة وانما سبقه الى ذلك الداعى ادريس، اذ قال عن عبيد الله المهدى « الحجاب الأعظم والباب الأشرف الأكرم حامل أمانة الله ووديعته وسلمها الى القائم بأمر الله ولده المنتسب اليه بتعليمه وافادته » (١٥٢) • فعبارة الداعى ادريس تفيد أن المهدى كان أماما مستودعا وفى نفس الوقت الأب الروحى لتلميذه القائم بأمر الله •

غير أن المستشرق الروسى ايفانوف — وهو ذو باع طويل فى الدراسات الاسماعيلية — يرى أن المصادر الاسماعيلية قبل نهاية القرن الرابع هـ / العاشر الميلادى لم تذكر شيئا عن ميمون القداح وابنه عبد الله ومن ثم فانه يرى أن ما قيل عن تأسيس عبد الله بن ميمون القداح للحركة الاسماعيلية مجرد أسطورة ويرى عدم الأخذ بفكرة التبنى الروحى التى قال بها ماسينيون وفكرة الامامة المستقرة والمستودعة التى قال بها لويس كاطار للعلاقة التى كانت تربط عبد الله بن ميمون القداح بمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق (١٥٣) •

---

(١٥١) أصول الاسماعيلية ، ص‌ص ١٢٦ — ١٢٧ •

(١٥٢) زهر المعانى ، ص ٧١ •

(١٥٣) The Alleged Founder of Ismailism pp. 161-162.

ومع أننا نميل الى رأى ايفانوف بشأن التبنى الروحى والامامة المستقرة والمستودعة ونرى أنهما من ابتداعات الاسماعيلية المتأخرة مثلها فى ذلك مثل المقولات الاسماعيلية الأخرى مثل مقولة « النص » التى ينكرها أوائل العلويين والشيعة مثل زيد بن على زين العابدين كما سبق أن أثرنا فان هذا الرأى لا يروق لبعض الاسماعيلية المحدثين ممن يزعمون أن تلك الفكرة كانت موجودة منذ القدم كنظرية أساسية تتعلق بالأصول العقائدية للاسماعيلية وبصلب التنظيمات السرية (١٥٤) .

ويبدو أن اعتراض الاسماعيلية المحدثين على موقف ايفانوف من التبنى الروحى والامامة المستودعة — على الرغم من اثباته لصحة انتساب أئمة الاسماعيلية للبيت العلوى من ناحية وجهوده فى خدمة الدراسات الاسماعيلية من ناحية أخرى — يرجع الى أنهم يرون فى فكرة الامامة المستقرة والمستودعة خروجا من المأزق الخطير الذى يواجهونه فى مسألة نسب الأئمة عموما ونسب عبيد الله المهدى على وجه الخصوص ، فالمهدى — كما سبق القول — كان أول من قوبل بانكار نسبه العلوى وكان ذلك الانكار علنيا منذ أول خلافته أو ظهوره فى افريقية حتى أن هارون بن يونس المسالتى — الملقب عند الاسماعيلية وقتذاك بشيخ الشيوخ — قال للمهدى مواجهة « انا قد شككنا فى أمرك فائتنا بآية ان كنت أنت المهدى كما قلت ؟ » ولم يجد المهدى ما يجيب به غير أن قال : « ويحك . انكم كنتم أيقنتم واليقين لا يزيله الشك » (١٥٥) . وكان الأولى بالمهدى بدلا من هذه العبارة الجدلية أن يسرد على سائله شجرة النسب العلوى التى أثمرته وانتسب اليها لكنه لم يفعل وكذلك لم يفعل من خلفه من خلفاء الظهور . وفضلا عن هذا فان كتاب الاسماعيلية المتقدمين مثل القاضى النعمان بن حيون وجعفر الحاجب وجوذر العزيزى لم يذكروا شيئا عن أسماء آباء المهدى وغاية ما يقولونه « الامام قبل المهدى » دون تصريح باسمه أو نسبه مما دعا بعض الباحثين الى القول

---

(١٥٤) مصطفى غالب : الحركات الباطنية ، ص ص ٨٩ — ٩٠ .

(١٥٥) القاضى النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ص ٣٠٦ — ٣٠٧ ، والداعى ادريس : عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ص ١١٨ — ١١٩ .

بأن سبب تلك السرية وقتذاك هو الخوف من افتضاح أمرهم واكتشاف حقيقة ادعاءاتهم الكاذبة (١٥٦) .

ولم يتوقف الشك في نسب المهدى عند حد بلاد المغرب وانما امتد هـذا الشـك الى سائر أرجاء العـالم الاسلامى ، وحـاول الكتاب الاسماعيليون الاجابة عما عجز عنه المهدى والعبيديون الأوائل فنسجوا نسبا — أو أنسـابا — للمهدى ، لكن نسيجهم جاء باليا كثير الثقوب ، ولم تكن اجاباتهم شافية ولا كافية لاقناع المتسـائلين المتشككين فى ادعاء العبيديين انتسابهم للبيت العلوى ، ويرجع عجز الاسماعيلية هذا فى تقديرنا الى العوامل الآتية :

١ — كثرة الخلط والاضـطراب والتناقض التى يعتـرى الروايات الاسماعيلية الى حد تناقض الكاتب الواحد مع نفسه واختلاف ما يكتبه فى كتب الظاهر عما يكتبه فى كتب الباطن .

٢ — اختراع الاسماعيلية لمقولات يبـررون بها نقلات الامامـة وسوقهم اياها الى شخص معين ، وادعاؤهم أن هاتيك المقولات مبادىء أساسية من أصول عقيدتهم لا تتبدل ولا تتغير لكنهم يتخلون عمليا عن تلك المقولات كلما تعارضت احداها مع نقلة من نقلات الامامة دون أن يفصحوا عن تخليهم عن تلك المقولات وانما يستمر تشدقهم بهـا غير مبالين بأن الوقائع التى يسجلونها بأنفسهم تكذب تلك المقولات وتثبت عدم التزامهم بها .

٣ — مخالفة كثير من عقائد الاسماعيلية لعقائد أهل السنة لا سيما رأيهم فى الامامة واتيانهم من الاعمال ما لم يقبله أهل السنة وانما يرفضونه ويعتبرونه دليلا على زندقة الاسماعيلية من ناحية ومن ناحية أخـرى يرون استحالة صدور تلك العقائد عن أناس ينتمون الى أهل البيت الذين لم يعهد فى أحدهم الخروج على تعاليم الدين الحنيف .

٤ — تصدى العلماء والفقهاء والمؤرخون والنسابة من أهل السنة — وغيرهم — للكشف عن حقيقة النسب العبيدى وقد أجمع عدد كبير من ثقاة أهل السنة على انكار انتساب العبيديين للبيت العلوى نخص بالذكر منهم ابن حزم الأندلسى وابن رزام الكوفى والشريف أخا محسن

(١٥٦) احسان الهى ظهير : الاسماعيلية ، تاريخ وعقائد ، ص ٢٥٧ .

العلوى والقاضى أبا بكر الباقلانى والامام أبا حامد الغزالى والقاضى عبد الجبار الهمدانى وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ممن كانت لهم مكانة كبيرة فى نفوس المسلمين على اختلاف فرقهم أو مذاهبهم .

٥ — اذا كان نفر من الكتاب السنيين قد قالو بصحة انتساب العبيديين الى البيت العلوى مثل ابن الاثير وابن خلدون والمقريزى ، فقد فند كتاب آخرون هذه الاقوال وردوها واتهموا قائليها بالميل والهوى ، مثلما اتهم كل من ابن حجر العسقلانى والسخاوى ابن خلدون بأنه أثبت صحة انتساب العبيديين الى البيت العلوى نكاية فى العلويين لما اشتهر عن سوء معتقد العبيديين واتهام بعضهم بالزندقة وادعاء الالوهية وتصريحهم بسب الصحابة فى جوامعهم ومجامعهم . أما المقريزى فقد اتهم بالانسياق وراء استاذه ابن خلدون من ناحية ولرغبته فى ايجاد صلة نسب بينه وبين خلفاء المصريين من ناحية أخرى . وكان ابن الاثير يبطن السخط على العباسيين على الرغم من وصفه الدولة العباسية أول حديثه عنها بالدولة المباركة اذ لم يكن ذلك الا على سبيل التعمية واخفاء مشاعره الحقيقية ولعله وجد فى اثبات صحة انتساب العبيديين الى البيت العلوى والاشادة بالدولة العبيدية فرصة للنكاية فى العباسيين الذين لم يكن يستطيع المجاهرة بسخطه عليهم .

هكذا يتضح لنا أن انتساب العبيديين للبيت العلوى مشكوك فى صحته ولم تستطع الرواية الاسماعيلية نفسها أن تذهب عنا هذا الشك بل ان خلطها واضطرابها وتناقضها أدعى لزيادة الشك وعدم نقصانه (١٥٧) .

(١٥٧) يذهب صديقى د. ايمن فؤاد سيد الى انه يستخلص من رسالة المهدى الى ناحية اليمن امورا ثلاثة : ان عبد الله وليس اسماعيل هو الذى عينه جعفر الصادق ليكون وريثا له وان المهدى من آل البيت وانه ابن عم فى الباطن للرجل الذى كان فى زمنه وريثا للامامة وان المهدى ربما كان مستودعا للقاسم أبى القاسم محمد الذى يبدأ به دور الظهور الحقيقى لانه هو محمد بن عبد الله الذى اشارت اليه الدعوة وزالت به التقية (الدولة الفاطمية ، ص ٣٩) ومع أننا نرى ان هذه الرسالة لا تحتمل كل هذه التخريجات فانه لا يصح — خاصة فى مثل هذا الموضوع الشائك ان تجزم باحكام قاطعة استنادا الى كتاب واحد مشكوك فى نسبته الى المهدى من ناحية ويتناقض مع كافة كتب الاسماعيلية من ناحية أخرى ولكن ينظر اليه كاحدى الروايات الاسماعيلية المتناقضة .

وأخيرا ، فان قضية النسب العبيدى قضية شائكة لا يستطيع دارس أن يدعى أنه توصل الى رأى حاسم فيها ولا نعتقد أننا أيضا قد حسمنا فيها الرأى ، ولكننا نميل بعد طول بحث وتقصى الى عدم الاقتناع بصحة ادعاء العبيديين انتسابهم الى البيت العلوى ونشك فيه بعد أن رأينا عجز المصادر الاسماعيلية نفسها عن تبديد هذا الشك ومن ثم فاننا لا نزيد على القول بأن الدولة التى أقامها الاسماعيلية فى افريقية وامتدت منها الى مصر كانت دولة عبيدية نسبة الى أول خلفائها المشهور بعبيد الله المهـــدى .

التشيع فى بلاد المغرب
قبل قيام الدولة العبــيدية

التشيع فى المغرب قبل قيام الدولة العبيدية

لم يعرف التشيع طريقة الى بلاد المغرب مبكرا ، فقد كان المشرق هو ساحة النشاط الشيعى الأولى ، خاضوا عليها معاركهم الأولى بهدف اقتناص الخلافة من الأمويين ثم من العباسيين ، فلما لم تفلح جهودهم فى المشرق تحولوا الى المغرب أملا فى تحقيق حلمهم المنشود وتعويض ما فاتهم ادراكه فى المشرق •

وجدير بالملاحظة أن القوى المعارضة لحكومة الخلافة كانت تتطلع عادة الى المشرق فى بداية نشاطها المعارض لسلطان الخلافة فاذا أصابها الفشل ، لسبب أو لآخر ، تحولت أنظارها الى المغرب تنشد فيها تحقيق ما فشلت فى تحقيقه على ساحة المشرق • يصدق هذا على الخوارج الذين ابتدأوا ثوراتهم فى المشرق فلما فشلوا فى تحقيق نتائج تذكر هناك تحولوا الى المغرب وأدركوا فيه بعض ما عجزوا عن تحقيقه فى المشرق •

ويصدق هذا أيضا على العلويين الذين تحالفوا مع العباسيين ذات يوم لمناهضة الخلافة الأموية ودعوا وقتذاك للرضا من آل محمد ، لكن العباسيين تمكنوا من تحويل الدعوة لصالحهم وقطف ثمارها وحدهم واقتنصوا الخلافة لأنفسهم فدخل العلويون فى زمرة المعارضين للخلافة العباسية ، ولما فشلت ثوراتهم فى المشرق اتجهوا كغيرهم الى المغرب فلحقوا بالخوارج وحققوا مثلهم على ساحة بلاد المغرب ما عجزوا عن تحقيقه فى المشرق •

كما يصدق هذا أيضا على الشيعة الذين توجهوا الى المغرب بعد فشلهم فى المشرق كما أسلفنا ، لكن الشيعة كانوا أكثر طموحا ممن سبقهم من الفرق المعارضة الى بلاد المغرب ، وتفوقوا على الجميع فى ضخامة انجازاتهم السياسية حتى أنهم قضوا على دول الخوارج والعلويين وضموها الى ممتلكاتهم محققين أول وحدة مغربية مستقلة عن دولة الخلافة فى المشرق •

لم يكن التطلع الى المشرق قبل المغرب مجرد فكرة ساحرة كالتى عبر عنها محمد بن على العباسى حينما وجه دعاته الى خراسان قائلا لهم انه يتطلع الى مطلع سراج الدنيا ، ولكن كان الاتجاه الى الشرق قبل الغرب

ظاهرة لافتة للنظر تستند الى كثير من الدوافع والأسباب وهى ظاهرة تحتاج الى مزيد من البحث والتقصى ولكن يكفينا فيما نحن بصدده القول بأن طريق المعارضين الى المغرب كان يمر عادة على أشلاء تجاربهم الفاشلة فى المشرق ، لكن هذه التجارب الفاشلة أكسبتهم خبرات أفادوا منها فى الميدان المغربى وكان ذلك من عوامل نجاحهم على الساحة المغربية .

على الرغم من بعد الشقة بين العلويين والشيعة الا أن بعض المؤرخين يخلط بين العلوية والتشيع فى بلاد المغرب من ذلك ما يراه بعضهم من أن ثورة خريش بن عبد الله الكندى فى تونس على ابراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة هى ثورة علوية (١) بينما يرى البعض الآخر أنها ثورة شيعية (٢) ، بل يذهب البعض الى أن الدعاية الشيعية بدأت فى المغرب قبل ثورة خريش بوقت طويل ربما يرجع الى وقت ابتداء الدعاية الخارجية فى المغرب (٣) وأن فكرة المهدى التى ترددت فى أقوال بعض فقهاء السنة كعبد الرحمن بن زياد بن أنعم حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى كانت انعكاس لفكرة المهدى الشيعية (٤) .

وفى اعتقادنا أن تسلل العلويين الى المغرب لم يبدأ الا بعد قيام الدولة العباسية التى ضيقت على العلويين فى المشرق تضييقا شديدا ، ولذلك فان أول اشارة تصل الينا عن علوى فى المغرب هى اشارة المسعودى الى قتل الأمير الأغلبى لجعفر بن اسماعيل بن موسى بن جعفر ، ويؤكد محمد الطالبى أن الأمير المشار اليه هو ابراهيم الأول مؤسس دولة الأغالبة ، وأن جعفر المذكور هو ابن حفيد جعفر الصادق وأن قتله لم يكن لنشاط شيعى اثنا عشرى بل كان نتيجة لتشكك الأمير الأغلبى فى العلويين بعد انتفاضة خريش (٥) .

---

(١) محمد الطالبى : الدولة الأغلبية ، ص ١٥٨ ، ٦٢٥ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٣٥ .

(٣) عبد الله العروى : تاريخ المغرب ، محاولة فى التركيب ، ص ١٣٠ .

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ص ٥٣٣ — ٥٣٤ .

(٥) الدولة الأغلبية ، ص ٢٢٥ .

ومن الملاحظ أن أكثر العلـويين النازحين الى بلاد المغرب كانوا من الفرع الحسنى وربما يرجع ذلك الى ان الحسنيين كانوا أكثر ميلا الى الثورات المعلنة بينما ركن لفرع الحسينى الى الهدوء بعد ما نزل به فى كربلاء وفى ثورة زيد بن على فلم يغامر الحسينيون فيما يبدو بثـورة علنية أخرى بينما كان الفرع الحسنى أكثر اعلانا للثورات ومن ثم كان أفراده أكثر نزوحا الى المغرب فرارا من الاضطهادات خصوصا من الاضطهاد العباسى الذى بز العباسيون فيه بنى أميه فكانوا أشد قسوة منهم على الخارجين عليهم من العلويين •

وقد وصلت الينا اشارات عديدة عن كثير من العلويين الـذين نزحوا الى بلاد المغرب واستوطنوها ومنهم من أقام له حكما فيها ، فقد ذكر ابن أبى زرع أن محمد النفس الزكية كان له ستة أخوة هم : يحى وسليمان وابراهيم وموسى وعيسى وادريس فبعث أربعة منهم يدعون له فى الأمصار وبعث عيسى منهم خاصة الى افريقية فأجابه بها خلق كثير من البربر وبقى هناك الى أن توفى ولم يتم الأمر (٦) •

وكانت كثير من المدن والمراكز فى المغربين الأوسط والأقصى تنسب الى نفر من العلويين ممن أسسوها أو حكموها وتمتد من حد اقليم الزاب حتى المغرب الأقصى ، وقد أشار الى هذه المراكز بعض الجغـرافيين والمؤرخين مثل اليعقوبى الذى يعد أقدم رحالة وفد الى هذه المناطق من المشرق فى القرن الثالث الهجرى • وقد أشار اليعقوبى الى حكم حسن ابن سليمان العلوى فى هاز التى كان يسكنها خليط من زناتة وصنهاجة وزواوة ، وحكم بنو محمد بن جعفر الحسنى العلوى بناحية قبيح وحكم محمد بن سليمان بن عبد الله الحسنى وذريته فى مليانة والخضراء ومدن أخرى : فى وادى شليف وسوق ابراهيم الواقعة على الساحل عند مصب وادى سلى وتلمسان وضواحيها ونماله وأسسوا مدينة صبرة التى عرفت حينئذ بمدينة العلويين • وأشار البكرى الى مواضع أخرى للعلويين مثل تنس التى كان أصحابها من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان العلوى الحسنى (٧) ومدينة حمزة — وهى غير سوق حمزة — التى بناها حمزة بن

---

(٦) الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ٧ •

(٧) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٦١ •

الحسن بن سليمان الحسنى (٨) وبنى عيسى أبو العيش من ولد محمد بن سليمان مدينة جراوة وحكمها حتى توفى ونزل بعض العلويين أرشقول والجزيرة المقابلة لها فى البحر والمسماة باسمها (٩) وغير ذلك من مدن مثل ترنانا (١٠) وتفيس (١١) .

وأشهر العلويين قاطبة وأهمهم فى تاريخ المغرب الأقصى ادريس بن عبد الله الحسنى العلوى الذى نجا من مذبحة فخ ١٦٩ هـ / ٨٧٦ م وتمكن من الهرب الى المغرب بمعونة مولاه راشد فنزل مدينة وليلى على اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى ، وكانت أوربه حينذاك من أعظم قبائل المغرب (١٢) فتمكن ادريس بن عبد الله بمعونته من اقامة دولة علوية فى وليلى هى المعروفة بدولة الأدارسة قبل أن يغتال على يد رجل زيدى يدعى سليمان بن جرير ، دسه الرشيد للخلاص من ادريس (١٣) ، لكن جارية لادريس بن عبد الله تدعى كنزة (١٤) وضعت له مولودا بعد موته قام راشد على تنشئته وأسماه ادريس وأخذ له البيعة من البربر ، وادريس الثانى هذا هو الذى اختط مدينة فاس وأرسى دعائم الدولة الادريسية (١٥) .

ولحق بادريس الأول بن عبد الله عدد من العلويين ممن نجا من مذبحة فخ المذكورة ، فقد نزح فى أثره الى المغرب أخوه سليمان بن عبد الله ، ونزل سليمان بنواحي تاهرت بعد مقتل أخيه ادريس ، لكنه

---

(٨) البكرى : المصدر السابق ، ص ص ٦٤ — ٦٥ .

(٩) نفس المصدر ، ص ص ٧٧ — ٧٨ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٨٠ .

(١١) نفس المصدر ، ص ١٦٠ .

(١٢) الاستبصار ، ص ص ٩١٤ — ١٩٥ .

(١٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٠ — ويسمى سليمان بن جرير أيضا بالشماخ .

(١٤) يسميها الرقيق القيروانى كثيرة (تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٢١٦) ولعله تصحيف .

(١٥) المكناسى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٤ وما بعدها .

لم يستقر فيها لملاحقة الأغالبة له فلحق بتلمسان ونزل بها وملكها وأذعنت له زناته وسائر قبائل البربر هناك (١٦) . وأفلت أيضا من مذبحة فخ داود ابن القاسم بن اسحاق بن عبد الله الحسنى ، ولحق ببنى عمومته بالمغرب (١٧) وغيره آخرون .

ويلاحظ بعض المؤرخين أن مراكز العلويين فى نطاق المغرب الأوسط لم تقتصر على مجالات البتر فقط بل كانت أيضا بين مضارب البرانس وأن كان أكثر نزول العلويين على فروع زناته التى سيكون عداؤها شديدا لحركة التوسع الشيعى فى بلاد المغرب (١٨) .

ويمكننا أن نلاحظ أن غالبية العلويين النازحين الى بلاد المغرب قبل التوسع الشيعى كانوا من الحسنيين ولا نكاد نعثر بينهم على حسينيا الا نادرا وذلك لأن الفرع الحسنى كان هو الأميل الى الثورات المعلنة التى تتعرض لانتقام العباسيين بينما كان الفرع الحسينى — كما سبق أن ذكرنا — أميل الى الدعة والسكينة وان كانت له مطامح سياسية فقد عمل على تحقيقها سرا فى طى الكتمان والتخفى .

يرى نفر من المؤرخين أن العلويين الذى نزحوا الى بلاد المغرب مهدوا السبيل أمام الدعوة الاسماعيلية الشيعية (١٩) بل منهم من يذهب الى أن الدولة الادريسية كانت شيعية زيدية (٢٠) ولا يوجد ما يؤيد هذا الزعم ، فليس معنى أن يكون سليمان بن جرير زيديا وأنه تقرب من ادريس الأول بدعوى حبه لآل البيت ، وترحيب ادريس الأول به (٢١) أن يكون ادريس نفسه زيديا ، وليس معنى أن يلقى ادريس فى فراره معونة من بعض المتشيعين أن يكون لذلك زيديا ، ثم لماذا يكون زيديا على وجه الخصوص ؟ الأنه حسنى والزيدية تجيز أن تكون الامامة فى

---

(١٦) الميلى : تاريخ الجزائر ، جـ ٢ ، ص ٨٨ .
(١٧) نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٨٩ .
(١٨) موسى لقبال : دور كتامة ، ص ٢٠٩ .
(٢٠) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ص ٤٢٣ وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .
(٢١) الاستبصار ، ص ١٩٥ .

الحسنيين مثلما تجيزها فى الحسينيين ؟ أم لأن ادريس نزل على اسحاق ابن محمد بن عبد الحميد الأوربى المعتزلى فيكون لذلك زيديا ؟!

أغلب الظن ان ادريس بن عبد الله لم يكن الا علويا سنيا ، فكثير من العلويين — ان لم يكن معظمهم — كانوا من أهل السنة والجماعة ، ولم تكن ثوراتهم فى الحجاز — والتى هرب ادريس بعد فشل احداها — ذات صبغة شيعية والا لما لقيت تعضيدا من أهل الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة ، وهناك من القرائن ما يشير الى أن ادريس الأول لم يكن زيديا ، فالروايات تشير الى ان اسحاق الأوربى المعتزلى لم يتبع مذهب ادريس ولكن ادريس هو الذى وافقه على مذهبه (٢٢) ومعنى هذا أن ادريس لم يكن معتزليا أصلا وانما ساير اسحاق الأوربى لغرض سياسى طلبا لتأييده ومعونته ، ويذكر ابن الآبار أن سليمان بن جرير الزيدى ناظر ادريس يوما فى شىء فخالفه (٢٣) ومعنى هذا أنه لم يكن على مذهبه ، ويذكر الجزنائى أن الثورة التى نشبت فى الحجاز والتى انتهت بمذبحة فخ كان الناس فيها يبايعون الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو جالس على المنبر عليه عمامة بيضاء وكانوا يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله (٢٤) ومعنى هذا أنها لم تكن ثورة شيعية تتخذ الخضار شعارا لها ولم تكن البيعة على طاعة الأئمة وانما كانت على كتاب الله وسنة رسوله . ولقد دعا ادريس الثانى حين بناءه مدينة فاس أن يجعلها الله دار علم يتلى بها كتاب الله وتقام بها سننه وحدوده وأن يجعل الله أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقاها (٢٥) .

وفضلا عما سبق ، ما الذى يجعل الأدارسة — ان كانوا زيدية فى الأصل — يتخلون عن مذهبهم الشيعى بهذه السرعة لاسيما وأن المغرب الأقصى كان لا يزال مجالا مفتوحا أمام الدعوات المذهبية ونشاطات الفرق الاسلامية ، ففيه اندلعت أول ثورة خارجية فى بلاد المغرب ، وأثبتت

---

(٢٢) الاستبصار ، ص ١٩٥ .

(٢٣) الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٢٤) جنى زهرة الآس وبناء مدينة فاس ، ص ١٠ .

(٢٥) نفس المصدر ، ص ٢٢ .

الوقائع والحوادث أن الدعوات المذهبية كانت تلقى قبولا في كثير من نواحي المغرب اذا أحسنت اتخاذ الشعارات المناسبة التي تنادي بما يحقق الطموحات السياسية للبربر .

كانت الدولة الادريسية اذن سنية منذ بدايتها ، لكن لعل تحديد مذهبها السني وأخذها بالمذهب المالكي دون غيره هي الخطوة التي تمت رسميا على عهد ادريس الثاني ، ولم يكن اتخاذ الأدراسة من المذهب المالكي مذهبا رسميا لدولتهم العلوية لأن مالك كان امام دار الهجرة ولتأييده ثورة محمد النفس الزكية فحسب ، وانما أيضا لأن اتخاذ المذهب المالكي مذهبا رسميا كان يؤكد استقلالية الدولة العلوية الناشئة عن الخلافة العباسية الحنفية ، ويستميل اليها أفئدة البربر الذين تعلقت قلوبهم بالمالكية .

وعلى الرغم مما سبق فلا ضرر من القول بأن نزوح العلويين الى المغرب وقيام الدولة الادريسية العلوية قد هيأ أذهان البربر للاستماع الى الدعوة التي تدعو لآل البيت والتي نادى بها فيما بعد أبو عبد الله الشيعي داعية العبيديين والذي التزم في البداية باظهار تعظيم آل البيت دون التصريح بحقيقة معتقداته الشيعية .

ويبدو أن نواحي قسطيلية وبلاد الجريد كانت منطقة التشيع الأولى في بلاد المغرب قبل زمن العبيديين . وقد كانت محلة هامة على طريق نشر التشيع في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (٣٦) بل يرجع البعض دخول التشيع نواحي قسطيلية الى منتصف القرن الثاني الهجري (٣٧) استنادا الى الروايات الاسماعيلية التي تشير الى قدوم داعيين أوفدهما جعفر الصادق الى المغرب سنة ١٤٥ هـ فاستقر أحدهما ويدعى أبو سفيان بتالا قرب مرماجنة ، ونزل الآخر ويدعى الحلواني بسوفجمار بموضع يقال له الناظور ، وكان أبو سفيان سبب تشيع أهل مرماجنة والأربس وأهل نفطة من نواحي قسطيلية (٣٨) .

---

(٣٦) الطالبي : الدولة الأغلبية ، ص ٦٢٧ .
(٣٧) وداد القاضي : الشيعة البجلية ، ص ١٧٣ .
(٣٨) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ص ٢٦ — ٢٩ .

وعلى الرغم من أن القول بأن جعفر الصادق هـو الذى أرسـل أبا سفيان والحلوانى لا يسلم من الشك ، وأن هناك من يرى أن منصور اليمن أبا القاسم بن حوشب هو الذى أرسل الداعيين أبا سفيان والحلوانى الى المغرب وأنهما كانا يدعوان الى محمد الحبيب (٢٩) غير أن هذا لاينفى دخول التشيع قبل ذلك الى بلاد المغرب ، فقد أشار البغدادى الى أن ميمون بن ديصان القداح رحل الى المغرب وانتسب فى تلك الناحيـة الى عقيل بن أبى طالب فلما دخل فى دعوته قوم من غلاة الرفض ادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل (٣٠) كما أشار نظام الملك الطوسى الى أن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح سار الى المغرب ولما لم يلق فيها آذانا صاغية عاد الى الشام (٣١) .

وعلى الرغم من أن المصادر الاسماعيلية لا تشير الى قدوم هذين القداحيين اللذين ذكرهما البغدادى ونظام الملك وانما تشير فقط الى قدوم أبى سفيان والحلوانى الى المغرب ، وسواء صحت روايتا البغدادى ونظام الملك أم لم تصح ، فانها تشير الى أن التشيع قد عرف طريقه الى بلاد المغرب قبل أبى عبد الله الشيعى بوقت طويل ، ولم تكن المهمة التى قام بها فى بلاد المغرب الا تتويجا لجهود سابقة وعمل متصل محـكم التخطيط (٣٢) وأنه لم يكن الا صاحب البذر بينما كان من سبقه من الدعاة هم الحراث الذين حرثوا له بلاد المغرب ومهدوها له ليبذر فيها الدعوة الاسماعيلية (٣٣) .

ويفترض بعض الدارسين — وهو فرض جائز — أن الداعيين أبا سفيان والحلوانى لم يدعيا لدعوة اسماعيلية (٣٤) وانما كانا يدعوان الى الامام الرضا من آل محمد ويبشران بقرب ظهوره ناعتين اياه بأنه المهـدى

---

(٢٩) حسين بن فضل الله الهمدانى : الصليحيون ، ص ٣٨ .

(٣٠) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ والطالبى : المرجع السابق ، ص ٦٩٢ .

(٣١) سياست نامه ، ص ٢٦٨ .

(٣٢) الطالبى : المرجع السابق ، ص ٦٣٣ .

(٣٣) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٣٤) الطالبى : المرجع السابق ، ص ٦٣٤ .

المنتظر (٣٥) ، ولعل ذلك كان سببا فى معرفة المغاربة لفكرة المهدى المنتظر التى جاءت فى أقوال بعض فقهاء السنة المغاربة مثل عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم . ومهما يكن من أمر فان دعوة أبى سفيان والحلوانى كانت تمهيد أو ارهاصة بالدعوة التى قام بها أبو عبد الله الشيعى داعى الاسماعيلية .

كانت نواحى قسطيلية التى نزل فيها أبو سفيان بناحية تالا ونواحى سوفجمار التى نزل بها الحلوانى على هامش أرض كتامة ، مناطق تقع خارج نطاق النفوذ الأغلبى (٣٦) مما يدل على أن هذه النواحى قد اختيرت بدقة وعناية تنبىء عن خطة اسماعيلية مؤكدة للتسلل الى بلاد المغرب . وكانت نفطة على وجه الخصوص أكثر تلك النواحى تشيعا حتى كانت تسمى الكوفة الصغرى واليها ينتسب كثير من الشيعة الذين خدموا العبيديين فيما بعد ، مثل محمد بن عمران النفطى الذى ولاه عبيد الله المهدى قضاء القيروان ومحمد بن رمضان النفطى الذى ولاه المهدى قضاء ميلة (٣٧) وكان من نفطه أيضا محمد بن ورستد (ورصند) مؤسس الشيعة البجلية فى المغرب الأقصى (٣٨) .

ولعل ظهور الشيعة البجلية يدل على أن التشيع فى المغرب قبل قدوم أبى عبد الله الشيعى لم يكن تشيعا اسماعيليا على وجه التحديد ، فقد اختار محمد بن ورستد (ورصند) مؤسس هذه الجماعة الشيعية نهجا شيعيا فريدا خاصا به وبجماعته (٣٩) قام بنشره بين بربر بنى لماس وكان مذهبه من مذاهب الغلاة ، يقول عنه البكرى « فدعاهم الى سب الصحابة رضوان الله عليهم وأحل لهم المحرمات ، وزعم أن الربا من البيوع وزادهم فى الأذان بعد أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا خير البشر ثم بعد حى على الفلاح حى على خير العمل ، محمد خير البرية وأن الامامة فى ولد الحسن لا فى ولد الحسين »(٣٩) .

---

(٣٥) سهيل زكار : الفكر الاسماعيلى ص ٣٧ .
(٣٦) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، ص ٢٠٢ .
(٣٧) وداد القاضى : المرجع السابق ، ص ١٧١ . وسعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص‌ص ٥٣٤ — ٥٣٥ .
(٣٨) وداد القاضى : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .
(٣٩) المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ، ص ١٦١ .

هكذا كان التشع البجلى نهجا فريدا فى التشيع يخلط بين عقائد الاسماعيلية والغلاة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يجعل الامامة فى أولاد الحسين كما تقول الشيعة الامامية ولكنه يقول بأن الامامة فى الحسنيين . ولعله لم يقل ذلك فقط لأن الحسنيين كانوا أكثر عددا ونفوذا فى بلاد المغرب ، ولكنه أيضا كان يريد أن يجتذب لدعوته أهل المغرب الأقصى الذين قامت بينهم وقتذاك أول دولة علوية حسنية هى دولة الأدارسة .

غير أن وجود الشيعة البجلية فى طرف منعزل من المغرب الأقصى ووجود التشيع فى نواحى قسطيلية الداخلية على أطراف افريقية (تونس) لايعنى أن التشيع كان قد وطد أقدامه فى بلاد المغرب أو أصبح واسع التأثير فلا ينبغى اذن أن يعطى حجما أكبر من حجمه الحقيقى اذ كان التشيع لايزال محدودا لاجئا فى الأطراف والمناطق المنعزلة البعيدة أو يتستر خفية وخيفة بين دوائر أهل السنة (٤٠) .

غير أنه من الممكن اعتبار هذا التشيع المحدد بمثابة تمهيد للدعوة الاسماعيلية التى جاء بها أبو عبد الله الشيعى والتى اختار لها فى البداية نواحى بعيدة عن متناول الأغالبة ولا يهتم بها فقهاء السنة القرويين اهتماما كبيرا لتوغلها فى الداخل الذى لم يكن محفوفا بالمخاطر التى كانت تتعرض لها الجهات الساحلية ، ولذلك كانت المرابطة والجهاد فى الربط الواقعة على الساحل ، أما الداخل فلم يكن يخشى منه أو عليه فكانوا أقل اهتماما به ومن ثم سنحت الفرصة أمام أبى عبد الله الشيعى ليتخذ من الجهات الداخلية البعيدة عن قبضة الاغالبة واهتمام الفقهاء مجالا لنشر دعوته التى بدأها فى اعتدال وبشعارات أقرب ما تكون الى أهل السنة انتظارا للحظة مواتية يبذر فيها مبادىء التشيع الاسماعيلى تدريجيا .

---

(٤٠) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .

أبوعبدالله الشيعى وقيــام الدولة العبيدية

كان أبو عبد الله الشيعى صاحب الفضل الأكبر فى قيام الدولة العبيدية فى بلاد المغرب ، ويشبه دوره فى خدمة العبيديين دور أبى مسلم الخراسانى فى خدمة العباسيين الى حد بعيد (٤١) بل ويتشابهان أيضــا فيما لقيه كل منهما من نكران وجحود للخدمات التى أدياها ونال كل منهما جزاء سنمار وكوفىء بالقتل على مابذل من جهد ، وأكثر من هذا يتشابهان فى أن مصرع كل منهما أثار ردود فعل عنيفة وثورات كادت تعصف بالدولة، فقد تهددت الثورات التى نشبت انتقاما لمقتل أبى عبد الله دولة العبيديين مثلما تهــددت الثورات التى نشــبت انتقاما لمقتل أبى مســلم دولة العباسيين ٠

وأبو عبد الله الشيعى هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا كان عراقيا كوفيا وان اشتهر فى بلاد المغرب أحيانا باسم الصنعانى لقدومه اليها من صنعاء (٤٢) ولقد عرف أبو عبد الله الشيعى بعدة ألقاب تدل على شهرته وتنوع نشاطه من ناحية (٤٣) وتدل على أحد أساليب الاسماعيلية فى التخفى من ناحية أخرى حيث كان الدعاة يتخذون أكثر من اسم أو لقب ومن ثم كان أبو عبد الله الشيعى يلقب بالمحتسب لاشتغاله بالحسبة فى البصرة (٤٤) ويلقب بالمعلم لأنه كان يعلم مذهب الامامية (٤٥) والأهوازى لأنه ولد فى الأهواز والمشرقى صاحب البغلة الشهباء أو البلقاء (٤٦) ٠

---

(٤١) المقريزى : المقفى الكبير، ص ٩٤ ٠

(٤٢) يبدو أن تلقيبه بالصنعانى جعل البعض يعدونه يمنيا من صنعاء مع انه لم يمكث بها الافترة وجيزة وعرف بهذا اللقب لانه قدم على حجيج كتامة من صنعاء (ابن الاثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢١٧ ، وسعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٥٤٤ وابراهيم العدوى : بلاد الجزائر ، ص ٢٥٤) ٠

(٤٣) موسى لقبال : دور كتامة ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ ٠

(٤٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣١ ، محمد الطالبى : الدولة الأغلبية ، ص ٦٣٨ ٠

(٤٥) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٢ ٠

(٤٦) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ٠

وتشيد الرواية الاسماعيلية بمكانة أبى عبد الله الشيعى فى المذهب الاسماعيلى وأنه « كان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة وكان أكثر علمه الباطن » (٤٧) • واذا كنا لانعرف كثيرا عن حياته الأولى (٤٨) فان الرواية الاسماعيلية تذكر أن الامام الاسماعيلى (٤٩) أرسله الى منصور اليمن أبى القاسم ابن حوشب الذى غدا بعد نجاحه فى اليمن صاحب مدرسة لاعداد الدعاة الاسماعيليين وتدريبهم (٥٠) وفرق الدعاة فى نواحى اليمن والى سائر البلدان الى اليمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب (٥١) لذا فقد وجه الامام الاسماعيلى أبا عبد الله الشيعى الى ابن حوشب ليلقنه ويرشده » وقيل لأبى عبد الله الشيعى امتثل سيرته وانظر الى مخارج أعماله ومجارى أفعاله فاحتذها وامتثلها واعمل عليها » (٥٢) •

مكث أبو عبد الله الشيعى عند منصور اليمن أقل من عام من وقت انصراف الحجيج من مكة الى اليمن الى وقت الخروج للحج فى الموسم الثانى ، ورغم قصر المدة التى مكثها أبو عبد الله الشيعى فقد استكمل — فيما يبدو — تدريبه مما يدل على سابق اعداده قبل قدومه الى اليمن اذ لا تكفى هذه المدة القصيرة التى قضاها عند ابن حوشب لاعداده اعدادا كاملا ، وأغلب الظن أن المدة التى مكثها فى اليمن كانت للاعداد النهائى واللمسات الأخيرة والتدريب الراقى لهذا الداعية الاسماعيلى الخطير • ولعل هذا ما يمكن فهمه من عبارة القاضى النعمان التى يذكر

---

(٤٧) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٠

(٤٨) لايعرف عنه اكثر من أنه عمل محتسبا بالبصرة وانه اتصل بالامام الاسماعيلى عن طريق فيروز داعى الدعاة وباب الابواب حينئذ .

(٤٩) صمت القاضى النعمان وجعفر الحاجب عن ذكر اسم الامام ، ولكن بقية الرواة الاسماعيلية تتناقض أقوالهم حول اسم هذا الامام فبينما يذكر خطاب بن الحسن أن الامام على بن احمد بن عبد الله بن محمد ابن اسماعيل وانه ارسل ابا عبد الله الشعيى الى المغرب ومن قبله ارسل ابن حوشب الى اليمن (غاية المواليد ، ص ٣٦) ويذكر الداعى ادريس ان احمد المكنى بسعيد الخير عم المهدى هو الذى انفذ ابن حوشب الى اليمن (عيون الاخبار ، ٥ / ص ٨٨) لكن ابن خلدون يرى أن الامام الذى اتصل به أبو عبد الله الشيعى هو محمد الحبيب (العبر ، جـ ٤ ق ص ٣٢) .

(٥٠) سهيل زكار : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٥١) القاضى النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ١٨ ..

(٥٢) نفس المصدر ، ص ٣١ .

فيها أن ابن حوشب أدنى أبا عبد الله من مكانه « ورفع من قــدره وقد كان يعرفه » (٥٣) .

خرج أبو عبد الله الشيعي مع حجيج اليمن الى مكة (٥٤) وأخرج معه ابن حوشب رجلا يمنيا يصحبه ويؤازره بحسب ما جرت به السيرة في الدعاة ، فلقد كان من أساليب الدعوة الاسماعيلية توجيه داعيــا احتياطيا أو بديلا مع الداعي الأصلي « لئلا يحدث به حدث فيكون معه من يخلفه الى أن يأتي أمر الامام » (٥٥) وهذا ما حدث من قبل حينما أرسل الاسماعيلية الداعيين أبا سفيان والحلواني الى المغرب ، وحينما أرسلوا أبا القاسم بن حوشب الى اليمن ومعه علي بن الفضل ، أمــا أبو عبد الله الشيعي فقد أرسل معه الى المغرب عبد الله بن أبي الملاحف(٥٦)

---

(٥٣) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٥٤) يفهم من الرواية الاسماعلية ان ابا عبد الله الشيعي خرج الى اليمن ومنها الى المغرب بامر الامام الاسماعيلي ولكن ابن الاثير (الكامل جـ ٦ ص ١٢٧) والمقريزي (اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٥٥) يذكران ان ابن حوشب هو الذي وجه ابا عبد الله الشيعي الى المغرب بعد أن بلغة موت الحلواني وابي سفيان وهذا لايمكن قبوله في ضوء الرواية الاسماعيلية التي ترى ان ابا سفيان والحلواني وجههما الى المغرب جعفر الصادق وانهما ماتا قبل ان يتوجة ابن حوشب الى اليمن بكثير .

(٥٥) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣١ والداعي ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ / ص ٤٤ .

(٥٦) يجعل المقريزي في المقفى الكبير) ص ٢٣ من عبد الله بن ابي الملاحف اخا لأبي عبد الله الشيعي مسميا اباه « الحسن بن احمد بن زكريا ويذكر انه خرج مع اخويه ابي عبد الله وابي العباس وصار من جملة الشيعة ثم توجه مع أخيــه عبد الله الى بلاد المغرب واقام بها الى قبيل مسـير عبد الله الشيعي الى المغرب بيسير ، لكن المقريزي يذكر في موضع اخر (ص ٣٦) ان ابا العباس المخطوم هو الذي يعرف بابن أبي الملاحف مـع انه كان يذكر قبلا (ص٣٥) اسم عبد الله بن ابي ملاحف دون اشــارة لتآخيه مع ابي عبد الله الشيعي .

ويرى محمد الطالبي (الدولة الأغلبية ص ص ٦٥٦ — ٦٥٧) ان ابن ابي الملاحف استخدم كدليل لابي عبد الله الشيعي ليمده بكل انواع الأخبار من البلاد والعباد في الطريق لكننا لا توافق الطالبي على ذلك فكيف يستخدم ابن ابي الملاحف كدليل ومصدر للأخبار وهو الذي لم تسبق له زيارة بلاد المغرب من قبل ولا دراية له باحوالها ، واغلب الظن ان ابن ابي الملاحف كان البديل الذي يحل محل ابي عبد الله الشيعي او يكمل مهمته اذا اصابه مكروه .

وقد وصل ابن أبى الملاحف الى بلاد كتامه لكنه مالبث أن أعيد الى اليمن واستبدل بابراهيم بن اسحاق الزبيدى • ومع أن الرواية الاسماعيلية ترجع هذا الاستبدال الى أن والدة ابن أبى الملاحف لم تصبر على فراقه — وكان وحيدها — والتاعت لغيابه حتى فقدت عقلها فاستدعى ابنها الى اليمن اشفاقا عليها (٥٧) • غير أنه لايستبعد وجود أسباب أخرى لهذا الاستبدال لم تفصح عنها الرواية الاسماعيلية ، فلقد سمى ابراهيم الزبيدى بالسيد الصغير ولم يكن محمود الفعل فى بلاد المغرب ، وكذلك كان ابن أبى الملاحف غير محمود الفعل بل لعله لم يكن مخلصا للدعوة الاسماعيلية حتى انه انشق عليها بعد عودته الى اليمن (٥٨) ومثل هذا الرجل يصبح ضرره للدعوة الاسماعيلير فى المغرب اكثر من نفعه ولذا فقد أعيد الى اليمن واستبدل بآخر لم يكن بأحسن منه •

وصــل أبو عبد الله الشيعى مع حجيج اليمن الى مكة عازما على الاتصــال بحجيج المغرب ، فقد كانت بلاد المغرب وجهته التى أحرج من أجلها (٥٩) والتقى بمنى بجماعة من كتامة وتذكر الرواية الاسماعيلية أنه كان فيهم رجلان من الشيعة ممن تشيعوا بأسباب الحلوانى هما حريث الجيملى وموسى بن مكارم (٦٠) فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضـائل على فجلس اليهما يذكر شـيئا من ذلك معهما فأقبل عليـه جميعهم (٦١) غير أن ابن عذارى يذكر أن شيخ هذه الجماعة التى التقى بها أبو عبد الله الشيعى « كان يميل الى مذهب الأباضية النكار فدخل عليه أبو عبد الله من هذه الثلمة » (٦٢) •

---

(٥٧) القاضى النعمان : المصدر السابق ص ٣٢ ، والداعى ادريس : المصدر السابق ، السبع ٥ ص ٤٥ .

(٥٨) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٥٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٢٤ .

(٦٠) جاء اسميهما فى المقفى الكبير ص ٢٥ ، الحرث الجيملى وموسى ابن مكاد ويبدو أنه مجرد تصحيف .

(٦١) القاضى النعمان : المصدر السابق ص ٣٤ والداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ص ٢٥ .

(٦٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ صص ١٢٤ — ١٢٥ .

لعلنا نتساءل : هل كان هناك اعداد لاتصال أبى عبد الله بالكتاميين، يرى موسى لقبال أن الرواية الاسماعيلية تدعى أن أرض كتامة كانت ممهدة موطأة ، مهدها أبو سفيان والحلوانى ولذلك يبدو تصرف أبى عبد الله الشيعى فى الاتصال بالكتامين غريبا لأنه لم يقصد مجلسهم مباشرة وانما احتال للاتصال بهم ، ولذلك يرى لقبال أن قصة تعرف أبى عبد الله الشيعى بحجاج كتامة فى مكة قد تكون مختلقة أو تخللتها مبالغات كثيرة لأن تفاصيل الحوار يبدو من خلالها وكأن الشيعى يجهل كل شىء عن الأوضاع السياسية والاجتماعية فى بلاد المغرب وفى أرض كتامة خاصة مع أنه سبق ايفاد أبى سفيان والحلوانى اليها وسبق اعتراف ابن حوشب للداعى ابى عبد الله بأن الأرض ممهدة موطأة من أثر جهود الداعيين (٦٣). وعلى الرغم من أن لقبال قد أصاب فى تشككه الا أنه لم يلتفت الى أن الرواية الاسماعيلية الموالية لأئمة الاسماعيلية قبل الدعاة كان يهمها أن تغض ما استطاعت من قدر جهود أبى عبد الله الشيعى حتى لا ينسب اليه كل فضل فى نجاح الدعوة الاسماعيلية فى المغرب واقامة دولة العبيديين لذلك ادعت أن المغرب كانت ممهدة موطأة بفضل أبى سفيان والحلوانى حتى تظهر أبا عبد الله الشيعى وكأنه جنى ثمار غرسهما ، لكن الرواية الاسماعيلية لم تفطن الى أن الحوار الذى جرى بين أبى عبد الله والكتاميين يظهر أن المغرب لم تكن ممهدة ومن ثم جاء التناقض الذى لاحظه لقبال فعزاه الى أن كتاب المناقب الاسماعيلية نسبوا الى أبى عبد الله الشيعى ما يدل على مهارته وحذقه .

ينفرد صاحب كتاب الاستبصار برواية عن قدوم أبى عبد الله الشيعى الى بلاد المغرب (٦٤) ، ويأخذ بها محقق ذلك الكتاب (٦٥) ، وجاء فيها أن أبا عبد الله الشيعى خرج يوما الى شاطىء دجلة ليفرج عن نفسه فجلس على صفة النهر يقرأ سورة الكهف فحضر شيخ مهيب الطلعة ومعه غلام كرش له صفة النهر فجلس الشيخ وأبو عبد الله يقرأ حتى انتهى الى قوله تعالى « حتى اذا لقيا غلاما فقتله » فدار حوار

---

(٦٣) دور كتامة فى تاريخ العلاقة الفاطمية ، ص ص ٢٣٥ — ٢٣٩ .

(٦٤) الاستبصار : ص ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٦٥) تاريخ المغرب العربى ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

بين الشيخ وأبي عبد الله استطاع الشيخ من خلاله أن يملك على أبي عبد الله لبه ثم تركه وانصرف بعد أن أثار شغفه فسأل أبو عبد الله الغلام عمن يكون الشيخ فقال له هو محمد بن اسماعيل بن الحسن بن على بن جعفر بن على بن موسى بن جعفر الصادق ، فتعلق أبو عبد الله بركاب الشيخ وضرع اليه أن يعلمه السبيل الى الامام فاصطحبه الى منــزله فادخله فيه فوجد أبو عبد الله ولد الشيخ ومعه أحد عشر رجلا فقال لهم هذا ثاني عشرتكم ورفع من قدر أبي عبد الله وقال له قد حــان وقت ظهور الامام ووجهه الى المغرب .

غير أننا لا نميل الى الاخذ برواية صاحب كتاب الاستبصار ، فمن الواضح أنها تخلط بين أبي عبد الله الشيعي وأبي القاسم بن حوشب الذى تنسب اليه كتب الاسماعيلية هذه القصة (٦٦) ويبدو أن صاحب كتاب الاستبصار أطلع على الرواية الاسماعيلية لكنه اختلط عليه فهمها أو أنها وصلت اليه مضطربة فتوهم أن أبا القاســم بن حوشب هو أبا عبد الله الشيعي ، فضلا عن أن صاحب كتاب الاستبصار قد ذكر أن أبا عبد الله الشيعي لقى على ضفة النهر محمد بن اسماعيل وأورد نسبه على أنه من أحفاد موسى بن جعفر وهو بذلك يكون موسوى أثنا عشرى فكيف يكون موسوى واسماعيلي فى آن واحد ، ويبدو أن الدكتور سعد زغلول عبد الحميد — محقق كتاب الاستبصار — قد فطن الى هذا الخلط فذكر نسب محمد بن اسماعيل هذا مبتورا وسماه « الطالبى » تجنبا لهذا الخلط الذى وقع فيه صاحب كتاب الاستبصار . ولعل صاحب كتاب الاستبصار قرأ ما جاء فى الرواية الاسماعيلية عن ابن حوشب من أنه كان أول أمره من الامامية الاثنا عشرية من أصــحاب محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر (٦٧) فتوهم أن محمد هذا من أئمة الاسماعيلية — وهو لم يكن كذلك — ولعله قرأ

---

(٦٦) القاضى النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ٥ .
محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، ص ٢٢ .

(٦٧) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٤ .
وقد أشار عطا ملك الجوينى (تاريخ جهانكشاى ، ص ١٥١) الى أن ابن حوشب لقى رجلا من اعقاب عبد الله بن ميمون القداح وكان معه طفل .

كلمة الاثنا عشرية على أن ابا عبد الله الشيعى كان متمما لعدد الدعاة اثنا عشر داعيا ، ولكنه كما أشرنا لم يكن أبا عبد الله الشيعى صاحب القصة وانما كان صاحبها — وفقا للرواية الاسماعيلية — هو أبو القاسم ابن حوشب ٠

ويذهب صاحب كتاب الاستبصار أيضا الى أن الامام محمد بن اسماعيل — المشار اليه — هو الذى وجه أبا عبد الله الشيعى الى المغرب (٦٨) غير أن ابن الأثير يرى أن ابن حوشب هو الذى عين لأبى عبد الله الشيعى وجهته (٦٩) وهناك من يرى مثل رأى ابن الأثير (٧٠) الا أن القاضى النعمان يذكر أن أبا عبد الله الشيعى أرسل الى اليمن بتعليمات فيها قولان : قيل انه سمح له أن يختار بنفسه الجهة التى يذهب اليها ، وقيل أيضا أنه حددت له المغرب وبلد كتامة ، ويرى القاضى النعمان أن القول الثانى أثبت القولين وأرجحهما (٧١) ٠

ومهما يكن من أمر فقد كانت عين أبى عبد الله الشيعى على الكتاميين فوثق صلته بهم فى منى وبادلهم الحديث فأعجبوا به وأقبلوا عليه حتى آن الرحيل فسألوه عن وجهته فقال الى مصر فاصطحبوه فى رحلته وازدادوا له تعظيما كعادتهم فى تعظيم كل من كان عنده شىء من العلم وان كان لا يحسن غير قراءة القرآن (٧٢) واستقى أبو عبد الله الشيعى من الكتاميين معلومات عن بلادهم وموقعها من افريقية وأحوالهم فيها وأدرك نزعتهم الاستقلالية واعتزازهم بأنفسهم وطاعتهم الشكلية للأغلبية ومكانة المعلمين لديهم حتى اذا وصل الركب الى مصر أظهر لهم أنه يريد المقام فيها مخفيا غرضه الحقيقى ومختبرا نواياهم فاغتموا لفراقه وسألوه

---

(٦٨) الاستبصار ، ص ٢٠٣ ٠

(٦٩) الكامل فى التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٢ ، حوادث سنة ٢٩٦ ٠

(٧٠) عطا ملك الجوينى : المصدر السابق ، ص ١٥٥ ٠

والهمدانى : الصليحيون ، ص ٣٨ وسعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٥٤٧ ٠

(٧١) افتتاح الدعوة ، ص ٣١ ٠

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٣٦ ٠

عما يدعوه للمقام فى مصر فلاهى بلده ولا معه تجارة يبيعها فيها ، ولما كان قد عرف الكثير عنهم وأدرك تقديرهم للمعلمين أعلن أنه يطلب فيها التعليم فألحوا عليه بأن يتوجه معهم وممارسة مهنته فى بلدهم فقبل طلبهم بعد أن تظاهر بالممانعة وخرج معهم من مصر فساروا على جادة الطريق عبر طرابلس الى قسطيلية (٧٣) .

ولدينا بعد ذلك روايتان عن الطريق التى سلكها أبو عبد الله الشيعى الى بلاد كتامة ، احداهما يرويها ابن عذارى عن الوراق وفيها أن أبا عبد الله الشيعى « أقام بالقيروان يتعرف أخبار القبائل حتى صح عنده أنه ليس من قبائل أفريقية اكثر عددا ولا أشد شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة » (٧٤) . أما الرواية الأخرى فقد ذكرها القاضى النعمان وفيها « فكانت طريقهم من طرابلس الى قسطيلية لأنها الجادة فلم يدخلوا افريقية حتى اذا ساروا الى سوجمار من أرض سماته تلقاهم أهل الموضع فأنزلوهم عندهم » (٧٥) ومع أن رواية ابن خلدون تتفق مع رواية القاضى النعمان (٧٦) فان الدكتور سعد زغلول عبد الحميد يأخذ برواية ابن عذارى عن الوراق ، بدعوى ما فيها من الاحتياط فى التصرف (٧٧) الا أن ابن عذارى لم يذكر شيئا عن التحوط وانما علل نزول أبى عبد الله الداعى القيروان لجمع المعلومات وهو الأمر الذى يتفق مع اغفال ابن عذارى لذكر قدوم أبى سفيان والحلوانى الى بلاد المغرب من ناحية وعدم توافر معلومات عن بلاد المغرب لدى مركز الدعوة الاسماعيلية من ناحية أخرى . غير أننا نعرف أن مركزى الدعوة الاسماعيلية فى كل من سلمية واليمن كانا على دراية كافية بأحوال بلاد المغرب وكتامة وأن اختيار أبى عبد الله الشيعى لحجيج كتامة دون غيرهم كان اختيار مدروسا فضلا عما توافر لأبى عبد الله الشيعى من معلومات وافية عن

---

(٧٣) نفس المصدر ، ص‌ص ٣٧ — ٤٠ والداعى ادريس ، عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٤٦ ، والمقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٥٥ .

(٧٤) البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٣٥ .

(٧٥) افتتاح الدعوة ، ص ٤٠ ، والداعى ادريس ، المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٤٦ .

(٧٦) العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٧٧) تاريخ المغرب العربى ، جـ ٢ ، ص ٥٤٩ .

كتامة استقاها من حجيجهم أثناء الرحلة من مكة حتى مشارف افريقية ومن ثم لم يكن فى حاجة للذهاب الى القيروان ليستقى فيها معلومات متوافرة لديه ، لذلك فالأرجح أن أبا عبد الله لم يدخل قلب افريقية ولم يتوجه الى القيروان وانما توجه مباشرة الى بلاد كتامة عبر طريق مختصر فتوجه من قسطيلية الى سوجمار من أرض سماته (٧٨) فى منطقة لم يكن التشيع غريبا عليها لذا فهى أكثر أمانا له من داخل افريقية ، ثم توجه من سوجمار الى أرض كتامة فوصل الى أحد بلدانها فى تاريخ غير متفق عليه (٧٩) ثم طلب أبو عبد الله الشيعى منطقة كثر أمنا وبعدا عن سلطة الأغالبة ففر الى الناحية الاخرى من الجبل من ممر جبلى أسماه فج الأخيار ، معلنا الكتامين أنهم الأخيار ليلهب حماسهم ويجذب اليه قلوبهم (٨٠) ثم حل بعد عبوره هذا الفج بموضع يدعوه صاحب كتاب الاستبصار جبل بنى زلدوى (٨١) ويسميه القاضى النعمان ايكجان (٨٢) . ويوفق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد بين القولين فيرى أنه لا بأس من أن يـــكون جبل بنى زلدوى واحدا من جبال هضـــبة ايـــكجان الكبيرة (٨٣) .

---

(٧٨) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٠ وابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٧٩) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٧ والداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ص ٤٦ .

— يجعل المقريزى هذا التاريخ يوم الخميس النصف من ربيع الاول سنة ٢٨٨ هـ (المقفى الكبير ص ٢٧) .

(٨٠) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٨١) الاستبصار ، ص ٢٠٣ .

(٨٢) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٩ .

— ايكجان : يرى الحميرى (الروض المعطار ، ص ٧١) انه جبل بين سطيف وقسطنطينية فيه قبائل كتامة . ويدعوها ياقوت (معجم البلدان ، جـ ١ ص ٢٧٣) انكجان ولو انه ذكر انه سمع بعضهم يقول ايكجان . اما المحدثين فغير متفقين على تحديد موقعها ويلخص رشيد بوزويبه (الجزائر فى عهد الفاطميين والزيديين ، ص ١٣٨) هذا الخلاف فى أن البعض يضعها فى منطقة سطيف على مسافة ميلين من قرية بنى عزيز (شقرول سابقا) ويضعها البعض الآخر قرب ميله ثم يوفق بين الرايين بانها كانت اقـــرب مسافة الى سطيف لكن اتصالها بميله كان اسهل منه بسطيف .

(٨٣) تاريخ المغرب العربى ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

نزل أبو عبد الله الشـيعى بنواحى ايكجان فى حماية بنى سـكتان من كتامة واتسـعت اقامته فى ايكجان فى أولها بالهدوء التام الذى مكنه من الانصراف الى الدعوة فى سرية وستر ثم ما لبث ان تعرض وجوده فى ايكجان للخطر وافتقد فيها الأمان التام بعد أن ثار بعض رؤساء المدن وشيوخ القبائل خوفا على زعاماتهم من تزايد نفوذ الداعى الشيعى كتحالف ضده أصحاب ميله وسطيف وبلزمه وعاونهم شيوخ بعض بطون كتامة مثل شيوخ لهيصه وأجانه ولطايه ومديوسة ، فانتقل أبو عبد الله الشيعى الى تازروت عند بنى غشمان واتخذ منها مركزا للدعوة الاسـماعيلية ودار هجرة لأتباعه فى بلاد المغرب (٨٤) .

يحلو لبعض المؤرخين أن يقارنوا بين مرحلتى ايكجان وتازروت بالنسبة لجهود الداعى الشيعى فى كل منهما فبينما يشبه بعضهم مرحلة ايكجان بالدور المكى ومرحلة تازروت بالدور المدنى من الدعوة الاسلامية فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٥) فان البعض الآخر يرى أن مرحلة ايكجان كانت تمثل دور الاستتار بينما تمثل مرحلة تازروت دور الظهور وأن الداعى الشيعى كان يقلد فى ذلك أئمة الاسماعيلية فى دورى الستر والظهور (٨٦) ومع تحفظنا على هذه المقارنات فان مرحلة ايكجان كانت تتميز فعلا عن مرحلة تازروت ، فبينما كانت جهود الداعى الشيعى فى ايكجان تقوم على السرية التامة وستر حقيقة أهدافه ومراميه فانه قد أبان فى تازروت عن هويته ومذهبه الاسماعيلى بعد أن تهيأ لمواجهة أعدائه ومخالفيه .

نظم أبو عبد الله الشيعى الدعوة الاسماعيلية فى بلاد المغرب تنظيما دقيقا واتخذ لها من الوسائل ما يجذب اليها نفوس الكتاميين (٨٧) فقامت الدعوة أولا على السرية والتدرج فى اظهار عقائد الاسـماعيلية حتى لا يصطدم بها الاهالى وتلقى مقاومة عنيفة قبل أن يشتد عودها ، واستخدم الداعى الشـيعى الصيغ الخطابية والعبارات المؤثرة التى ترضى نفوس الاتباع وتجذبهم الى الدعوة الاسماعيلية مثل تسميته الممر الذى مر فيه

---

(٨٤) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٧٩ وما بعدها .
(٨٥) محمد الطالبى : الدولة الاغلبية ، ص ٦٥٦ .
(٨٦) موسى لقبال : المصدر السابق ، ص ٦٥٦ .
(٨٧) نفس المرجع ، ص ٢٤٣ .

بفج الأخيار قائلا للكتاميين ان الاخيار قوم مشتق اسمهم من الكتمان فهم كتامة (٨٨) كما سمى تارزوت بدار الهجرة تشبيها لها بدار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم (٨٩) وتشبيها لأتباعه من أهلها بالانصار وأتباعه الوافدين اليها بالمهاجرين ايماء على أنه وأتباعه سينتصرون على أعدائهم مثلما انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار على الكافرين . ولذا فقد لقب أبو عبد الله الشيعى أتباعه بالمؤمنين بينما كان المغاربة ممن لم يدخلوا فى دعوة الشيعى يدعونهم المشارقة نسبه اليه اذ كان الداعى الشيعى يعرف بالمشرقى لقدومه من المشرق ويقال لمن دخل فى دعوته أنه تشرق (٩٠) .

نظم ابو عبد الله الشيعى أتباعه — « المؤمنين » — تنظيما يتفق وعقائد الاسماعيلية وان كان قد راعى فيه ظروف البيئة المغربية ، وقد وضع أساس هذا التنظيم فى ايكجان وطوره فى تاروزت بسبب الظرف الخاص ثم فى ايكجان بعد عودته اليها مرة أخرى (٩١) .

كان تنظيم أبو عبد الله لأتباعه وفقا للنظام السباعى الاسماعيلى (٩٢)

---

(٨٨) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٨ ، والمقريزى : المقفى الكبير ، ص ٢٧ .

(٨٩) محمد الطالبى : المرجع السابق ، ص ٦٥٦ .

(٩٠) القاضى النعمان : المصـــدر الســـابق ، ص ٧٩ . والمقريزى : المقفى الكبير ص ٢٧ .

(٩١) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٩٢) كانت الاسماعيلية تاخذ بالنظام السباعى وعرفت بالسبعية ليس فقط لان عدد الائمة لديهم فى دور الستر كانوا سبعة ائمة ولكن ايضـــا لقولهم ان تاريخ الخليفة من لدن آدم حتى القائم منهم ينقسم الى سبعة ادوار كبار تسمى ادوار النطقاء وبينها سبعة ادوار صغار يقع كل منهـــا بين ناطقين والدور الصغير سبعة ائمة مستقرين الا فى الفترات التى تحدث لعلل واسباب والقائم عندهم هو صاحب الكشف الذى يكشف ما استتر من ادوار النطقاء ويربطون بين هذه الادوار السبعة وهيئة الكون ونواميسه فيرون ان الاسابيع متناهية الى السابع مثل الكواكب السيارة السبعة وكذلك الاقاليم المعمورة سبعة . ويدعون أن لكل قائم ابليســا أو شيطانا يعاديه ويضل امته عن الصراط المستقيم . انظر :

— السجستانى : اثبات النبوءات ، صص ١٨١ — ١٩٢ .

— الداعى شهاب الدين ابو فراس : كتاب الايضاح ، صص ٣ — ٧ .

— يحى بن حمزة العلوى : الافحام ، ص ٦٠ .

والاسماعيلية يجعلون مراتب الدعوة سبعة وقسم القاضى النعمان العبارات الى سبع مما يدل على أهمية رقم ٧ عندهم .

فقد قسم قبائل كتامة سبعة أقسام وجعل لكل سبع منها عسكرا من القادرين على الحرب اذ كانت جماعة المؤمنين بالدعوة تنقسم الى قسمين : من لا يقدرون على الحرب وهم ضعاف المؤمنين والقادرون على الحرب الذين يتكون منهم عسكر كل سبع وهؤلاء المحاربون ينقسمون ثلاث : مراتب الأولياء الذين أسكنهم الداعي الشيعي حول قصره في تازروت والدعاة فالمشايخ وهم مقدموا العسكر في أقسام كتامة السبعة ، وقد روعي في اختيارهم الاخلاص للدعوة الاسماعيلية دون اعتبار للسن ، وجعل لهؤلاء الشيوخ رئيسا يلقب شيخ الشيوخ ، وكانت هذه المرتبة لهارون بن يونس المسالتي (٩٣) . وراعى الداعي الشيعي ميل البربر الى المساواة فجعل من اتباعه اخوانا وكل مستجيب للدعوة هو أخ بين الاخوان وما الداعي أبو عبد الله الا بمثابة الاخ الاكبر لهم ، وكان الخطاب بينهم بكلمة يا أخانا والتحية بينهم عند اللقاء تكون بالمعانقة (٩٤) .

كان من الطبيعي . أن يعمل أبو عبد الله الشيعي على نشر دعوته في كتامة أولا وبسط سلطانه عليها وضمان طاعتها له حتى تكون أداته في بسط سلطانه على افريقية وغيرها من نواحي المغرب . ولعله في الامكان أن ندعوا هذه المرحلة من الدعوة في كتامة بمرحلة العمل الداخلي التي يمكن تقسيمها أيضا الى مرحلتين : مرحلة ايكجان ومرحلة تازروت .

مرحلة ايكجان : قامت خطة أبي عبد الله الشيعي على السرية والتقية والتدرج في بث اسرار الدعوة فلم يفصح أول الامر عن حقيقة دعواه (٩٥) وتسامع الناس بأنه يدعو الى أمر مكتوم لا يعلمونه « فاذا سأله أخص الناس به وأقربهم اليه وأعزهم عليه عما دخل فيه وما قيل له ، قال أبلغ توقن وكانت كلمة علمهم اياها أبو عبد الله فكانت هجيراهم عند السؤال » (٩٦) .

---

(٩٣) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، ص ١٠٩ ، ص ١٠٠ وسعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ص ٥٥٧ — ٥٥٨ .

(٩٤) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٩٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٧ والمقريزي والمقفى الكبير ص ٢٧ .

(٩٦) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٥٢ .
وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

ولقد نهج أبو عبد الله الشيعى فى البداية نهجا قويما يتمثل فى الاقبال على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصى وصلاح الأحوال (٩٧) وكان لذلك أحسن الاثر فى نفوس الكتاميين الذين مالوا اليه وأقبلوا على دعوته •

وأمر أبو عبد الله الشيعى من دخل فى دعوته أن يؤدوا الصدقات اليه فصاروا يحملونها اليه (٩٨) لكنه أظهر الزهد فى تلك الصدقات — أو النفقات على مسمى الاسماعيلية — وجعلها فى أيدى المشايخ استمالة لهم واكتسابا لمحبة الكتاميين الذين سرهم أن يروه غير مبال بعرض الدنيا (٩٩)•

تزايد نفوذ أبى عبد الله الشيعى فى كتامة حتى خشى منه رؤساء المدن وشيوخ القبائل على زعاماتهم فتحالفوا على التصدى له وكادت كتامة أن تنقسم على نفسها الى فريقين أحدهما مع أبى عبد الله الشيعى والآخر ضده ، فلما أدرك أبو عبد الله خطورة الموقف تخفى حتى لم يعرف مكانه الا أتباعه (١٠٠) ، ثم قرر الداعى الشيعى الهجرة من ايكجان الى تازروت التى كانت مسكنا لواحد من أتباعه يدعى الحسن بن هارون الغشمى واعتبر ابو عبد الله تازروت دار هجرة ودعا أتباعه الى الهجرة اليهـا •

مرحلة تازروت :

استخدمت تازروت كدار هجرة وملجأ لجميع أنصار ابى عبد الله الداعى الذين اتجهوا اليها لرغبتهم فى الالتفاف حول الداعى الشيعى أو للخطر المحدق بهم داخل قبائلهم لاتباعه واعتناق معتقـداته (١٠١) • واستكمل أبو عبد الله تنظيماته التى كان قد بدأها فى ايكجان وابتنى له

---

(٩٧) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٥٣ •

(٩٨) نفس المصدر ، ص ٥٣ •

(٩٩) نفس المصدر ، ص ١٢٥ •
ومحمد الطالبى : المرجع السابق ص ٦٧٨ •

(١٠٠) القاضى النعمان : المصدر السابق ص‌ص ٨٠ — ٨٤ •
والمقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ص ٥٨ •

(١٠١) محمد الطالبى : المرجع السابق ، ص ٦٧٤ •

فى تارزوت قصرا (قلعة) يحيط به أولياؤه (١٠٢) واشتد ساعده وعظم أمره بتارزوت التى مالبثت أن أصبحت قاعدة لحملات عديدة لاظهار قوة الجماعة الجديدة وتوسيع رقعتها (١٠٣) ، وجاهر أبو عبد الله بمذهبه وأعلن أمامة أهل البيت لكنه ظل يخفى حقيقة الامام المدعو له معلنـا الدعوة للرضا من آل محمد (١٠٤) .

حاول المخالفون الذين تحالفوا ضد الداعى الشيعى فى ايكجان أن يلاحقوه فى تارزوت وبث الفرقة فى بنى غشمان حتى يسهل عليهم القضاء على الداعى الشيعى تمكن من افســاد محاولاتهم واتبعه بنو غشمان متحدين تحت امرة الحسن بن هارون الغشمى وأحسن أبو عبد الله قوة على الظهور فظهر بعد استتار وأخذ يباشر الحرب بنفسه .

تحول أبو عبد الله الشيعى من مجرد داع معلم الى قائد يقود الجيوش ويخوض المعارك ونم عن مهارة فى القيادة لا تقل عن مهارته فى الدعوة ، وكانت الجولة التالية ضد لهيصة التى ما لبثت أن انصاعت له وصالحت غشمان وانضوت تحت امرة أبى عبد الله فقوى ساعده واشتد ثم دارت عدة معارك بين أتباعه ومخالفيه انتهت بانصياع بطون كتامة للداعى الشيعى واستأمنه المخالفون ودخل كثير منهم فى دعوته رغبة أو رهبة « واستولت أمور أبى عبد الله على عامة بلد كتامة وظهرت دعاته فى كل ناحية منها وغلب أمره عليها واستحكم فيها ولم يبق فيهـا الا من دخل دعــوته اما راغبا واما راهبـا أو مخذولا قـد أنكرهـا بقلبـه » (١٠٥) .

غير أن الكتاميين لم يدخلوا جميعا فى الدعوة الشيعية وانما شذ عن ذلك عدد من أهل المدن وأمرائها وطوائف من القبائل القريبة من تلك المدن ممن عاشروا أهلها واستمالهم أمراؤها (١٠٦) . وأغلب الظن أن هؤلاء

---

(١٠٢) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
(١٠٣) محمد الطالبى : المرجع السابق ، ص ٦٧٤ .
(١٠٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ص ٣٢ .
(١٠٥) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١١٦ .
(١٠٦) نفس المصدر ، ص ص ١١٦ — ١١٧ .

الكتاميين الذين استعصوا على الدعوة الشيعية هم الذين أشعلوا عددا من الثورات ضد العبيديين فى فترات لاحقة .

لم يطمئن أبو عبد الله أول الأمر لانصياع الكتاميين له فبث عيونه بينهم يرصدون أفعالهم وأقوالهم فاذا اطلع على ما ينكره من أحدهم عاقبه بقدر ما يقترف من ذنب ويرتكب من خطيئة فخشى الناس أبا عبد الله ووزنوا أعمالهم وحاسبوا أنفسهم وعلموا أنه لا يغفل عنهم ولا يتجاوز لهم فاستقامت أمورهم وصلحت أحوالهم (١٠٧) « وتحامى الناس المعايب وتركوا الاختلاف فى المذاهب وصاروا على أمر واحد يتسمون اخوانا » (١٠٨) .

على هذا النحو استكمل أبو عبد الله الشيعى مرحلة العمل الداخلى وخضعت له كتامة وأصبح مهيأ للمرحلة التالية والاستيلاء على افريقية .

الزحف الشيعى الى افريقية :

بعد أن أخضع أبو عبد الله الشيعى كتامة لأمره وأذل المعارضين منهم وأتم المرحلة الاولى التى أسميناها مرحلة العمل الداخلى رأى أن ينطلق لاستكمال جهوده بالاستيلاء على افريقية وابتدأ خطته بالاستيلاء على المدن القريبة توسيعا لرقعة نفوذه وتأمينا لمركزه فى تازروت فابتدأ بالتوجه فى جمع من الكتاميين الى مدينة ميله وكان قد عرف أسرارها من حسن بن أحمد بن أبى خنزير الذى كان يأتيه سرا ، واستسلمت له ميلة بعد قتال شديد وولى عليها أبا يوسف ماكيون بن ضبارة الأجانى (١٠٩) . وكان الاستيلاء على ميله نقطة تحول هامة فى جهود أبى عبد الله الشيعى ليس فقط لأنه بدأ بها العمل خارج حدود كتامة ولكن أيضا لتزايد حماس أتباعه وثقتهم فيه بعد انتصارهم الذى حقق صدق ما وعدهم الداعى الشيعى من النصر .

كان الأغالبة حكام افريقية يشكلون العقبة الرئيسية فى طريق الداعى الشيعى للسيطرة على افريقية وبلاد المغرب ، وقد فطنوا مؤخرا

---

(١٠٧) القاضى النعمان : المصدر السابق ص ١٢٠ .

(١٠٨) نفس المصدر ، ص ١٢٣ .

(١٠٩) نفس المصدر ، ص‌ص ١٣٥ — ١٣٧ .

لخطورة المشرقى الذى فى كتامة فأعد أمير الأغالبة وقتئذ — أبو العباس ابراهيم بن أحمد — جيشا بقيادة ابنه محمد المعروف بأبى حوال (الأحول) لقتال أبى عبد الله الشيعى ، وانضم الى جيش أبى حوال جماعات من كتامة ممن لم يتشرقوا ولم يدخلوا فى دعوة الشيعى كما انضم اليـه نفر من القبائل التى مر عليها فى طريقه مثل بنى عسلوجه أصحاب سطيف وبنو تميم أصحاب بلزمة (١١٠) فازداد جيشه عددا وقوه وتوجه الى تازروت لملاقاة الداعى الشيعى فتصدى له أبو عبد الله وأتباعه والتقى الفريقان عند بلدة ملوسة ودارت بينهما رحى حرب شـديدة أسـفرت عن هزيمة أبى عبد الله الشيعى فانسحب بجيشه الى تازروت التى لم تكن تصلح لمدافعة أبى حوال لقلة حصانتها فتحول عنها أبو عبد الله الشيعى عائدا الى ايكجان فدخل أبو حوال تازروت فخربها وأحرقهـا وهدم قصر أبى عبد الله الذى ابتناه بها (١١١) .

اتخذ أبو عبد الله الشيعى ايكجان قاعدة له مرة أخرى وابتنى بها قصرا وتجمع أتباعه حوله فيها وصارت ايكجان دار هجرة ثانية بعـد خراب تازروت ، واهتم الداعى الشيعى بتنشيط الدعوة حتى يعيد الثقة الى نفوس أتباعه ويمتص ردود الفعل الناجمة عن هزيمته أمام أبى حوال وتخريب دار الهجرة ، لذلك « فرق أبو عبد الله الدعاة فى القبائل وتجرد بنفسه للمجالس وكان يجلس فى كل يوم للمؤمنين يحدثهم ويشرح لهم وأمر الدعاة بذلك فحسنت نيات المؤمنين وزادت بصائرهم وصـلحت أخبارهم » (١١٢) .

واهتم أبو عبد الله الشيعى باستطلاع أخبار الأغالبة انتظارا لفرصة مواتيه لاستئناف جهوده للاستيلاء على افريقية فكان يرسل الى افريقية قوما يأتونه بالأخبار لا يقطع ذلك فقيل كان لا يمر يوم الا وعنده منها خبر فجاءه الخبر بموت ابراهيم بن أحمد (١١٣) .

---

(١١٠) القاضى النعمان : المصدر السابق صص ١٣٨ — ١٤٠ .

(١١١) نفس المصدر ، صص ١٤١ — ١٤٢ .
والمقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٨ .

(١١٢) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(١١٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
يرى ابن عذارى (البيان المغرب جـ ١ ص ١٢٣) ان ايقاع ابراهيم
=

تولى بعد ابراهيم بن أحمد ابنه أبو العباس الذى كانت ولايته بداية انهيار دولة الأغالبة وسوء أحوالها الداخلية التى لم تمكن من استثمار نتائج انتصار أبى حوال على الداعى الشيعى عند بلدة ملوسة ، بل شغلتها عن الاجهاز عليه والقضاء على دعوته قبل استفحالها وكانت هذه الظروف السيئة التى تمر بالأغالبة ملائمة تماما للداعى الشيعى الذى أقلقه أن يتخلى أبو العباس بن ابراهيم بن أحمد الاغلبى عن سياسة الجور ويعمل على استرضاء رعيته والتقرب من العامة واظهاره التقشف ومجالسة أهل العلم ومشاورتهم (١١٤) لكن الداعى الشيعى لم يطل قلقه وما لبث أن هدأ باله بعد أن جاءه الخبر بقتل أبى العباس على يد ابنه زيادة الله الثالث •

يختلف المؤرخون فى تقييم زيادة الله الثالث ، فبينما يراه البعض عربيدا مستهترا أذهب بفساده الدولة الأغلبية ، فان البعض الآخر يرى أنه قد أدى واجبه الا أنه جاء متأخرا بعد أن تقرر مصير الدولة وفات أوان اصلاحها فلم يستطع أن يقيلها من عثرتها ويمنع سقوطها المحتوم ، وكيلا تتسرع بترديد رأى أى من الفريقين سنترك الأحداث تكشف لنا عن معدن آخر أمراء الأغالبة •

ابتدأ زيادة الله الثالث امارته بداية سيئة فبعد أن وثب الى الحكم على جثة أبيه المقتول استدعى أخاه أباحوال وأمره أن يعود بجيشه الى افريقية ويترك مواجهة الداعى الشيعى ، فلما رجع أبو حوال الى افريقية قتله أخوه زيادة الله وقتل معه كثير من عمومته وأخوته فى رمضان سنة ٢٩١ هـ (١١٥) وأدى هذا الى اضعاف البيت الأغلبى لكن زيادة الله أراد تقوية مركزه باستمالة العامة فقام لذلك بعزل القاضى الحنفى محمد بن أسود الصديني وولى القضاء بدلا منه حماس بن مروان الفقيه المالكى (١١٦)

ابن احمد الاغلبى برجال يلزمه سنة ٢٨٠ هـ الذين كانوا يذلون كتامة كان سببا فى استطالة كتامة وجرت السبيل للقيام مع الشيعى على ابن الاغلب •

(١١٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص‌ص ١٣٣ — ١٣٤ •

(١١٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٣٥ •

(١١٦) نفس المصدر ، ص ١٣٦ •

بل انه جمع اليه الفقهاء مستظهرا بهم على أبى عبد الله الشيعى فأخبرهم أن « هذا الصنعانى الخارج علينا مع كتامة يلعن أبا بكر وعمر — رضهما — ويزعم أن أصحاب النبى — صلعم — ارتدوا بعده ويسمى أصحابه المؤمنين ومن يخالفه فى مذهبه الكافرين ويبيح دم من خالف رأيه ، فأظهر الفقهاء لعنه والبراءة منه وحرضوا الناس على قتاله وأفتوهم بمجاهدته » (١١٧) .

وكان يمكن لزيادة الله أن يعبىء الشعور العام فى افريقية ضد الداعى الشيعى لولا أن عبثه واستهتاره ولهوه أفسد خطته فلم تستجب له العامة مما أقلقه وجعله يتحول عن مدينة رقادة الى مدينة تونس (١١٨) .

أتاحت الظروف السيئة التى مر بها البيت الأغلبى فرصة عظيمة أمام الداعى الشيعى ليستأنف عملياته العسكرية التى كانت هزيمته عند بلدة ملوسه عد حدت من نشاطها ، وقد أدى قتل أبى حوال الى فقدان الأغالبة للقائد الكفء الذى تمكن من هزيمة الداعى الشيعى وقد صدق المقريزى اذ قال : « قتل الاحول فانتشرت حينئذ جنود أبى عبد الله فى البلاد (١١٩)، فقد أغار أبو عبد الله الشيعى على سطيف واستولى عليها من يد بنى عسلوجه ، ووجه زيادة الله جيشا بقيادة ابراهيم بن حبشى التميمى — من أبناء عمومته — لقتال الداعى الشيعى ، ورغم فخامة الجيش الأغلبى الا أن قائده ابراهيم بن حبشى كان قليل الخبرة بالمعارك فلم يبادر الى تنظيم صفوفه ومهاجمة الداعى الشيعى وانما أقام بقسنطينه ستة أشهر دون قتال مما أضجر جنوده وأفقدهم الحماس فصاروا تواقين للعودة الى ديارهم ، وأعطى ابن حبشى الفرصة لأبى عبد الله الشيعى لتجميع قواته وتنظيم صفوفه ثم مفاجأة الجيش الأغلبى عند كبونه فانهزم الجيش الأغلبى هزيمة ساحقة وقتل منه الكثير واضطر ابراهيم بن حبشى الى الانسحاب الى باغاية كاتبا الى زيادة الله الثالث بهزيمته (١٢٠) .

---

(١١٧) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٣٧

(١١٨) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(١١٩) اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٥٩ .

(١٢٠) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٦٩ — ١٧٢ .

كانت لهزيمة كبونة عواقب وخيمة على الأغالبة لم يتمكنوا من تلافيها (١٢١) بينما كان نتائجها عظيمة بالنسبة للداعى الشيعى ، فقد علت معنويات أتباعه « فشرفت نفوسهم وتحققت آمالهم وصح عندهم ما كان الشيعى يعدهم به من النصر » (١٢٢) ، وفتح انتصار الداعى الشيعى فى كبونه الطريق لاحراز انتصارات أخرى لم تكن فى حجم انتصاره فى كبونه ولكنها كانت استكمالا له وتمهيدا للجولة الحاسمة ، فاستولى أبو عبد الله الشيعى على مدينة طبنة ومدينة بلزمة ثم مدينة تيجس ٠

كان على كل من الداعى الشيعى والأمير الأغلبى أن يعد عدته للجولة الحاسمة فأخذ أبو عبد الله يدعم قواته بمن انضم اليها من أهل المدن التى استولى عليها كما أنه عمل على تحسين صورته عند أهل افريقية بحسن معاملته لأهل هذه المدن ، ففى طبنة أخذ من الجباية ما يتوافق وأحكام الشريعة الاسلامية ورد ما خالف ذلك على أهلها « فلما نظر أهل طبنه الى فعله سروا به ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة وانتشر فعله فى جميع نواحى افريقية » (١٢٣) ٠ وفى تيجس لم يتعرض بأذى لرابطة كان ترابط فيها وتركهم يغادرون الى افريقية فى أمان » وشاع ذلك فى أهل افريقية وقد كان تشنع عندهم على أبى عبد الله وأصحابه الغرور والقتل وأنهم يؤمنون الناس ثم يقتلون ويعطونهم العهود ثم يخفرونهم فأكذب ما كان من فعلهم فى الرابطة الذين كانوا بتيجس ما شنع من ذلك عليهم وأخبروا بذلك من أذاعوه فكانت من ذلك عن أبى عبد الله وأصحابه عند العامة بافريقية أخبار صالحة » (١٢٤) ٠

أما زيادة الله الثالث فقد عمل على استمالة أهل افريقية وتحريضهم ضد الدعوة الشيعية ، فأمر بكتاب قرىء على منابر افريقية شنع فيـــه على الداعى الشيعى ووصفه فيه « الكافر الصنعانى المبدل لدين الله المحرف

---

(١٢١) محمد الطالبى : المرجع السابق ، ص ٧١٨ ٠
(١٢٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٣٨ ٠
(١٢٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٤٣ ٠
(١٢٤) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٨٥ ٠

لكتابه المستحل لدماء المسلمين بغير حقها المبيح للفروج بخلاف حلها مرتكبا للمحارم فيها ، الآكل أموالهم مستلبا لها » (١٢٥) . « ... ومن أيسر ما ظهر من كفره وانتشر من قبيح أنتحاله وأمره وفشا عنه وعرف وأطبق على من اتبعه اظهار لعنه أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله — صلعم — وصهريه وخليفتيه وضجيعيه وعثمــان ذي النورين زوج ابنتيه وطــلحة والزبير حوارييه وجماعة من أخيار صحابته » (١٢٦) « ... ثم شرع شريعة غير شريعة الاسلام وأسن سنة غير سنة محمد كتمها وأسر أمرها وأخذ العهود والمواثيق على من أطلعه عليها في كتمانها وترك التفوه بها وما يدل عليهــا لئلا تظهر الى المسلمين فيستحلوا جهادهم عليها وافترض لله على كل امرىء دخل في أمره دينارا أسماه دينار الجهرة ودرهما زعم أنه درهم الفطرة وقطع الصلاة واستخف بحرمة الدين وبان من جماعة المسلمين » (١٢٧) .

وأخذ زيادة الله يلوح لأهل افريقية بان المدد قادم اليهم من الخليفة العباسي المكتفي بالله وأخذ يمنيهم بالنصر بعد الهزيمة ويحثهم على مجاهدة الداعي الشيعي « وانفروا اليه خفافا وثقالا كما أمركم اللــه وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم كما افترض عليكم وادفعوا عن اباحة مهجكم وانتهاك حريمكم وأن لا تفتنوا في دينكم وكافحوا عنه من بدله وتبرءوا ممن أحدث فيه وغيره » (١٢٨) .

غير أن كتاب زيادة الله لم يؤت ثماره وأتت دعايته ضد الداعي الشيعي بعكس ما أريد منها ، وأثار كتاب زادة الله سخرية أهل افريقية لذكره مفاسد الداعي (١٢٩) فقارن الناس بين مفاسد زيادة الله وما ينسبه الى الداعي في كتابه فتقاعس أهل افريقية عن اجابة زيادة الله الى ما يريد (١٣٠) . فرأى زيادة الله أن يثير حماس الناس بالتصدي بنفسه للقتال فخرج في

---

(١٢٥) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .
(١٢٦) نفس المصدر ، ص‌ص ١٨٧ — ١٨٨ .
(١٢٧) نفس المصدر ، ص ١٨٩ .
(١٢٨) نفس المصدر ، ص ١٩١ .
(١٢٩) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ص ص ٥٦٨ — ٥٦٩ .
(١٣٠) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .
وابن عذاري (المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤٠) .

سنة ٢٣٩ هـ الى مدينة الأربس فنزل بقربها واجتمعت اليه عساكر كثيرة وأغدق الأموال ووسع العطاء لاستمالة الناس وأكثر من العتاد والميرة (١٣١) لكنه ما لبث أن أساء التصرف حينما أشرك محمد بن جيمال الحنفى فى القضاء مع حماس بن مروان (١٣٢) ، فأدى هذا الى نفور العامة من زيادة الله الذى ما لبث أن جبن عن مباشرة القتال بنفسه فقدم على الجند ابراهيم ابن أحمد بن أبى عقال ورحل عن الأربس عائدا فى حاصته الى رقادة (١٣٣) وزاد نفور العامة منه لانغماسه فى اللهو واتباعه اللذات ومنادمته العيارين والزمامرة واستعفاء حماس بن مروان عن القضاء وانفراد ابن جيمال الحنفى بالقضاء (١٣٤) مما أثار ضده مشاعر المالكية . ويبدو أن زيادة الله أحس بحرج موقفه فخرج فى المحرم سنة ٢٩٥ هـ االى مدينة تونس (١٣٥) .

وبينما كانت أحوال زيادة الله الثالث على هذا النحو من الاضطراب كان الداعى الشيعى يستولى على المدن والقلاع واحدة تلو الأخرى ، فاستولى على باغاية ومجانه وقصر الافريقى وتيفاش وبونه قسطيلية وقفصة وتقوى مركزه كثيرا قبل الجولة الحاسمة .

ثم جاءت الجولة الحاسمة عند الأربس فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ فانهزم فيها الجيش الأغلبى هزيمة ساحقة لم تقم له بعدها قائمة (١٣٦) وانهار زيادة الله انهيارا تاما حتى أنه فر من افريقية الى المشرق تاركا الداعى الشيعى يستولى على رقادة والقيروان وسائر افريقية ، ويجهز اجهازا تاما على الدولة الأغلبية . ولم تفلح محاولات ابراهيم بن أحمد المهزوم فى الأربس أن يجمع حوله أهل القيروان ليتقوى بهم على التصدى للداعى الشيعى ، فلقد آيس القرويون من الأغالبة

---

(١٣١) القاضى النعمان : المصدر السابق ، صص ١٩٩ — ٢٠٠ .
وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .

(١٣٢) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .

(١٣٣) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٥ .

(١٣٤) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(١٣٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٤٤ .

(١٣٦) البكرى : المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ، ص ٤٦ .

وطلبوا من ابراهيم بن أحمد الأغلبى أن يخرج عنهم حتى لا يبتلوا من أجله وينتقم منهم الداعى الشيعى بسببه وتحرش العامة بابراهيم بن أحمد حتى اضطروه للهرب هو الآخر فلحق بزيادة الله وأصبحت القيروان مهيأة ليدخلها الداعى الشيعى بلا مقاومة (١٣٧) .

لم يجد أهل القيروان بدا من الانصياع لأبى عبد الله الشيعى بعد أن خلت له الساحة تقريبا بسقوط دولة الأغالبة ، ويبدو أن شيوخ القيروان خافوا من انتقام الداعى الشيعى لسابق موقفهم المعارض للدعوة الشيعية واعلانهم البراءة من الداعى الشيعى ولعنه وتحريضهم الناس على قتاله وفتواهم بمجاهدته ، لذلك فقد بادر الفقهاء بالكتابة الى أبى عبد الله الشيعى يعتذرون اليه ويسألونه أن يعين لهم موضعا يلقونه فيه فواعدهم ساقية ممس يوم السبت غرة رجب سنة ٢٩٦ هـ (١٣٨) فخرج اليه فقهاء القيروان وأعيانها ووجهاؤها فالتقوا به عند ساقية ممس وأظهروا له استعدادهم للطاعة وسألوه الأمان فأمنهم ووعدهم خيرا فعادوا الى قيروانهم ونزل هو برقادة (١٣٩) .

أقدم الداعى الشيعى على عدة اجراءات ادارية ومذهبية أرسى بها دعائم الدولة الشيعية الناشئة استغرقت منه أكثر من شهرين من غرة رجب حتى منتصف رمضان سنة ٢٩٦ هـ قبل أن يخرج الى سجلماسة لتخليص الامام الاسماعيلى من سجنه فى سجلماسة (١٤٠) .

وكان من هذه الاجراءات الادارية اعلانه الأمان التام والعفو العام لأهل القيروان ورقادة ولمن بقى بافريقية من الأغالبة ومن عمل فى خدمتهم أو اتصل بأسبابهم لم يستثن من ذلك الا ابراهيم التميمى المعروف بالقوس وموالى الاغالبة السودان لما هموا به من الوثوب عليه وتآمرهم للاطاحة به (١٤١) وأمر أبو عبد الله الشيعى بجمع ما انتهب من الاموال

---

(١٣٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤٨ .

(١٣٨) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٣٧ .

(١٣٩) القاضى النعمان : المصدر السابق ، صص ٢٤٣ — ٢٤٥ .

(١٤٠) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٣١٢ ، وسعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، صص ٥٨١ — ٥٨٢ .

(١٤١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .

بمدينة رقاده وختم عبيد زيادة الله ووقف جواريه وولى النظر فى ذلك أحمد بن فروخ الطبنى الأحدب ، وولى على السكة أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودى ونقش فيها : الحمد لله رب العالمين وسميت بالعملة السيدية » (١٤٢) . واهتم الداعى الشيعى باحلال العناصر الشيعية فى المناصب الادارية والمذهبية فولى على القيروان حسن بن أحمد بن أبى خنزير وولى على قضائها محمد بن عمر المروزى الذى أصبح قاضيا للقضاة والحكام بسائر بلدان الدولة الشيعية الناشئة (١٤٣) .

ومن الاجراءات المذهبية أنه عين خطباء الجوامع من الشيعة وأمر فى الخطبة بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين على وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء وأمر يوم دخل بالأذان بحى على خير العمل ونقش على السكة من وجه : « بلغت حجة الله » ومن الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » ونقش على السلاح « عدة فى سبيل الله » ووسم الخيل « الملك لله » (١٤٤) وأسقط من أذان الفجر « الصلاة خير من النوم » (١٤٥) وأوعز الى محمد بن عمر المروزى قاضى قضاة الشيعة أن يأمر باسقاط صلاة الأشفاع (التراويح) (١٤٦) .

والواقع أن الداعى الشيعى كان ينتهج سياسة التغيير التدريجى المعتدل كيلا يصدم أهل افريقية أو يثيرهم فيثورون عليه والدولة لا تزال غضة فى مهدها ، ولم يتغير ايقاع التغيير من الرفق الى العنف الا على يد أبى العباس المخطوم أخى أبى عبد الله الشيعى وعاونه على ذلك القاضى محمد بن عمر المروزى ، وقد ظهر ميل أبى العباس المخطوم الى انتهاج سياسة العنف منذ قدومه الى القيروان ، فقد اقترح أن ينفى من القيروان

---

(١٤٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

(١٤٣) القاضى النعمان : المصدر السابق ، صص ٢٤٥ — ٢٤٧ . وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

(١٤٤) القاضى النعمان : المصدر السابق ، صص ٢٤٩ — ٢٥١ . والمقريزى : اتعاظ الحنفاء ، جـ ١ ، صص ٦٣ — ٦٤ . والمقفى الكبير ، ص ٣١ .

(١٤٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥١ .

(١٤٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

كل فقهاء المالكية لولا اعتدال أخيه أبى عبد الله ورفضه لمقترحات أخيه المخطـوم (١٤٧) .

ولقد أدت الاجراءات المذهبية التى أقدم عليها الشـيعة خاصـة ما اقترفه أبو العباس المخطوم والقاضى المروزى الى تخلى فقهاء المالكية عن سياسة المهادنة التى انتهجوها لأول قدوم أبى عبد الله الشيعى الى أفريقية ، وتصدوا لتلك التغييرات المذهبية التى اعتبروها كفرا ومروقا عن الدين فاشتعل الصراع المذهبى من جديد على أعنف ما يكون وفى صورة مختلفة عن الصراع المذهبى على عهد الأغالبة اذ لم يعد صراعا بين المالكية والأحناف أو بعبارة أخرى بين السنة بعضهم وبعض وانما أصبح صراعا بين أهل السنة والشيعة أو بالأحرى صراعا بين المالكية والاسماعيلية .

وكان مما أفسح المجال أمام أبى العباس المخطوم والقاضى المروزى لتنفيذ مخططهما وانتهاج سبيل التطرف خروج أبى عبد الله الشيعى الى سجلماسه لتخليص الامام الاسماعيلى من يد أميرها اليسع بن مدرار بعد أن كانت رحلة الامام الاسماعيلى من المشرق الى المغرب قد انتهت اليها وحط فيها رحاله .

---

(١٤٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥١ .

عبيد الله المهدى ورحلته الى بلاد المغرب

تختلف المصادر ــ السنية منها والاسماعيلية على حد سواء ــ اختلافا شديدا حول شخصية المهدى ونسبه ورحلته الى بلاد المغرب ٠ واذا كانت المصادر الاسماعيلية نفسها لا تستطيع تعيين شخصية المهدى فى دقه ولا الجزم بنسبه فى وضوح ، فيكفى اذن القول بأنه كان أول العبيد بين الذين حكموا الدولة التى أقامها أبو عبد الله الشيعى فى بلاد المغرب ٠

لقد كان من منهجنا فى هذه الدراسة الرجوع الى المصادر الاسماعيلية والاعتماد عليهـا اعتمادا أساسيا باعتبارها أولى من غـيرها بالاهتمام بموضوع الدراسة لكنه تبين لنا فى كثير من المواضع تناقض المصـادر الاسماعيلية وتفاوتها فيما بينها ليس فقط بين كتب الظاهر وكتب الباطن ولكن أيضـا بين كتب الظاهر بعضها وبعض وبين كتب الباطن بعضهـا بعض ، وفضـلا عن هذا كان يوجد التناقض أحيانا كثيرة فى كتابات الكاتب الاسماعيلى الواحد ليس فط من كتاب لآخر ولكن أيضا من فقرة لأخرى فى الكتاب الواحد على نحو يدعو بالحاح الى الشـك ويجعل الاقتناع وهما يصعب على العقل تقبله أو تصديقه ٠

ولم تشذ المصادر الاسماعيلية عن هذا التناقض فيما كتبته عن شخصية المهدى ونسبه ورحلته بل لعل تناقضها فى ذلك أوضح وأظهر عما فى غيره على الرغم من أن هذه المصادر قد تم التصرف فيها وصيغت على النحو الذى يخدم الدعاية الاسماعيلية فى زمن العبيديين بهدف تجميل صورتهم وتحسين رأى الناس فيهم ٠

فمع أن سيرة جعفر الحاجب تكاد أن تكون أهم مصادرنا عن رحلة المهدى الى بلاد المغرب على اعتبار أن جعفر الحاجب كان أحـد رفاق المهدى فى تلك الرحلة وعاش بنفسه أحداثها وروى ما عاينه منها كشاهد عيان ، غير أن النص الذى وصل الينا عن تلك الرحلة ليس هو نصـها الأصلى الذى كتبه أو أملاه جعفر الحاجب وانما هو نص تمت صياغته بتصرف من محمد بن محمد اليمانى كاتب تلك السيرة ، يتضح ذلك من بعض الزلات التى وقع فيها مثل قوله مشـيرا الى رحلة أبى عبد الله الشيعى رفقة الكتاميين : « وكانت له معهم أخبار فى طريقه الى المغرب

يطول شرحها قد ذكرها القاضى النعمان بن محمد فى كتابه الذى ألفه فى ابتداء الدولة الطالبية » (١٤٨) . فكيف تأتى الاشارة الى تأليف القاضى النعمان فى النص الأصلى لسيرة جعفر الا اذا كان النص قد أعيدت صياغته على يد محمد بن محمد اليمانى (١٤٩) وفضلا عن هذا فان ذلك اليمانى يعترف فى نهاية تلك السيرة بأنه كتب ما سمعه من جعفر « بعد أن نسى أكثره لبعد المدة وتواتر المحن » (١٥٠) . وسواء كان قد نسى أو تناسى فان النص الذى كتبه لم يكن اذن هـو النص الأصلى بأى حال من الأحوال .

وتتناقض المصادر الاسماعيلية فيما بينها حول الامام الذى كان قبل المهدى فى سلمية وحول الامام المرتحل من سلميه وموعد رحيله منها ، واذا كانت تتفق على أن الامام الذى ظهر فى بلاد المغرب وناوله أبو عبد الله الشيعى الحكم هو عبيد الله المهدى ، فهى لا تتفق على من هو هذا المهدى ، هل هو عبيد الله بن الحسين أم هو سعيد الخير ؟! وهل هو والد القائم بأمر الله الذى تولى من بعده ؛ وهل أبوته له بالجسد أم هى فقط أبوه روحية ؟! كل هذه النقاط تختلف فيها المصادر الاسماعيلية وهى صاحبة المصلحة والصلاحية فى بيان هذه القضية وتوضيحها ، ولكنها رغم ذلك عاجزة عن حسم القول فيها أو القطع فيها برأى .

يفهم من المصادر الاسماعيلية أن الامام الاسماعيلى فى أواخر دور الستر كان يعيش مستترا فى سلمية (١٥١) معاشرا قوما من الهاشميين من ولد عبد الله بن عباس — رضهما — ، وكان الامام الاسماعيلى المستتر

---

(١٤٨) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٢٥ .

(١٤٩) كتب القاضى النعمان افتتاح الدعوة فى خلافة المعز لدين الله فيما يبدو اذ روى الداعى المطلق ادريس على لسانه امرنى امير المؤمنين — المعز — بجمع اخبار الدولة فى كتاب ومناقب بنى هـاشم ومثالب بنى عبد شمس فى كتاب ففعلت وجمعت فى كل من هـذين الفنين كتابا جامعا ضخما يشـتمل على اجزاء كثيرة على مارتبه لى واقادنية ورفعتهما اليه فاستحسـنهما وارتضاهما واسـتجاد معناهما (الداعى ادريس : عيـون الاخبار ، سبع ٦٠ ص ٣٢) .

(١٥٠) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٣٣ .

(١٥١) تجاهل كتاب افتتاح الدعوة ذكر سـلمية فلم يشر اليها على الاطلاق .

« يظهر لهم أنه عباسى » على حد قول جعفر الحاجب (١٥٢) ولا يصح فهم هذه العبارة على أنه تظاهر بأنه من ولد العباس ، فأغلب الظن أنه تظاهر بأنه عباسى الولاء والميول (١٥٣) كان هذا الولاء للعباسيين ــ فيما يبدو ــ متميزا بين أهل الشام الذين اجتمعوا على النفور من العباسيين والحنين الى أيام الأمويين الذين تمتعوا فى أيامهم بنفوذ عظيم حرمهم منه العباسيون • فكان تظاهر الامام الاسماعيلى المستتر بأنه عباسى الهوى كفيلا بارتياح العباسيين الهاشميين فى سلمية له وامعانا فى التستر واخفاء حقيقة أمره ، بل بالغ فى تقربه وتودده الى العباسيين أن كان يلاطف عمال سلمية من قبلهم ويدعو الهاشميين فيها الى ولائمه الفاخرة التى كان يغدق عليها فى سخاء حتى خروجه عن سلمية الى بلاد المغرب • ومع أن سيرة جعفر الحاجب تخلط فيما تذكره ــ فى هذا الموضع ــ بين الامام السابق على المهدى وبين المهدى نفسه الا أنه يفهم منها أن ذلك كان نهج أئمة الاسماعيلية الذين سكنوا سلمية بصفة عامة •

تختلف المصــادر الاسماعيلية فيما بينها حول الامام السابق على المهدى اختلافا شديدا • فاذا نظرنا فى كتب الظاهر وجدنا كل من سيرة جعفر الحاجب وافتتاح الدعوة تتجاهل ذكرا اســم هذا الامام تجاهلا تاما غير أن جعفر الحاجب يذكر أن هذ الامام ــ الذى لم يسمه ــ زوج قبيل وفاته المهدى من ابنه عمه التى هى أم ولده القائم (١٥٤) • لكن الداعى ادريس يذكر فى عيون الأخبار ــ وهو من كتب الظاهر ــ أن والد المهدى هو الحسين بن أحمد وأنه توفى والمهدى لا يزال بعد فى الثامنة من عمره وأن الامام الذى زوج المهدى هو عمه أبا على الحكيم محمد بن أحمد المكنى سعيد الخير ، ثم ينقل الداعى ادريس عن سيرة جعفر أن الامام توفى بعد زواج المهدى بأيام قليلة (١٥٥) •

أما كتب الباطن فتذكر خلاف ما جاء فى كتب الظاهر ، فالداعى ادريس نفسه يذكر فى كتاب باطنى له أن الامام صاحب الزمان تقدم للهجرة الى

---

(١٥٢) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٠٨ •

(١٥٣) يميز جعفر الحاجب (سيرته ، ص ١٠٨) بين هاشميين من ولد عبد الله بن عباس ، وبين من « يظهر لهم انه عباسى » ولم يقل : يظهر لهم انه منهم او يظهر لهم انه من ولد العباس على سبيل المثال •

(١٥٤) سيرة جعفر الحاجب ، صص ١٠٨ ــ ١٠٩ •

(١٥٥) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٨٩ •

المغرب والمهدى فى كنفه فأظهر النقلة فى سفره وأوصى الى أخيه سعيد الخير واستكفله واستودعه لولده القائم فكفله سعيد الخير وتسمى بالامامة سترا على ولى الله واخفاء لمقامه عن أهل دعوته حتى يكون أوان ظهوره (١٥٦) ومعنى ذلك أن المهدى الذى رحل الى المغرب وتسلم الحكم من أبى عبد الله الداعى هو سعيد الخير وأن الامام السابق عليه لم يكن أباه وانما كان أخاه وأنه انتحل لنفسه اسم المهدى الذى كان القائم أحق به منه وأن القائم لم يكن ولده من صلبه وانما هو ابنه الذى تبناه وكفله حتى سلم اليه الامامة المستودعة عنده .

أما الداعى الاسماعيلى خطاب بن الحسن ، فيذكر أن الامام الذى كان بسلمية هو على بن الحسين وأنه خرج من سلمية يريد بلاد المغرب حتى اذا كان فى بعض طريقه أظهر الغيبة واستخلف حجته سعيد الملقب بالمهدى فثبت الدعوة حتى اذا حضرته النقلة سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن على القائم بأمر الله (١٥٧) .

على هذا النحو ، لم تتفق المصادر الاسماعيلية فيما بينها على شخصية الامام الاسماعيلى الذى رحل عن سلمية ، وعلى الرغم من ذلك فان هذه المصادر الاسماعيلية هى ركيزة البحث عن هذه الرحلة ومراحلها وسوف نعتمد عليها فى تتبع تلك الرحلة مع الافادة مما جاء بصددها فى المصادر الأخرى .

تنقسم رحلة المهدى — فى تقديرنا — الى مرحلتين رئيسيتين ، تبدأ أولاهما بخروجه من سلمية وتمتد حتى دخوله الى مصر وتبدأ أخراهما بخروجه من مصر وتنتهى بظهوره من سجلماسة وتخليصه من قبضة بنى مدرار على يد الداعى أبى عبد الله الشيعى .

المرحلة الاولى : من سلميه الى مصر :

أشارت رواية القاضى النعمان فى افتتاح الدعوة — الرواية الرسمية — الى تلك المرحلة فى اقتضاب شديد لم تتجاوز قول « فخرج بنفسه — المهدى — وبالامام ابنه — القائم من بعده معه وهو يومئذ غلام حدث السن والمهدى شاب عندما كمل حتى انتهى الى مصر » (١٥٨) .

(١٥٦) زهر المعانى ، ص‌ص ٦٦ — ٦٧ ، ص ٧١ .
(١٥٧) غاية المواليد ، ص‌ص ٣٦ — ٣٧ .
(١٥٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ .

وعلى الرغم من أن المصادر الاسماعيلية الأخرى تعوض اقتضاب افتتاح الدعوة بكثير من تفاصيل الرحلة الا أننا لا نستطيع الاكتفاء بها والاعتماد عليها وحدها لما شابها من اضطراب وتناقض فيما بينها حول عدد من وقائع الرحلة وعدم تدقيقها فى تحديد التواريخ أحيانا كثيرة ومن ثم لزم الرجوع الى المصادر السنية فى بعض الأحيان •

يصعب تحديد موعد خروج المهدى عن سلمية فى دقة تامة ، فافتتاح الدعوة لا يحدد تاريخا لذلك الخروج ، لكن جعفر الحاجب يجعل هذا الخروج فى سنة ٢٨٩ هـ قبل شهر رجب من هذه السنة (١٥٩) بينما يجعله الداعى ادريس فى سنة ٢٨٦ هـ (١٦٠) وهو أمر يصعب قبوله اذ يجعل الرحلة تستغرق سنوات طويلة لا يستغرقها المرتحل الآمن المتمهل فكيف بالمرتحل الخائف المسرع خشية الوقوع فى قبضة رجال الأخبار أو العمال العباسيين فضلا عن هذا فان وقائع الرحلة تشير الى سرعة ايقاعها وان المهدى كان مسرعا فى تنقلاته من بلد لآخر لا يمكث فى أى منها الا مدة وجيزة ، ففيما عدا ما ذكره النيسابورى عن بقاء المهدى فى الرملة اكثر من سنة ونصف لا نجد رواية أخرى تشير الى بقائه فى أى مدينة أخرى أكثر من أيام معدودة •

ويشير ابن خلدون فى معرض اثباته لصحة نسب العبيديين العلوى الى أن المعتضد بالله العباسى وجه كتابا الى ابن الأغلب وآخر الى ابن مدرار بسجلماسة يغريهما بالقبض على المهدى حين سار الى المغرب ، ويتخذ ابن خلدون من ذلك قرينة على قوله بصحة نسب العبيديين العلوى (١٦١) ومع أننا نجد اشارات الى كتابى المتعضد فى مصادر أخرى ومن بينها كتب اسماعيلية (١٦٢) الا أن ما يذهب اليه ابن خلدون يجعلنا أمام أمرين : أولهما التسليم بصحة كتاب المتعضد ويترتب على ذلك ضرورة أن يكون خروج المهدى من سلمية قبل وفاة المعتضد فى ربيع الثانى ٢٨٩ هـ / مارس ٩٠٢ م ، وقد حدثت وفاة المعتضد على ذلك

---

(١٥٩) سيرة جعفر ، ص ١١٢ •

(١٦٠) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٩٠

وكان يمكن اعتبار ذلك التاريخ نوعا من التصحيف لولا وروده كتابة بالاحرف على النحو التالى « ست وثمانين ومائتين »

(١٦١) العبر ، جـ ٤ ، ص ٣١ •

(١٦٢) النيسابورى : المصدر السابق ، ص ١٠٦ •

قبل وصول المهدى الى الرملة التى كان فيها فى رجب من نفس العام أى قبل أن تتحدد وجهته بعد الى المغرب أو الى غيره ، فكيف يكتب المعتضد اذن الى ابن الأغلب وكيف علم بعزم المهدى على الاتجاه الى المغرب قبل أن يفصح المهدى عن ذلك لأحد من رفاقه .

أما الأمر الآخر ، فانه اذا لم تصح نسبة الكتاب المشـار اليه الى المعتضد الذى لم يعرف بوجهه المهدى الحقيقية فى حياته ولا يعقل أن يصـدر عنه كتاب بذلك بعد وفاته فيصبح الكتاب بذلك محض ادعاء لا أساس له من الصحة تسقط بذلك واحدة من القرائن التى يستدل بها ابن خلدون فى قوله بصحة نسب العبيديين العلوى . وفضلا عن هـذا فان كلا من ابن سعيد الأندلسى (١٦٣) والمقريزى (١٦٤) يذكران أن خبر المهدى شاع لدى العباسيين أيام المكتفى فطلب فخرج من سلميه ومعه ولـده أبو القاسـم ، ويمكن القـول ان ذلك قد حـدث عقب وفاة المعتضد وتولى ابنه المكتفى خلافة العباسيين مباشرة فى شهر ربيع الثانى ٢٨٩ هـ الذى توفى فيه الأول وتولى فيه الثانى الخلافة لولا أن خط سير الرحلة الذى سـلكه المهدى من سـلمية الى الرملة كما ذكره كل من النيسابورى وجعفر الحاجب لم يستغرق الا أقل من شهر ، فيذكر جعفر الحاجب أن المهدى سار من سلمية الى دمشق فى سرعة وأنه لم يمكث فى دمشق الا قليلا ثم غادرها الى طبرية فوصل الى مشارفها بعد ثلاثة أيام فقط ولم يعرج عليها ولم ينزل بها وانما رحل مباشرة الى الرملة فنزل عند عاملها فى رجب ٢٨٩ هـ (١٦٥) . أما النيسابورى فيذكر أن المهدى خرج بمن معه وقت صلاة العصر الى ظاهر سلمية ثم قطع الليل كله فى الانتقال منها الى حمص فى حراسـة ثلاثين فارسا من قبيلة رياح يقودهم غيلان الرياحى فوصلوا الى حمص غداة اليوم التالى وعاد غيلان وفرسان رياح بينما واصل المهدى المسير حتى وصل الى طرابلس الشام ثم توجه منها الى الرملة (١٦٦) وعلى ذلك ، فأغلب الظن أن المهدى خرج من سلمية حوالى جمادى الآخرة سنة ٢٨٩ هـ .

---

(١٦٣) النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، ص ٣٥ .

(١٦٤) كتاب المقفى الكبير ، تراجم منشورة بتحقيق محمد اليعلاوى ، ص ٨١ .

(١٦٥) سيرة جعفر ، ص‌ص ١١١ — ١١٢ .

(١٦٦) استتار الامام ، ص ٩٧ .

أقام المهدى بالرملة — وفقا لرواية النيسابورى مدة طويلة تمتد حتى سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤م ، اذ لم يخرج عنها الا بعد فشل الثورة القرمطية فى بلاد الشـام ووقوع أبى مهزول القرمطى فى يـد العباسـيين فى تلك السنة (١٦٧) ويبدو أن النيسابورى قد أصاب فيما ذهب اليه اذ يذكر المسـبحى فيما نقله عنه المقريزى أن المهـدى قدم الى مصر فى سـنة ٢٩١ هـ (١٦٨) ولعل المهدى قد مكث فى الرملة هذه المدة الطويلة لانشغال العباسيين عنه بثورة القرامطة فلما قضى على تلك الثورة رحل من فوره الى مصر (١٦٩) .

أما عن سبب فرار المهدى فقد أرجعه القاضى النعمان الى خوفه من العباسيين (١٧٠) ويزيد المقريزى ذلك توضيحا فيذكر أنه لما استقام أمر أبى عبد الله الشيعى ببلاد المغرب أنفذ رجـالا من كتامه يثق بهم الى عبيد الله المهدى ليخبروه بما حققه من انجازات وبأنهم ينتظرونه فى الوقت الذى شاع فيه خبر المهدى عند العباسيين فطلب فخاف على نفسه فخرج عن سلمية (١٧١) بينما يرجع كل من جعفر الحاجب (١٧٢) والنيسابورى (١٧٣) شيوع خبره الى ثورة القرامطة فى الشام فيما بين سنتى ٢٨٩ — ٢٩١ هـ .

لا تتفق المصادر الاسماعيلية على من صـحب المهدى فى رحلته من سلمية فبينما يذكر جعفر الحاجب أن المهدى وابنه القـائم قد رافقهما خمسـة هم : فيروز داعى الدعاة باب الأبواب ، وطيب حاضن القائم المعروف حينئذ باسم بركان ، وأبو العباس محمد بن أحمد بن زكريا أخو أبى عبد الله الشيعى وأبو يعقوب القهرمان ومحمد بن عزيزة ابن خالة جعفر الحاجب (١٧٤) أما النيسابورى فيذكر أن المهدى وابنه صحبا معهما

---

(١٦٧) استتار الامام ، ص ١٠٦ .
(١٦٨) المقفى الكبير ، ص ٨٢ .
(١٦٩) النيسابورى : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
(١٧٠) افتتاح الدعوة ص ١٥٨ .
(١٧١) المقفى الكبير ص ٨١ .
وابن سعيد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
(١٧٢) سيرة جعفر ، ص ١٠٩
(١٧٣) استتار الامام ص ٩٦
(١٧٤) سيرة جعفر ، ص ١١٠

جعفر الحاجب وابن بركة لا غير (١٧٥) لكننا نفهم من جعفر الحاجب نفسه (١٧٦) ومن المقريزى (١٧٧) أن رفقة المهدى كانت اكثر عددا من ذلك ، فقد صحبه أيضا عدد من الكتا ميين الذين حملوا اليه رسائل أبى عبد الله الشيعى .

وعلى أى حال فقد وصل المهدى وصحبه الى مصر فى زى التجـار تخفيا من عيون العباسيين وعمالهم منهيا بذلك المرحلة الأولى من تلك الرحلة المشهورة .

المرحلة الثانية : من مصر الى سجلماسة :

وصل المهدى الى مصر فى تاريخ غير متفق عليه ، فالمصادر الاسماعيلية لا تحدد ذلك التاريخ وانما تحدده المصادر السنية على وجه التقريب ، فبينما يذكر ابن عذارى أن المهدى وصل الى مصر فى زى التجار سـنة ٢٨٩ هـ (١٧٨) الا أن مسار الرحلة وتوقيتاتها من سلمية الى مصر — كما أوضـحنا — يجعل من الصـعوبة بمكان تقبل ما ذكره ابن عذارى . ويذكر المسبحى أن المهدى قدم الى مصر سنه ٢٩١ هـ (١٧٩) . أما عريب ابن سعد فيشير الى أنه وصل الى مصر ابان تواجد محمد بن سليمان الكاتب بها وأنه قبض عليه ثم أطلقه نظير مبلغ من المال (١٨٠) بينما يذكر آخرون أنه مر بمصر فى ولاية عيسى النوشرى (١٨١) . ويذهب الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الى أن مرور المهدى بمصر قد يكون ابان ثورة محمد بن على الخليجى التى وقعت فيما بين ٢٦ ذى القعدة سنة ٢٩٢ هـ و٨ رجب سنة ٢٩٣ هـ / ٣٠ سبتمبر ٩٠٥ الى ٦ مايو سنة ٩٠٦ م (١٨٢) وكان يمكن قبول هذا الرأى لولا أن ابن عذارى يذكر أن عبيد الله المهدى جاءه كتاب أبى عبد الله الشيعى بانتصاره فى كبونه سنة ٢٩٢ هـ

(١٧٥) استتار الامام ، ص ٩٧ .
(١٧٦) سيرة جعفر ، ص ١١٥ .
(١٧٧) المقفى الكبير ، ص ٣٦
(١٧٨) البيان المغرب ، جـ ، ص ٢٠٦
(١٧٩) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٢
(١٨٠) صلة تاريخ الطبرى ، ص ٥١
(١٨١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ٦٠ .
(١٨٢) تاريخ المغرب العربى ، جـ ٢ ص ٥٨٦

والمهدى يومئذ بسجلماسة (١٨٣) ولذلك فان مرور المهدى بمصر كان قبل ثورة الخليجى فى ولاية عيسى النوشرى أو قبيلها .

اتهم عيسى النوشرى بأنه تغاضى عن الامساك بالمهدى الذى رشاه بمبلغ من المال (١٨٤) ومع أنه ليس من المعقول أن يتهم النوشرى بنيل هذه الرشوة ثم يبقيه الخليفه العباسى على ولاية مصر حتى وفاته فى سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، فان سيرة جعفر الحاجب لم تشر الى أن المهدى قبض عليه فى مصر على الاطلاق ، وانما تشير الى أنه تخفى عند رجل مصرى غير شيعى يدعى ابن عياش (١٨٥) يبدو أنه ساعد المهدى نكاية فى العباسيين الذين أسقطوا الدولة الطولونية لا لتشيع فيه ، يدعم هذا قول ابن شداد الصنهاجى أن الكتب أتت الى عيسى النوشرى بالقبض على المهدى بعد خروج المهدى من مصر وأنه لم يعرف حقيقته لتنكر المهدى فى هيئة التجار (١٨٦) .

ويمكن القول ان اضطراب أحوال مصر فى تلك الفترة التى شهدت سقوط الدولة الطولونية واستعادة العباسيين ولاية مصر وتعاقب العمال على مصر فى تلك الفترة الوجيزة هو الذى أوقع المؤرخين فى هذا الخلط واللبس ، واذا كان لنا أن نرتب الأحداث فأغلب الظن أن المهدى كان فى مصر ابان وجود محمد بن سليمان الكاتب عقب سقوط الدولة الطولونية ولكن المهدى لم يخرج من مصر بسرعة وانما مكث فيها مدة متخفيا فى دار أحد المصريين (١٨٧) حتى تولى عيسى النوشرى مصر قبل ثورة محمد ابن على الخليج وجاءته الكتب بالقبض على المهدى فأخذ فى البحث عنه لكن المهدى أسرع بالخروج من مصر قبل أن تصل اليه يد الوالى العباسى .

---

(١٨٣) البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٣٩
(١٨٤) المقريزى : المصدر السابق ، ١ ص ٦٠
(١٨٥) سيرة جعفر ، ص ١١٥
(١٨٦) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ص ٨٣ — ٨٤ .
(١٨٧) يدعوه جعفر الحاجب ابن عياس ويدعوه المقريزى ابن طلحه كانت دار بعقبة بنى قليح

لكن ركب المهدى كان قد تعرض قبل خروجه من مصر لانشقاق خطير ، وقد يرجع هذا الانشقاق الى قبيل دخوله اليها ، فقد أشارت المصادر الاسماعيلية الى انشقاق فيروز داعى الدعاة باب الأبواب وخروجه على طاعة الامام الاسماعيلى وتمرده على فكرة التوجه الى المغرب دون اليمن . واذا كان جعفر الحاجب يجعل وقوع هذا الانشقاق فى مصر ويرجعه الى أن فيروز قد فوجىء باعلان المهدى عن وجهته الى المغرب بينما كان رفاق رحلته يعتقدون أنه متوجه الى اليمن (١٨٨) فان القاضى النعمان — رغم تجاهله لاسم فيروز — يشير الى أن أحد الدعاة كان قد سبق الى اليمن قبل دخول المهدى مصر وأنه أفسد على بن الفضل الجيشانى وأغواه وحرضه على الانشقاق على المهدى ، فلما بلغ المهدى ذلك كره الذهاب الى اليمن وأقام بمصر مدة فى زى التجار ثم توجه منها الى المغرب (١٨٩) . أما الداعى ادريس فيذكر أن فيروز أحزنه سير الامام الى المغرب واستبعد المسافة فتخلف فى مصر وسار الى اليمن (١٩٠) .

اذا ناقشنا الروايات الثلاثة السابقة وجدنا أن جعفر الحاجب يجعل انشقاق فيروز على المهدى قد حدث فى مصر بعد اعلان المهدى عن وجهته الى المغرب وهذا قول يصعب تصديقه ، فكيف يخفى المهدى عن داعى دعاته وباب أبوابه حقيقة وجهته طوال هذه المدة الا اذا كانت ثقته به مهزوزة ؟! وكيف لا يفطن فيروز — وله فى الدعوة تلك المكانة التى تدل على قدرته على الفهم — الى مغزى وجود الكتاميين فى رفقة المهدى ؟! وحتى اذا خفى عليه ذلك ، ألم يفطن الى أن الدخول الى مصر بمثابة الخروج عن الطريق المؤدى الى اليمن ؟! .

أما قول الداعى ادريس ان فيروز استبعد المسافة الى المغرب فتخلف بمصر وسار الى اليمن بعد خروج المهدى الى المغرب فلا يعتد به كثيرا لأن المسافة من مصر الى بلاد كتامة ليست بأطول من المسافة من مصر الى اليمن فضلا عن أن سيرة جعفر وافتتاح الدعوة وهما اكثر أصالة وأسبق من عيون الأخبار قد أجمعا على أن خروج المهدى الى المغرب كان بعد

---

(١٨٨) سيرة جعفر ، ص ص ١١٤ — ١١٥
(١٨٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٩
(١٩٠) عيون الاخبار ، سبع ٥ ص ٩٥

اشقاق فيروز ، بل أرجع القاضى النعمان كراهية المهدى للذهاب الى اليمن الى هذا الانشقاق .

خرج المهدى من مصر حوالى منتصف سنة ٢٩٢ هـ فى زى التجار واتجه منها الى طرابلس الغرب ضمن قافلة من التجار العراقيين (١٩١) لكنهم تعرضوا فى الطريق اليها وعند موضع يسمى الطاحونه لغارة شنها عليهم بعض قطاع الطرق الذين سلبوهم بعض متاعبهم ، وتعرض عبيد الله المهدى لمثل ما تعرض له التجار الآخرين من أذى الا أن الدعاية الاسماعيلية لا تنسى الافادة من هذا الحادث فتشير الى أن اللصوص نهبوا كتبا للمهدى كان فيها علوم آبائه فكان أسف المهدى عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له (١٩٢) . لكننا نتساءل ما الذى يجعل قطاع طرق من البربر يهتمون بسلب كتب لا يعرفون ما فيها ويجهلون شخصية صاحبها وهويته السياسية ! وما الداعى لاحتفاظهم بهذه الكتب وحفاظهم عليها حتى وجدها القائم بأمر الله العبيدى فى أولى حملاته على مصر واستردها دون أن يتلف منها شىء .

وصل عبيد الله المهدى الى طرابلس فأرسل منها أبا العباس أخا أبى عبد الله الشيعى — والذى لقب حينئذ بالمخطوم لجرح أصابه يوم الطاحونه — أرسله الى القيروان مع بعض الكتاميين ليصل معهم الى أخيه ببلدة كتامة ويعرفه بقرب المهدى منه (١٩٣) .

لكننا نتساءل : لماذا أرسل المهدى أبا العباس الى أخيه عن طريق القيروان فيعرضه للوقوع فى أيدى الأغالبة ؛ قد يتبادر الى الذهن أنه لم يكن يدرك طبيعة المنطقة وكيفية الوصول الى بلاد كتامة دون المرور بالقيروان ، غير أن هذا لا يصح افتراضه مع وجود جماعة الكتاميين الذين صحبوا المهدى فى رحلته وأرسلهم مع أبى العباس المخطوم ليصلوا الى الداعى أبى عبد الله عبر طريق القيروان .

---

(١٩١) النيسابورى : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(١٩٢) سيرة جعفر ، ص ١١٥ وافتتاح الدعوة ص ١٦١ وابن الاثير ، جـ ٦ ص ١٢٩ والمقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ٦١

(١٩٣) سيرة جعفر ، ص ١١٥ وافتتاح الدعوة ص ١٦٢

أغلب الظن أن أبا عبيد الله المهدى رسم خطة ذكية للتمويه على الأغالبة وتحويل أنظارهم عنه فقام بتقسيم رفاقه الى جماعتين ، تكونت احداهما من أبى العباس المخطوم والكتاميين وطريقها الى بلاد كتامة مرورا بالقيروان لتشغل الأغالبة وتحول انتباههم عن الجماعة الثانية التى تلتف حول المهدى وتتسلل معه خفية عبر الطريق المباشر من طرابلس الى قسطيلية ومنها الى بلاد كتامة وهى نفس الطريق التى سلكها أبو عبد الله الشيعى من قبل الى بلاد المغرب .

خرج أبو العباس المخطوم من طرابلس الى القيروان حيث وقع فى يد الأغالبة (١٩٤) بينما انسل المهدى بعده الى قسطيلية ليتوجه منها الى سوماته ووصل المهدى الى توزر بنواحى قسطيلية فى تمهل يدل على أمنه وثقته بنجاح خطته حتى أنه أقام ومن معه بتوزر عدة أيام الى أن عيدوا فيها عيد الأضحى من سنة ٢٩٢ هـ (١٩٥) لكن المهدى قرر فجأة — عقب صلاة العيد مباشرة — أن يرحل عن توزر وحول خط سيره الى سجلماسة (١٩٦) اذ أخبرته عيونه المبثوثة على طريق الرحلة بخبر القبض على أبى العباس المخطوم رغم انكاره وجود صلة بينه وبين المهدى أو بينه وبين الداعى الشيعى فى بلاد كتامة مدعيا أنه مجرد تاجر ، وأدرك المهدى خطورة الذهاب الى بلاد كتامة مرورا بسوماته بعد أن تنشط الاغالبة فى طلبه وخشى من الوقوع فى أيديهم اذا خاطر بالمرور فى منطقة كانت لا تزال وقتئذ خاضعة لنفوذهم فقرر تحويل وجهته عن بلاد كتامة الى سجلماسة ليكون بمنأى عن الوقوع فى أيدى الاغالبة (١٩٧) . وبعد أن كان المهدى يسير من طرابلس متمهلا مطمئنا فقد سار من توزر الى سجلماسة فى سرعة فائقة حتى أنه قطع فى يوم واحد من خروجه من توزر أربعة مراحل دفعة

---

(١٩٤) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ٨٥

(١٩٥) لم تسم المصادر هذا العيد الذى لم يكن محليا لادائهم صلاة العيد ، ولعله لم يكن عيد الفطر لعدم وجود اشارة لصيام رمضان قبل هذا العيد رغم أهمية رمضان وصومه لدى المسلمين

(١٩٦) سيرة جعفر ، ص‌ص ١١٦ — ١١٨

(١٩٧) يبرر القاضى النعمان (افتتاح الدعوة ، ص ١٦٣) توجة المهدى الى سجلماسة لخوفة على حياة أبى العباس المخطوم ، ويذهب الى مثل ذلك كل من ابن الاثير (الكامل ، جـ ٦ ص ١٣٠) والمقريزى (اتعاظ الحنفاء جـ ١ ، ص ٦١) .

واحدة (١٩٨) ويمكن تتبع المراحل الرئيسية التى قطعها المهدى من توزر الى سجلماسة ، فيبدو أنه سار من توزر مرحلتان الى قبطون بياضة ، وهى مفترق طرق يقع ما بين بلاد قسطيلية وأول بلاد سوماته ، تتفرع عنه الطرق الى بلاد السودان والى طرابلس والى القيروان (١٩٩) ولم يتوقف المهدى عند قبطون بياضه بل توغل مرحلتين أخريين فى الطريق الى بلاد السودان حتى يكون بعيدا عن متناول المطاردين الذين سيصعب عليهم الاهتداء الى أى الطرق سلكها المهدى بعد مفترق طرق قبطون بياضة . ومع أن الرواية الاسماعيلية تتحدث عن وصول المهدى الى سجلماسة مباشرة ، فان الرواية الاباضية تشير الى مروره بوارجلان (٢٠٠) ومهما كانت حقيقة ذلك فان المهدى قد وصل الى سجلماسة قبل نهاية ذى الحجة سنة ٢٩٢ هـ ، ولابد أن للداعى الشيعى قد علم فورا بوصوله اليها اذ أرسل اليه يخبره بانتصاره على الأغالبة فى كبونه (٢٠١) وكان ذلك — على حد قول القاضى النعمان — أول فتح قدم على المهدى فى سجلماسة (٢٠٢) .

عبيد الله المهدى فى سجلماسة :

على الرغم من طول الفترة التى مكثها عبيد الله فى سجلماسة والتى تمتد لنحو أربعة أعوام من دخوله اليها قبل نهاية ذى الحجة سنة ٢٩٢ هـ حتى أظهره أبو عبد الله الشيعى فى سنة ٢٩٦ هـ ، فان الرواية الاسماعيلية لا تمدنا بتفاصيل كثيرة عن هذه الفترة فيما عدا النصف الأخير من سنة ٢٩٦ هـ حينما قدم أبو عبد الله الشيعى للقاء عبيد الله المهدى فى سجلماسة . ولنا أن نتساءل لماذا تتكتم الرواية الاسماعيلية تفاصيل هذه الفترة الهامة ؟ ولماذا تحرص على اخفائه ؟

---

(١٩٨) سيرة جعفر ، ص ١١٩ .

وبهذا المعدل يكون المهدى قد قطع الطريق من توزر الى سجلماسة فى حوالى عشرة ايام اذ ذكر ان الطريق بين القيروان وسجلماسة ٤٦ مرحلة فاذا قدرنا ان توزر تقع على اثنى عشر مرحلة تقريبا من القيروان — كما يستقى من تقديرات البكرى — فان المسافة المتبقية يمكن قطعها على هذا النحو من السرعة فى حوالى عشرة ايام على الاكثر (البكرى ، ص ٤٧ ، ص ١٥٢) .

(١٩٩) البكرى : المغرب ، ص ٧٤ .

(٢٠٠) ابو زكريا : ص ٢٥ .

(٢٠١) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٢٠٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٧٢ .

تشير الرواية الاسماعيلية الى أن المهدى ضم الى رفقته قبل دخوله سجلماسة رجلا لم يكن من رفاق الرحلة من قبل ، ويذكر النيسابورى (٢٠٣) أن هذا الرجل كان يدعى أبو القاسم بن حسان وأنه دخل معه قسطيلية ثم سجلماسة ، بينما يقول جعفر الحاجب أن المهدى « لقى قبل دخولنا سجلماسة رجلا وسيما حسن الهيئة ومعه ولد له وهو يريد اليها بتجارة معه فسأله المهدى وقد جمعهما الطريق عن اسمه ونسبه وبلده فعرفه أنه مطلبى وبلده القيروان فحادثه المهدى وآنس به ولاطفه فوجده متشيعا ففتش عقله فلما رضيه آخذ عليه » (٢٠٤) ويضيف جعفر الحاجب « وكان المطلبى يكثر الوقوف عند المهدى ويأنس به ويأكل معه ولطف به وتحقق به فلما فرغ المطلبى من تجارته استأذن المهدى فى الرجوع الى القيروان فقال له المهدى .... اذهب فى حفظ الله وفى أى وقت رأيت الداعى ببلدة كتامة فتح افريقية وملك القيروان ونزل مدينة رقادة فاخرج اليه وسلم عليه وعرفه بنفسك فسأكتب اليه وأعرفه بك وأتقدم اليه بما تقف عليه فاذا رأيته قد عزم على الخروج الى سجلماسة فاخرج معه وأنفذ الى ابنك هذا معه وكان حينئذ معه وهو شاب قد اخضر شاربه ، قال جعفر وانما أراد المهدى بانفاذ المطلبى ليعرف أبا عبد الله الشيعى بالمهدى لأن الداعى الشـيعى ببلدة كتامة لم يكن رأى المهدى ... فودع المطلبى المهدى وانصرف الى القيروان (٢٠٥) .

وبينما القاضى النعمان لا يشير البته الى ذلك المطلبى فان الداعى ادريس يذكر أن المهدى خرج على طريق سجلماسة « فوافاه فى طريقها رجل يسمى المطلب من آل المطلب بن عبد مناف ومعه ولده فوجد فيهما الامام لقا وسيما وعقلا كاملا وكان من أمرهما أن أخذ عليهما عهده وقربهما منه وسارا فى صحبته الى سجلماسة ثم توجها عن أمره الى القيروان وقال لهما المهدى بالله .. اذا توجه داعينا الى سجلماسة فارسل ابنك معه وودعاه وانصرفا الى القيروان » (٢٠٦) .

---

(٢٠٣) استتار الامام ، ص ١٠٦ .

(٢٠٤) سيرة جعفر ، ص ١١٩ .

(٢٠٥) نفس المصدر ، ص‌ص ١٢١ — ١٢٢

(٢٠٦) عيون الاخبار ، سبع ٥ ص ٩٦

استأجر عبيد الله المهدى فى سجلماسة دارا حسنة من رجل يدعى أبو حبشه (٢٠٧) وأقام فى تلك المدينة اقامة طيبة مستترا فى هيئة التجار تربطه بأميرها اليسع بن مدرار علاقة طيبة « وكان المهدى يصله ويهدى اليه فكان لذلك يوجب حقه وتعظيمه » (٢٠٨) ويذهب الدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق الى أن المهدى لم يعدم أنصارا وأتباعا من أهل سجلماسة التى عرف التشيع — فى رأيه — طريقه اليها قبل قدوم المهدى الذى كان يفتى أهلها فى مسائل فقهية ودينية (٢٠٩) • واذا كنا لا نستبعد أن يستفتى أهل سجلماسة عبيد الله المهدى فى بعض المسائل فاننا نستبعد أن يفتى فى هذه المسائل برأى الاسماعيلية فى بلد كان مذهبه الرسمى خارجيا صفريا ويوجد بين أهله كثير من أهل السنة خاصة وأن المهدى كان يخفى هويته الشيعية الاسماعيلية وينكر صلته بالداعى أبى عبد الله الشيعى ولا يرى حرجا فى أن يفتى بغير مذهبه على سبيل التقية •

كانت علاقة عبيد الله المهدى باليسع بن مدرار طيبة — على نحو ما ذكرنا — ويبدو أنها لم تتأثر كثيرا بوصول كتاب زيادة الله الثالث أمير الأغالبه الى اليسع بن مدرار ينبئه بخبر المهدى ، فلقد أنكر المهدى انكارا تاما وجود صلة تربطه بالداعى فى بلاد كتامة ، واذا كان أمير سجلماسة قد أصبح حذرا متوجسا خيفة من المهدى فانه لم ينله بسوء • ولما خرج أبو عبيد الله الشيعى متوجها الى سجلماسة وتزايدت شكوك اليسع بن مدرار فى المهدى الذى ظل مستترا فى هيئة التجار ، لم يزد ابن مدرار عن تحديد اقامة المهدى وابنه القائم مستبقيا كل منهما فى دار مستقلة دون أن يلحق بأى منهما أذى (٢١٠) وقد ساعد المهدى على اخفاء حقيقته أنه لم يكن المتهم الوحيد بوجود صلة بينه وبين الداعى الشيعى فى بلاد كتامة وانما اتهم بذلك أيضا رجل يدعى ابن بسطام كان تاجرا يحسده أقرانه التجار على نعمته مع شركان فيه فأراودا أن يكيدوا له فسعوا عليه عند اليسع بن مدرار بأنه الرجل المطلوب الذى يدعى له فى كتامة فأمر اليسع ابن مدرار بتحديد اقامته هو الآخر (٢١١) •

---

(٢٠٧) سيرة جعفر ، ص ١١٩
(٢٠٨) القاضى النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ١٦٥
(٢٠٩) الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٢١١
(٢١٠) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٧٧
(٢١١) سيرة جعفر ، ص ١٢٣

ولما خرج أبو عبد الله الشيعي متوجها الى سجلماسة أرسل الى اليسع ابن مدرار ملاطفا ونافيا قصده فى حربه ومشيرا الى أنه خرج اليه لحاجة مهمة له عنده دون أن يفصح عن حقيقة هذه الحاجة أو عن صلته بعبيد الله المهدى (٢١٣) . ووصل أبو عبد الله الشيعي بجيشه الى سجلماسة فتصدى له اليسع بن مدرار ووقعت بينهما مناوشات أدرك ابن مدرار على اثرها أنه لا قبل له بمواجهة الداعي الشيعي فهرب من سجلماسة تحت جنح الظلام ، وحين حل الصباح دل وجوه أهل سجلماسة أبا عبد الله الشيعي على مكان المهدى وابنه فاستخرجهما (٢١٣) .

تختلف المصادر الاسماعيلية اختلافا بينا حول تفاصيل وصول أبى عبد الله الشيعي الى المهدى فى سجلماسة واستخراجه منها ، فبينما يذكر القاضى النعمان أن أبا عبد الله الشيعي لم يذكر شيئا عن المهدى فى الرسائل التى أرسلها الى اليسع بن مدرار خوفا على المهدى وتقية (٢١٤) فان الداعى ادريس يذكر أن أبا عبد الله الشيعي كتب الى اليسع بن مدرار أن قدوم المهدى الى بلده من نعم الله تعالى عليه وأرسل اليه شفيع الخادم يطلب منه اخراج المهدى ليصرف الجيوش عن مدينته فامتنع اليسع عن اخراجه وقتل شفيع الخادم (٢١٥) . ويذكر جعفر الحاجب قصة ابن بسطام التاجر الذى كاد له التجار حتى سجنه اليسع بن مدرار فى داره ، وقد رأى اليسع أن يصرف الداعى الشيعي عن مدينته فأخرج اليه ابن بسطام توهما منه أنه الرجل المطلوب ، وكاد أبو عبد الله الشيعي — الذى لم يكن قد رأى المهدى من قبل — أن يخدع فى ابن بسطام فترجل له لكن ابن بسطام ترجل لترجل الداعى الشيعي الذى أدرك أنه ليس بالمهدى فطلب من أبى القاسم بن المطلبى — الذى سبقت الاشارة اليه — وقد قدم معه الى سجلماسة أن يلزم يمينه ليدله على المهدى كما أمره بذلك . وأخذ ابن بسطام يحرض الداعى الشيعي على اقتحام سجلماسه انتقاما من أميرها

---

(٢١٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٦٥ والمقفى الكبير ص ٨٦
(٢١٣) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٧٩
(٢١٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٨
(٢١٥) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٩٩

الذى رأى الشيعة لم يهتموا بابن بسطام فأخرج المهدى الى داعيه فتعرف عليه ابن المطلبى وأخبر بذلك أبا عبد الله الشيعى الذى ترجل له وترجل الجيش كله (٢١٦) .

على هذا النحو تتفاوت كتابات الاسماعيلية فيما بينها حول ظهور المهدى فى سجلماسة على يد أبى عبد الله الشيعى ، وعلى الرغم من أن هذا التفاوت وغـيره يثير فى النفس بعض الهواجس والشـكوك لا نستطيع الافصاح عنها لافتقارنا الى النصوص والأدلة التى تدعمهما ، فاننا ننتهى مع المصادر الاسماعيلية الى أن أبا عبد الله الشيعى أظهر عبيد الله المهدى من سجلماسة سنة ٢٩٦ هـ وسلم اليه مقاليد الأمور فى الدوله الشيعية الناشـئة ليصبح المهدى أول الأئمة العبيديين فى بلاد المغرب ، ولتبدأ بذلك صفحة جديدة فى تاريخ التشيع فى بلاد المغرب .

---

(٢١٦) سيرة جعفر ، ص‌ص ١٢٣ — ١٢٥

التشـــيع فى بـــلاد المغرب

فى عصر ائمـــة العبيـــديين

التشيع فى خلافة عبيد الله المهدى

تغيب أبو عبد الله الشيعى عن افريقية فى خروجه الى سجلماسة قرابة سبعة أشهر منذ خروجه فى منتصف رمضان سنة ٢٩٥ هـ / يونيه ٩٠٩ م حتى ايابه صحبة عبيد الله المهدى فى العشرين من ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ / يناير ٩١٠ م .

وعلى الرغم من أن السلطة فى افريقية أثناء غياب أبى عبد الله الشيعى عنها كانت رباعية ، يتولى فيها أبو زاكى تمام بن سعارك ولاية افريقية ومقره رقادة ، ويختص حسن بن أحمد بن أبى خنزير بعمل القيروان ، بينما كان قاضى قضاة افريقية والقيروان محمد بن عمر المروزى ، لكن السلطة الفعلية العليا كانت لأبى العباس المخطوم أخى أبى عبد الله الشيعى الذى وان كان لم يتول منصبا رسميا كمنصب الوالى أو القاضى الا أن مكانته من أخيه الداعى أبى عبد الله جعلته الآمر الناهى فى افريقية أو على حد قول القاضى النعمان « كانت أمور الناس اليه وأعنتهم نحوه والأمر من ذلك أمره والنهى نهيه » (١) . وقد تسلط أبو العباس المخطوم بمعونة القاضى المروزى على افريقية فى غيبة أبى عبد الله الشيعى ، واتنهجا سياسة عنيفة ضد أهل السنة عامة والمالكية خاصة بهدف صرف الناس عن مذاهب السنة ونشر التشيع الاسماعيلى فى افريقية . ويعزى الى اهتزاز شخصيتيهما وسوء تصرفهما وقصور حجتهما ولجوئهما الى الوعيد والتهديد ما حل بافريقية وقتئذ من فتن واضطرابات لم تقتصر على القيروان ورقادة وانما تعدتهما الى مدن كثيرة فى افريقية والمغرب الأوسط (٢) .

كان أبو العباس المخطوم عجولا كثير الكلام ضعيف العقل — على حد وصف ابن عذارى اياه — حتى أنه أراد أن ينفى من القيروان كل من يذهب من الفقهاء مذهب أهل المدينة — المالكية — فلم يجبه أخوه أبو عبد الله الى ذلك (٣) . وعلى الرغم من وصف القاضى النعمان له فى موضع الرضا

---

(١) افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٧

(٢) موسى لقبال : دور كتامة ، ص ص ٤١٧ — ٤١٨

(٣) البيان المغرب ، جـ ١ ص ص ١٥٠ — ١٥١

عنه بأنه كان أسن من أخيه وأنفذ وأحد ذهنا وأكثر تفننا فى العلوم (٤) الا أن القاضى النعمان يعود فيصفه فى موضع السخط والغضب عليه بأنه فسدت نيته وتداخله الحسد واستفزه الشيطان فأغواه (٥) وهذا وان دل على شىء فانما يدل على اهتزاز شخصية أبى العباس المخطوم وتقلبه ونزوعه الى السلطة وتطلعه اليها ، لذلك فقد مارس التسلط فى غيبة أخيه ولم يتورع عن استخدام العنف والبطش لفرض آرائه مهما كان افتقارها الى الصواب أو الاقناع .

أما قاضى قضاة الشيعة محمد بن عمر المروزى فقد كان — على حد قول المالكى — معتقدا لمذهب الشيعة قبل ظهور دولتهم فى افريقية « فلما دخل الشيعى بادر اليه ودخل فى دعوته ولزمه فولاه قضاء افريقية فتصلب وتكبر وكانت أيامه صعبة جدا وأخاف أهل السنة (٦) ويذكر القاضى النعمان أن المروزى « كان له تشيع قديم ونظر فى الفقه من قول الأئمة ، وجعل اليه توليه القضاء والحكام بسائر البلدان وكان يكتب فى كتبه وسجلاته من محمد بن عمر قاضى القضاة » (٧) .

تحالف أبو العباس المخطوم والقاضى المروزى على البطش بأهل السنة خاصة فقهاء المالكية ، وعلى الرغم من اغفال القاضى النعمان ذكر ما أنزلاه بأهل السنة من أذى ، فان الداعى ادريس كاد أن يعترف بذلك اذ ذكر عن أبى العباس المخطوم أنه « انتصب للدعوة وسارع الناس اليه وشد شكيمة المروزى الذى أقامه أبو عبد الله للقضاء وأمره باظهار قول آل محمد صلى الله عليه وسلم وأن لا يظهر أحد من كتب مالك وأبى حنيفة شيئا » (٨) .

---

(٤) افتتاح الدعوة ، ص ٢٦٩
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٠٧ .
(٦) رياض النفوس ، جـ ٢ ص ٥٥
(٧) افتتاح الدعوة ، ص ٧٧
(٨) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٩٨
ويذكر المالكى (رياض النفوس ، جـ ٢ ص ٥٥) أن ابا العباس اطلق يد المروزى وقوى امره .

يبدو أن الشيعة الاسماعيلية قد وقفوا موقفا واحدا من أهل السنة أول استيلائهم على افريقية فلم يميزوا بين المالكية والأحناف والشافعية(٩) ومنعوا اظهار كتب مالك وأبى حنيفة على حد سواء ، وأرسل القاضى المروزى فى طلب العلماء مدنيهم وعراقيهم قائلا لهم انى أمرت أن أناظركم فى قيام رمضان (١٠) وكانت هذه المناظرة لأول توليه القضاء (١١) فابتدأ بأن زاد فى الأذان حى على خير العمل ومنع صلاه القيام (١٢) .

ثم حدث تقارب بين الشيعة والأحناف كان موجها ضـــد المالكية ، ويرجع هذا التقارب الى المصالح المشتركة بينهما ، فقد كان الشيعة فى حاجة الى فريق يســتقطبونه ويعتمدون عليه فلم يجدوا خـيرا من العراقيين المتساهلين للتحالف معهم ضد المالكية المتشددين ولبث الفرقة فى صفوف أهل السنة اضعافا لمقاومتهم للدعوة الشيعية ، فضلا عن أن الشيعة كانوا أميل الى العراقيين من غيرهم لموافقة الأحناف لهم فى مسألة التفضيل ولما فى مذهب العراقيين من الترخيص (١٣) بينما كان العراقيون يرون فى التحالف مع الشيعة تحقيقا للكسب وطريقا الى تولى الوظائف التى دأبو على التطلع اليها منذ عصر الأغالبة ووسيلة تنجيهم من الأذى أو تعصمهم من العقاب

---

(٩) كان أبو عثمان سعيد بن الحداد الذى تزعم معارضة الشـــيعة شافعيا كما كان أبو العباس بن السندى شافعيا وهو ممن ضرب وعذب على يد الشيعى (الخشنى : المصدر السابق ، ص ٢١٧) .

(١٠) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٠ .

(١١) يجعل المالكى ولاية المروزى على القضاء فى ١٨ شعبان ســنة ٢٩٦ هـ بينما يجعله كل من القاضى النعمان (افتتاح الدعوة ص ٢٤٧) والداعى ادريس (عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٨٨) فى أول رمضان سنة ٢٩٦ هـ .

(١٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥١ .

والمالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٥ .

(١٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥٥ والدباغ : معالم الايمان ، جـ ٢ ص ٦٠ ، وعياض : ترتيب المدارك ، جـ ٥ ص ١١٨ ، ومحمد العروسى المطوى : سيرة القيروان ص ٣٢ .

علي زلاتهم فهذا أحمد بن محمد بن شهرين — على سبيل المثال — فقيه بمذهب أهل العراق غزا مع أبي عبد الله الشيعي راجلا يرى أنه محتسب للثواب فى طلب الامام فولى بهذا السبب قضاء مدينة برقة بعد ذلك (١٤) وهذا خلف بن معمر بن منصور من الفقهاء العراقيين أيضا يتشرق أول دخول الشيعة افريقية ليعتصم بذلك من مطالبة الشيعة لولده بمال كان غمس يده فيه عند هرب زيادة الله من رقادة (١٥) وقاسم بن خلاد الواسطى تشرق طمعا فى تولى القضاء وجعفر بن أحمد بن وهب تشرق فولاه اسحاق ابن أبي المنهال مظالم القيروان واسحاق بن أبي المنهال وزرارة بن أحمد وغيرهم (١٦) .

وفضلا عن هذا فقد وجد فقهاء الأحناف فى التحالف مع الشيعة فرصة للانتقام من المالكية ، فكثيرا ما حرض الأحناف الشيعة على ايذاء المالكية والفتك بهم ، من ذلك — على سبيل المثال — تحريضهم على قتل الفقيهين المالكيين ابراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون وأبي بكر بن هذيل اللذان كانا على خلاف مع الأحناف فدس عليهما محمد الكلاعي الحنفي وأصحابه عند أبي العباس المخطوم ومحمد بن عمر المروزي القاضي حتى أمر المخطوم حسن بن أبي خنزير عامل القيروان بحبسهما وقتلهما فى صفر سنة ٢٩٧ هـ (١٧) .

أدى تحالف الشيعة والأحناف ضد المالكية الى محنة المالكية فى العصر الشيعي ، تلك المحنة التي يعدها المالكية عصر استشهاد (١٨) وجهاد مقدس

---

(١٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٥٣ والخشني : المصدر السابق ص ٢٢٥ وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ . (ويسميه ابن عذارى ابن سيرين) .

(١٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧٣ .

(١٦) الخشني : المصدر السابق ، ص‌ص ٢٢٤ — ٢٢٦ .

(١٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٥٥ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٢ . والمالكي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص‌ص ٤٧ — ٤٨ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص‌ص ١١٨ — ١١٩ .

(١٨) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٩ .

لا يقل عن مجاهدة الروم (١٩) ، فقد سئل جبلة بن حمود الصدفى المالكى عن سبب تركه سكنى الرباط ونزوله القيروان بعد دخول الشيعة افريقية فأجاب : كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل هذا العدو — يقصد الشيعة — بساحتنا وهو أشد علينا من ذلك (٢٠) . وكان المالكية يجمعون على تكفير الشيعة واعتبروا العبيديين من المرتدين والزنادقة ، ولا يعذر أحد بالاكراه على دخوله فى مذهبهم ولا يحل له ذلك ولا يجوز له الا أن يختار القتل دون الدخول فى مذهبهم (٢١) ورفض بعضهم التقية من بطش العبيديين ، اذ ارتاع أهل القيروان لمقتل ابن البرذون وابن هذيل فسألوا أبا عثمان سعيد بن الحداد — زعيم المقاومة للشيعة حينئذ — أن يرخص لهم فى التقية فأبى التقية (٢٢) .

اذا سلمنا بأن محنة المالكية على يد الشيعة هى عصر شهداء المالكية فى بلاد المغرب ، فقد كانت فاتحة ذلك العصر قتل ابن البرذون وابن هذيل — كما أشرنا — ثم توالى بعد ذلك سقوط الشهداء من المالكية على أيدى الشيعة الذين تفننوا فى تعذيبهم والخلاص منهم خاصة بعد قدوم عبيد الله المهدى الى افريقية وتوليه مقاليد الأمور فيها ، فقد أعقب ذلك تصعيد خطير فى الدعوة للتشيع ونشره بين أهل افريقية بشتى الوسائل ، يقول ابن عذارى « أظهر عبيد الله التشيع القبيح وسب أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — وأزواجه — حاشى على بن أبى طالب والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى ، وزعم أن أصحاب النبى ارتدوا بعده غير هؤلاء الذين سميناهم . ومنع المروزى الفقهاء أن يفتى أحدهم الا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد » (٢٣) .

---

(١٩) موسى لقبال : المرجع السابق ص ٤٢٢ .

(٢٠) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٢ .

(٢١) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٧٢٠ .

ويرى الدباغ انهم بالغوا فى ذلك لتنفير العامة منهم لان المطلوب سد هذا الباب (معالم الايمان ، جـ ٢ ص ٢٦٥) .

(٢٢) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٩٨ .

(٢٣) البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .

وواقع الأمر أننا نلمس تشــددا شيعيا ملحوظا منذ تســلم المهدى مقاليد الأمور فى افريقية ، فعقب أول جمعة له فى افريقية جلس رجل كان يعرف بالشريف ومعه الدعاة وأحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم الى مذهبهم ومن لم يستجب منهم أمر به فضرب وحبس . ويبدو أن بعض القرويين قد قتل واحدا من المشارقة (الشيعة) نكاية فيهم وانتقاما لمــا أنزلوه بهم من أذى فقام المهدى بالانتقام لهذا المشرقى أبشع انتقام اذ أمر بقتل المحبوسين ان لم يرجعوا عما هم عليه فقتل منهم لذلك أربعة آلاف رجل فى العذاب ما بين عابد ورجل صالح (٢٤) . وبذل المهدى جهده لنشر علم آبائه ونصب لذلك الدعاة والمعلمين (٢٥) . « وغلظ الأمر على المالكية من هذا الحين ومنعوا من التحليق والفتيا فكان من يأخذ منهم ويتذاكر معهم انما يكون سرا وعلى حال خوف ورقبة » (٢٦) . وأجرى عبيد الله المهدى بعض التغييرات الادارية التى كان لها دور فى التشدد فى الدعوة الشيعية والتضيق على أهل السنة فقد فرغ المهدى القاضى المروزى لقضاء القيروان وحــدها حتى يصرف كل وقته فى مراقبة فقهائها والتضيق عليهم وولى على قضاء رقادة أفلح بن هارون الملوسى (٢٧) الذى كان فقيها فى التشيع ومن كبار دعاته (٢٨) . ويبدو أن تعيين أفلح فى قضاء رقادة جعل المروزى يخشى على مكانته ومنصــبه فبذل جهده فى اضــطهاد المالكية استرضاء لعبيد الله المهدى واثباتا لكفاءته فى التضيق على أهل الســنة فامتحن على يدى المروزى عدد من فقهاء المالكية مثل محمد بن محمد بن خالد العيشى المعروف بابن الطرزى وأبا العباس بطريقة ومحمد بن سلمون القطان وجماعة من رجال المدنيين ومن يحسب فى جملتهم مثل الخلاسى المحتسب وقوم مرابطين من أهل تونس (٢٩) . ومحمد بن سليمان القطان

---

(٢٤) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ٨٨ .

(٢٥) الداعى ادريس : عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ١٣٧ .

(٢٦) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ .

(٢٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٩

(٢٨) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ١٣٧

(٢٩) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٩١ والخشنى : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٠٥

وأحمد النجار (٣٠) كما سعى على أبى جعفر محمد بن خيرون الأندلسى ودس عليه عند عبيد الله المهدى حتى أمر المهدى بقتل ابن خيرون دوسا حتى الموت وأمر حسن بن أبى خنزير عامل القيروان بنهب أمواله (٣١) • وامتحن على يد المروزى أيضا محمد بن محمد بن سحنون ، وادعى المروزى أنه فعل ذلك تقية عليه وصرفا لعيون الشيعه عنه (٣٢) •

وعلى الرغم من اشتداد المحنة وتصاعدها فقد واجهها المالكية فى شجاعة تليق بزعامتهم لأهل السنة فى افريقية وضربوا المثل والأسوة للأهالى فى قوة التحمل والصبر على المكاره فلم يفروا ناجين بأنفسهم من بطش الشيعة حتى قيل فيهم « جزى الله مشيخة القيروان خيرا ، هذا يموت وهذا يضرب وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون ولو فروا لكفرت العامة (تشيعت) دفعة واحدة » (٣٣) •

لكن الظروف أجبرت عبيد الله المهدى على التخفيف من غلوائه ومن اضطهاد المالكية ونهج سبيل الاعتدال تسكينا لأهالى افريقية وذلك حينما عرف بتآمر أبى عبد الله الشيعى وأخيه أبى العباس المخطوم مع بعض وجوه الكتاميين للخلاص منه •

وترجع الرواية الاسماعيلية تآمر أبى عبد الله الشيعى على الامام الاسماعيلى الى تحريض أخيه أبى العباس المخطوم له وتحريضه اياه على اقتناص الحكم واستعادته من المهدى بعد أن سلمه اياه • ونرى أن أبا العباس المخطوم كان قد اعتاد الحكم والأمر فى سلطان أخيه وحين خروجه الى سجلماسه فعظم عليه أن يجرد من الحكم والأمر ليؤول ذلك الى عبيد الله المهدى وعتب على أخيه قائلا له « ملكت أمرا وانطاع لك فجئت بمن أزاله عنك فأخرجك منه وتنقصك واضطهدك •• فلم يزل يبكته بمثل هذا الكلام ويكرره ويقرعه الى أن أثر فيه » (٣٤) •

---

(٣٠) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٤٠
(٣١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٢ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٨٩ •
(٣٢) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٢ وعياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٠٨ •
(٣٣) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ •
(٣٤) القاضى النعمان : المصدر السابق ص ٣٠٧ •
والداعى ادريس : المصدر السابق سبع ٥ ، ص ١١٧ •

قرر أبو عبد الله الشيعي أن ينزل على رأى أخيه وسعى للاطاحة بالمهدى فاجتمع بوجوه كتامه فى مدينة تنس فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٢٩٧ هـ وكاشفهم برغبته فى خلع عبيد الله • ويعزو ابن عذارى تمرد أبى عبد الله الشيعي — الذى تنازل عن الحكم وسلمه طواعية للمهدى — الى تشككه فى عبيد الله ، فقد قال أبو عبد الله لمن اجتمع به من وجوه كتامة « ان أفعاله قبيحة ليست تشبه أفعال المهدى الذى كنت أدعو اليه وأخشى أن أكون قد غلطت » • ولقد وجدت تلك الكلمات صداها فى نفوس الكتامين الذين كانوا يحبون الداعى الشيعي ويجلونه فاتفقوا معه على امتحان المهدى بعد عودتهم الى رقادة • ودخل معهم فيما اتفقوا عليه عروبه بن يوسف لكن عروبه لم يف بالعهد الذى عاهد عليه وما ان عادوا الى رقادة حتى أفشى سرهم لعبيد الله المهدى وأخبره بما دار بين أبى عبد الله الشيعي والكتاميين وبما اتفقوا عليه فى مدينة تنس فاحترس عبيد الله من أبى عبد الله وحذر منه دون أن يكاشفه بما تناهى اليه من خبره (٣٥) •

أخذ كل فريق يتربص بالآخر ويدبر للخلاص منه ، وقامت خطة أبى عبد الله الشيعي وأخيه أبى العباس المخطوم ومن معهما من وجوه كتامه على استمالة الكتاميين وتحريض الجند ضد عبيد الله المهدى « فطعن لهم فى نسبه وأدخل فيه الشبهه ، وكانت كتامة تميل الى الداعى الشيعي وتسخط على المهدى الذى قلص نفوذهم عما كان عليه فى أيام الشيعي ولم يشركهم فى السلطة بالقدر الذى كانوا يرجونه وانتزع من أيديهم الأموال التى كان أبو عبد الله قد أودعها لديهم وأشرك المهدى معهم آخرون فى المال والجيش على نحو اعتبره الكتاميون اجحافا بهم وجحودا لفضلهم فى اقامة الدولة الشيعية ، لذلك انحازت كتامة الى أبى عبد الله الشيعي وصارح وجوههم عبيد الله المهدى بتشككهم فيه اذ واجهه شيخ المشايخ هارون ابن يونس المسالتى قائلا له : انا قد شككنا فى أمرك فائتنا بآية ان كنت المهدى كما قلت ، ولم يجد عبيد الله المهدى ما يجيب به سوى التلاعب بالألفاظ ولم يستطع تقديم أى دليل فعلى يؤكد نسبه وقصارى ما قدر عليه أن قال لهارون بن يونس المسالتى « ويحك انكم كنتم أيقنتم واليقين

---

(٣٥) البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ص ١٦١ — ١٦٢

لا يزيله الشك » (٣٦) محولا بذلك الشك فى نسبه الى مسألة عقيدية تشكيكا فى معارضيه واثارة لمؤيديه على المتشككين •

وقامت خطة عبيد الله المهدى — منذ نما الى علمه تآمر أبى عبد الله الشيعى ضده — على اعلاء شأن عروبه بن يوسف حتى يصبح شخصية موازية للداعى الشيعى تستقطب عددا من الملتفين حول أبى عبد الله الشيعى ، ويبدو أن اعلاء المهدى لقدر عروبه بن يوسف قد حقق بعد اغراضه حتى أثار حنق أبى عبد الله وأخيه أبى العباس المخطوم (٣٧) • كذلك سعى المهدى الى استمالة صنهاجة وتقريبها تخفيفا من الاعتماد على كتامة وللاستعانة بالصنهاجيين حين تمرد الكتاميين (٣٨) • وفضلا عن هذا فقد دبر المهدى لاضعاف جانب أبى عبد الله الشيعى بتفريق جمع أنصاره واخراج بعض وجوه الكتاميين الى البلدان بعيدا عن رقادة (٣٩) ، فقد أخرج — على سبيل المثال — أبا زاكى تمام بن معارك الأجانى الى طرابلس لمحاربة هوارة التى خرجت حينئذ على طاعة الشيعة وكان فى انتصار أبى زاكى أو هزيمته مكسب لعبيد الله المهدى فسوف يتخلص من عدو له فى كلا الحالين ، فلما انتصر أبو زاكى على هوارة وفرق جمعها كتب عبيد الله المهدى سرا الى ماكنون بن ضبارة الأجانى — عم أبى زاكى بالخلاص من ابن أخيه ، ويبدو أن ماكنون كان ينفس على ابن أخيه مكانته وزعامته لأجانة الكتامية فاستجاب لرغبة المهدى وقتل أبا زاكى وكتب بذلك الى المهدى وأرسله فورا بواسطة الحمام الزاجل فى أول ذى الحجة ٢٩٨ هـ ، فلما وصل خبر قتل أبى زاكى الى المهدى ووجد الفرصة مواتية لاستكمال مخططه دبر كمينا خلف قصر الصحن برقادة أطبق فيه عروبة بن يوسف وجبر بن تماشيت الجيملى على أبى عبد الله الشيعى وأخيه أبى العباس المخطوم فقتلاهما (٤٠) •

---

(٣٦) القاضى النعمان : المصدر السابق ، صص ٣٠٩ — ٣١١ والداعى ادريس ، المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ١١٩ وابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٧٧

(٣٧) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ٩٨ •

(٣٨) الطاهر احمد الزاوى : الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٢٣٩ •

(٣٩) القاضى النعمان : المصدر السابق ، صص ٣١٥

(٤٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، صص ١٦٣ — ١٦٤ •

ويريد الداعى ادريس تبرئة المهدى من دم أبى عبد الله الشيعى وعدر الامام الاسماعيلى بداعيه الذى أقام له الدولة وسلمه اياها ، فيذكر ادريس أن المهدى أمر عروبه بن يوسف وجبر بن تماشت بقتل أبى العباس المخطوم وحده لكن جبر بن تماشت حرض عروبه بقتل الأخوين معا كيلا يطالب أبى عبد الله الشيعى بقتل عروبه وجبر انتقاما لأخيه فيستجيب المهدى لطلبه ارضاء له فرمى جبر بن تماشت أبا عبد الله فلم يخطئه ورمى عروبة أبا العباس (٤١) . وكان من الممكن قبول دفاع الداعى ادريس عن امام الاسماعيلية لولا أن القاضى النعمان ذكر أن عروبه بن يوسف هو الذى قتل أبا عبد الله وأن جبر بن تماشت هو الذى قتل أبا العباس (٤٢) .

كان للنزاع بين عبيد الله المهدى وأبى عبد الله الشيعى أثره على الدعوة الشيعية فى افريقية ، فقد انشغل عبيد الله المهدى بتمرد الداعى الشيعى عن المضى قدما فى سياسة التشييع المتطرفة التى انتجها منذ توليه مقاليد الأمور ، بل لعله اضطر الى تخفيف حدة غلوه وتطرفه تمكينا للأهالى كيلا ينحازوا الى جانب المتمردين ولا أدل على ذلك من تأخيره معاقبة بعض المتواطئين حتى تحين الفرصة المناسبة من ذلك أنه أخر عقاب جماعة ممن اتهموا بالميل مع أبى عبد الله الشيعى حين تمرده على عبيد الله المهدى ، منهم محمد بن أبى سعيد الميلى صاحب السوق وعبد الله بن محمد المعروف بابن القديم وجماعة من بنى الأغلب وقوادهم (٤٣) وكان المهدى قد عرف بتواطئهم فى حينه (٤٤) الا أنه أرجأ عقابه لهم حتى سنة ٢٩٩ لعدم اثارة قلاقل لا تحمد عقباها فى واحدة من أحرج الفترات التى مرت بالدولة الشيعية الناشئة . وكان من حسن حظ المهدى أن المالكية لم تفطن الى انتهاز هذه الفرصة أو تتحالف مع المتمردين ضد عبيد الله المهدى . وعلى الرغم من ذلك فقد انتهز أهل القيروان فرصة اضطراب الشيعة وغضب الكتاميين وسخطهم على عبيد الله المهدى لقتله أبى عبد الله الشيعى

---

(٤١) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ١٢١ .

(٤٢) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٣١٦ .

(٤٣) البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٧

(٤٤) يذكر المقريزى (المقفى الكبير ، ص ٨٩) ان المهدى انتدب ابن القديم وكان من جملة المخالفين ليأتيه بالمخالفين بعد أن انقطعوا عن حضور المجلس لخوفهم منه

فثار أهل القيروان على من بها من الكتاميين وقتلوا منهم نحو ألف رجل في شعبان سنة ٢٩٩ هـ ، ورغم فداحة الخطب ودلالاته فقد سعى ابن أبي خنزير عامل القيروان في تسكين أهلها وتهدئة خواطرهم (٤٥) ولم يتحرك المهدى لمعاقبتهم (٤٦) بل عمل على تسكين الفتنة وكف الدعاة عن طلب الناس بمذهب التشيع (٤٧) كيلا تتفاقم الثورة من ناحية ولسخطه على الكتاميين لتقديمهم الولاء لأبي عبد الله الشيعي على الولاء له . ولعل تجاهل المهدى عقاب أهل القيروان لما أنزلوه بالكتاميين قد زاد من سخط الكتاميين الغاضبين أصلا لمقتل أبي عبد الله الداعي ، فانصرف من كان منهم حول رقادة عائدين الى بلادهم وتجمعوا فيها وأظهروا الثورة على عبيد الله المهدى وقدموا على أنفسهم حدثا يدعى المارطي زعموا أنه المهدى المنتظر ومعنى ذلك أنهم يشكون في امامة المهدى وينكرون نسبه العلوى نتيجة للشكوك التي بثها فيهم أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس حين تمردهما على عبيد الله المهدى . وقد استفحل أمر المارطي حتى استولى على الزاب كله ولم يتمكن القواد الذين وجههم عبيد الله المهدى لمحاربته من هزيمته ولا القضاء عليه حتى خرج اليه أبو القاسم بن المهدى وولي عهده على رأس الجيش الشيعي فتمكن من القضاء على ثورة المارطي في كتامة بعد جهد جهيد (٤٨) .

وفي نفس العام — ٢٩٩ هـ — ثار أيضا أهل تاهرت على الشيعة وحاولوا قتل العامل الشيعي هناك دواس بن صولات اللهيصي (٤٩) . وفي العام التالي — ٣٠٠ هـ — ثار أهل طرابلس على الشيعة بسبب فساد حكم

---

(٤٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٦ .

(٤٦) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

(٤٧) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ٩٠ .
وابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٥٣

(٤٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٦٧ والقاضي النعمان المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٤ والداعي ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ١٢٣ وابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ص ٧٨ .

(٤٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٥

ماكنون بن ضبارة الأجانى وانتهابه أموالهم ولم يستطع الشيعة اخماد تلك الثورة الا بخروج أبى القاسم ولى العهد لمحاربة أهل طرابلس (٥٠) . كما تآمر للثورة على الشيعة فى القيروان محمد بن أبى أيوب المعروف بأبى العاهة ، فلما انكشف تآمره تخفى وشدد الشيعة فى طلبه والبحث عنه حتى هدموا عدة دور بالقيروان الى أن قبض عليه وقتل (٥١) .

كانت هذه الاضطرابات التى أعقبت مقتل الداعى أبى عبد الله الشيعى تنذر بعاصفة وخيمة العواقب فاضطر المهدى للتخفيف من تشدده مع المالكية فلم يقتل كثيرا منهم فى القيروان فى السنوات القلائل التى تلت مقتل أبى عبد الله الشيعى على الرغم من احتدام حركة الجدل حينذاك بين الشيعة والسنة وانعقاد حلقات المناظرة التى كان فارس حلبتها بلا منازع أبو عثمان سعيد بن الحداد الذى كان فقيها عالما لايبارى فى الفقه والكلام والمناظرة والرد على الفرق . وقد كانت لأبى عثمان سعيد بن الحداد صحبة لسحنون الا أنه كان يميل الى رأى الشافعى دون تقليد له فهجره أصحاب سحنون حينا حتى دخل الشيعة افريقية فتزعم ابن الحداد معارضتهم ومناظرتهم وتسفيه آرائهم فبزغ نجمه فالتفت حوله المالكية وصار زعيم حركة المعارضة السنيه للدعوة الشيعية فى افريقية حتى وفاته سنة ٣٠٢ هـ (٥٢) واشتدت معارضته للشيعة حتى أن العبيدين فرحوا لوفاته فرحا شديدا الى درجة أن خرج البريد بخبر وفاته سحرا ليبشر بها عبيد الله المهدى (٥٣) .

بلغت مهادنة عبيد الله المهدى للمالكية وأهل القيروان الى حد التخلص من القاضى المروزى الذى سعى لدى الشيعة ضد الفقيه محمد بن خيرون

---

(٥٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٨ والقاضى النعمان ، المصدر السابق ص ٢٢٥ .

(٥١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٦٩

(٥٢) المالكى : رياض النفوس ، جـ ٢ ص ٥٧ ومابعدها والدباغ : معالم الايمان جـ ٢ ص ٢٩٥ .

وعياض : ترتيب المدارك ، جـ ٥ ، ص ٧٨ ومابعدها .
والخشنى : المصدر السابق ، ص ١٩٩ ومابعدها .

(٥٣) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣١٥

الأندلسي حتى عذب ومات (٥٤) • فأسخط ذلك عليه عامل القيروان حسن ابن أبي خنزير الذي كان رغم اضطهاده السابق للمالكية يهدف حينئذ الى تسكين المالكية وأهل القيروان في تلك الفترة العصيبة التي كانت تمر بها دولة الشيعة فرأى تقديم المروزي قربانا لذلك وسعى عليه عند عبيد الله المهدي حتى أوقع به فحبسه المهدي وأمر بتعذيبه حتى قتل في رقادة سنة ٣٠٣ هـ (٥٥) •

هدأت الأحوال نسبيا في القيروان بعد الخلاص من المروزي خاصة وقد أنشأ العبيديون حيا خاصا للتجار وأهل الصناعات سمى القاسمية وانتقلوا اليه في ربيع الأول سنة ٣٠٥ هـ (٥٦) وكان تجميع التجار والحرفيين في القاسمية يمكن العبيديين من تحصيل المغارم المفروضة عليهم من جهة ، ويمكن من مراقبتهم وتشديد القبضة عليهم من جهة أخرى • وكان عبيد الله المهدي قد أنشأ منذ عام ٢٩٨ هـ ديوانا يعرف بديوان الكشف وأسنده الى اثنين من أخلص أعوانه هما جعفر بن أحمد البغدادي وعمر بن أبي خالد بن سلام (٥٧) لكن ديوان الكشف لم ينشط في ممارسة مهامه في السنوات الأولى لانشائه لاتجاه عبيد الله المهدي سياسة الاعتدال لمواجهة القلاقل التي أعقبت قتل أبي عبد الله الشيعي • وقد ساعد على تهدئة القرويين أن من الله بن الحسن بن أبي خنزير الذي ولاه المهدي على القيروان خلفا لأبيه ، سار على نهج الاعتدال

---

(٥٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦٩
ويرجع المالكي (المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٥٢) قتله الى مجاهدته الشيعة وبغضه لعبيد الله بينما يذكر الخشني انه الف لعبيد الله المهدي كتاب الشيعة واخبارهم وكان مرشحا للقضاء فبغضه المروزي (المصدر السابق ص ١٧٥)

(٥٥) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٧٣
ويذكر عياض (المصدر السابق ، جـ ٥ ص ١٠٥) ان جماعة من الصالحين رفعوا عليه انه يقدح في الدولة الشيعية ليكيدوا له وتخلصوا منه

(٥٦) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٠ •

(٥٧) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٦٢
وموسى لقبال : المرجع السابق ص ٤٢٣
وعادله الحمد : قيام الدولة الفاطمية في بلاد افريقية والمغرب ، ص ٢١٧

الذى سار عليه أبوه أواخر ولايته . لكن من الله بن الحسن بن أبى خنزير ما لبث أن عزل عن ولاية القيروان فى سنة ٣٠٦ هـ وتولى عليها أبو سعيد موسى بن أحمد الضيف الذى أخذ فى التشدد من جديد مع أهل القيروان اذ يشير ابن عذارى الى أن افريقية اجتمع عليها فى سنة ٣٠٧ هـ طاعون وغلاء سعر مع الجور الشامل من الشيعة والتعلل فى أموال الناس من كل جهة (٥٨) ، وتوفى فى ذلك العام (٥٩) قاضى القيروان محمد بن محفوظ القمودى الذى ولى قضاء القيروان بعد المروزى ، وكان القمودى رغم ما يتصف به من ضعف فى الرأى وجور فى الحكم أخف وطأه على أهل القيروان من اسحاق بن أبى المنهال الذى خلفه على قضاء القيروان بعد وفاته (٦٠) فقد صحب تولى ابن أبى المنهال القضاء تصعيد جديد فى سياسة التشييع واضطهاد أهل السنة خاصة المالكية منهم ، ونشط ديوان الكشف نشاطا ملحوظا فى ملاحقة الفقهاء المعارضين للتشيع ، واستخدام رجال الدولة العبيدية وسائل الترغيب والترهيب لجذب الناس الى التشيع ونشره فى افريقية والمغرب وفتنوا بعض الفقهاء عن مذهبهم واعتنق بعضهم المذهب الاسماعيلى طمعا فى مصالح مادية دنيوية صرفه (٦١) كتولى القضاء أو الارتزاق من كتابة الوثائق بين الناس بعد أن قصر العبيديون كتابة الوثائق على من دخل فى مذهبهم مثل عبد الملك بن محمد الضبى الذى غلب عليه حب المال أتداده من كتاب الوثائق فدخل فى مذهب الاسماعيلية حتى يسمح له بمزاولة هذه المهنة التى كانت تدر ربحا وافرا وأثرى منها ثراء كبيرا (٦٢) . وعلى بن منصور الصفار الذى اضطره الفقر ومحبة التودد الى أن تشرق (٦٣) أما من عجز العبيديون عن ترغيبه فقد لجأوا الى ترهيبه ، مثل أبى بكر

---

(٥٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨١

(٥٩) يجعل الخشنى وفاة القمودى سنة ٣٠٦ هـ (المصدر السابق ص ٢٣٩)

(٦٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٢ .

(٦١) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص‌ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

(٦٢) الخشنى : المصدر السابق ص ٢١٨ .

ومحمد العروسي المطوى : سيرة القيروان ص ٣٢ .

(٦٣) الخشنى : المصدر الساق ، ص ٢١٧

ابن القمودى الذى كان يشارك أبا عثمان الحداد فى مناظرة الشيعة ولكنهم توعدوه فتشرق خوفا منهم (٦٤) ، ووصل الترهيب حينا الى درجة القتل ، فقتل بالقيروان عروس المؤذن بمسجد ابن عياش الفقيه بعد أن ضرب بالسياط وقطع لسانه لأن قوما من المشارقة (الشيعة) شهدوا عليه بأنه لا يؤذن بحى على خير العمل (٦٥) .

ولم يقتصر الترغيب والترهيب على أهل القيروان وانما أنفذت الكتب الى كل القبائل بالترغيب والترهيب والتحذير لمن يعصى منهم من قريب أو بعيد (٦٦) .

لقد تخلى عبيد الله المهدى عن سياسة اللين والموادة وعاد الى سياسة التشدد مع أهل السنة واضطهادهم بعد أن استقرت أموره فى افريقية وأرسى قواعد سلطانه وتمكنت جيوشه من القضاء على معظم الثورات التى اندلعت هنا وهناك وانشغلت كتامة عن التمرد والثورة عليه بالمشاركة فى الحملات التى أخذ العبيديون فى تجريدها الى مصر فضلا عن بنائه مدينة المهدية الحصينة التى أحس بعد انتقاله اليها سنة ٣٠٨ هـ بالأمان والارتياح التام الذى عبر عنه بقوله « اليوم أمنت على الفاطميات » (٦٧) .

ابتعد المهدى بانتقاله الى المهدية عن القيروان أخطر معاقل المعارضة السنية على الدولة العبيدية (٦٨) وكان انتقاله الى المهدية بمثابة الانهاء التام لسياسة اللين التى لجأ اليها زمنا منذ تمرد أبى عبد الله الشيعى عليه ، لذلك ما ان تم انتقاله الى المهدية حتى بادر بالكتابه الى أهل المغرب جميعا يدعوهم الى الدخول فى طاعته والتدين بامامته (٦٩) وسلط أنصاره على سكان الضواحى ليرهبوهم محاولين اخضاعهم له بالقوة (٧٠) وأخذ الشيعة فى اضطهاد أهل السنة من جديد وامتحن فقهاء المالكية على يد اسحاق بن أبى المنهال قاضى القيروان .

---

(٦٤) الخشنى : المصدر السابق ص ٢١٤ .
(٦٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص‌ص ١٨٢ — ١٨٣ .
(٦٦) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ١٤٠ .
(٦٧) المقريزى : المقفى الكبير ، ٩٢ .
(٦٨) الطاهر احمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩
(٦٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧٨ .
(٧٠) الطاهر احمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

كان ممن امتحن على يدى اسحاق بن أبى المنهال الفقيه المالكى أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهوارى فى سنة ٣٠٨ هـ لعقده حلقة فى مسجد رحبة القرشيين وافتائه بمذهب مالك فقبض عليه صاحب المحرس ومن معه وساقهم الى ابن أبى المنهال فحبسه وكتب بخبره الى عبيد الله المهدى الذى لم يهتم بالرد عليه اطالة لمدة حبسه ، فظل أحمد بن نصر فى الحبس تسعة أشهر حتى أطلقه أبو سعيد الضيف عامل القيروان فلزم أحمد داره حتى توفى (٧١) .

كما امتحن على يدى ابن أبى المنهال الفقيهان حسين بن مفرج ومحمد الشذونى الزاهد ، اذ اتهما بتفضيل بعض الصحابة على على بن أبى طالب (٧٢) .

وامتحن على أيدى الشيعة أيضا الفقيه أبو عبد الله السدرى الذى بايعته وزداجه وعدد من قبائل افريقية وكثير من أهل القيروان على مجاهدة عبيد الله المهدى فأمر عبيد الله بالقبض عليه لكنه تمكن من الهرب الى مكة ومكث بها مدة ثم عاد الى المغرب فرصدته عيون الشيعة وجواسيسهم وكتبوا بأخباره الى عبيد الله المهدى فأرسل البريد فى طلبه فقبض عليه وجىء به الى عبيد الله المهدى الذى أمر بقتله (٧٣) .

وتشدد عامل القيروان ابو سعيد الضيف الذى خلف من الله بن حسن ابن أبى خنزير عليها فى معاملة أهل القيروان وضيق عليهم ، ولم يكن تشدد عمال القيروان الشيعة على القرويين لمجرد الخلاف المذهبى فقط ولكن العمال الشيعة كانوا أيضا يطمعون فى أموال القرويين ويسعون الى مصادرتها ونهبها ، فقد نهب الحسن بن أبى خنزير أموال محمد بن خيرون الأندلسى واشتكى القرويون الى عبيد الله المهدى عامله على مدينتهم أبا سعيد الضيف ووصفوا للمهدى فساده هو وأصحاب المحارس وطمعهم

---

(٧١) عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٥ ص ٩٦ والخشنى : المصدر السابق ص ٢٣١

(٧٢) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٣ والدباغ : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٥٤ وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٧ .

(٧٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٦٥ .

فى أموالهم . ومع أن عبيد الله المهدى تنصل من هذا الفساد ونحا باللائمة على عماله ووعد القرويين بالانصاف ، فانه لم يلبث أن وجد سبيلا آخر للحصول على الأموال من أهل افريقية اذ أمر أن يمر طريق الحاج بمدينة القيروان ليؤدوا ما وظف عليهم من المغارم (٧٤) .

ويبدو أن عبيد الله المهدى كان يهدف الى تصعيد جديد فى سياسة التشيع واضطهاد أهل السنة فعزل اسحاق بن أبى المنهال عن قضاء القيروان بدعوى لينه ومهانته وولى بدلا منه محمد بن عمران النفطى المتشيع القديم الذى تثبت سيرته أنه كان وصوليا لا يتورع عن شىء من أجل المناصب ، فحين كان يلى قضاء طرابلس جمع بها أموالا كثيرة من الرشى والأحباس رفعها الى عبيد الله المهدى فكانت تلك الأموال وسيلة النفطى الى قلب الامام الشيعى (٧٥) .

ولما تولى النفطى القضاء لم يتوان عن استرضاء سيده ، فتشدد مع المالكية حتى ضرب الفقيه محمد بن العباس بن الوليد الذهلى المعروف بدعدع فى جامع القيروان عريانا وصفع قفاه حتى سال الدم من رأسه وطاف به فى أسواق القيروان عريانا على حمار ثم حبس ، وكان سبب بطش النفطى بالفقيه دعدع أن قوما من المشارقة (الشيعة) رفعوا الى النفطى أن الفقيه المعروف بدعدع يطعن على السلطان ويفتى بمذهب مالك والحق أن دعدع كان شديد البغض لبنى عبيد كثير السب لهم لا يخاف فى الله لومة لائم (٧٦) . غير أن المنية عاجلت القاضى النفطى فى ربيع الأول سنة ٣١٢ هـ فأعاد عبيد الله المهدى اسحاق بن أبى المنهال الى قضاء القيروان مرة أخرى (٧٧) ووعى ابن أبى المنهال الدرس هذه المرة فلم يدخر جهدا فى تعقب المالكية ارضاء للشيعة كى يحتفظ بمنصبه ، فامتحن عددا من المالكية مثل أبى جعفر أحمد بن زياد الفارسى (٧٨) الذى

---

(٧٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٦ .

(٧٥) نفس المصدر ، جـ ١ ص ١٨٨ .

(٧٦) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص‌ص ٣٣٦ — ٣٣٧ . ويجعل المالكى (المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٥) حبسه فى سنة ٣٠١ مع أن النفطى لم يتول الا سنة ٣١١ ولعله تصحيف .

(٧٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٩ .

(٧٨) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١١٣ .

كان عالما بالمناظرة صحيح المذهب (٧٩) . وامتحن أيضا أبو بكر بن اللباد الذى كان يحضر مجلس السبت بالقيروان (٨٠) لأنه رأى فى حضوره تحديا للعبيديين واغاظة لهم وكان لا يخفى حنقه على القاضى ابن أبى المنهال حتى أنه رفض الصلاة على جنازة وراءه فغضب لذلك القاضى ابن أبى المنهال وقام المشارقة بتحريضه على ابن اللباد وشهدوا عليه عند ابن أبى المنهال بفتح بابه وانتصابه للفتوى بخلاف مذهب الشيعة وأنه يلبس السواد ويخطب فى الأعياد فأمر ابن أبى المنهال بسجنه الى حين ثم أفرج عنه على ألا يفتى الا بمذهب السلطان ولا يجمع الناس اليه فلزم ابن اللباد داره وأغلق عليه بابه حتى توفى فى سنة ٣٣٣ هـ (٨١) .

ولم يقتصر الاضطهاد على مالكية القيروان ، فقد تعقب الشيعة فقهاء المالكية فى سائر افريقية مثل أبى جعفر أحمد بن موسى التمار من أهل تونس ، امتحن هو وأخوه محمد بن أبى موسى وأمر عبيد الله المهدى بضرب أخيه حتى الموت . ودارت على كثير من أهل مذهب المدنيين وغيرهم محن كثيرة كمحنة عروس المؤذن وقطع لسانه — كما أسلفنا — ومحنة ابن معتب وضرب ظهره وابن المدنى فى ضرب ظهره وصفعه وابن اللباد بسجنه وأشياء كثيرة حلت بأهل السنة من جهة ترك حى على خير العمل فى الآذان وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم والفتيا بمذهب مالك (٨٢) .

---

(٧٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٤ .

(٨٠) كان مجلس السبت يعقد فى المسجد المسمى بمسجد السبت ويحضره الزهاد والعباد ، وفيه يقرأ القارىء آية من كتاب الله عز وجل وبعض حكايات الصالحين وتنشد فيه الأشعار ويسمى ذلك بالرقائق فى افريقية . ولقد سمى مسجد السبت بهذا الاسم لعمل الرقائق فيه كل سبت وهذا المسجد كان هو مسجد العربى الواقع خارج للقيروان بقرب تربة الشيخ ابى زمعه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدباغ ، معالم الايمان ، جـ ٢ ص ٣٧٨) .

(٨١) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١١٣ .
وتراجم اغلبية ، ص ٣٠٨ .

(٨٢) عياض : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٣٨ .

ولم تقتصر سياسة التشييع على القيروان ورقادة والمهدية بل عمل الشيعة على نشر الآراء الاسماعيلية المتطرفة فى كثير من النواحى (٨٣) . وقد نتج عن تشدد عبيد الله المهدى مع أهل السنة عامة والمالكية خاصة أن تجرأ بعض غلاة الشيع على اظهار الغلو القبيح فى معتقداتهم من قبيل تحليل المحرمات والاشارة الى عبيد الله المهدى بالألوهية . وقيل ان المهدى كان يبارك أنشطة هؤلاء الشيعة ويوجهها ، فقد وجه منيب بن سليمان المكناسى الداعى وغيره من الدعـاة الى الأطراف وأمرهـم باظهـار التشريق (٨٤) . فاذا وجدوا الناس محتملين له متغاضين عنه نشروه بين العامة وأشاعوه ومن ثم توجـه منيب بن سليمان المكناسى الى نواحى تاهرت ودعا للشيعة فلما كشف عن غلوه القبيل قام عليه الناس وقتلوا بعض من تبعه فكفوا عن غلوهم (٨٥) . كما أظهر الغلو جماعة من الشيعة فى القيروان وباجة وتونس وجاهروا بتحليل المحرم وأكلوا الخنزير وشربوا الخمر فى رمضان فأكثر الناس من القول فيهم وشنعوا عليهم حتى علم بشناعاتهم فى مصر وعير بذلك القائم بأمر الله العبيدى من قبل أهـل السنة فى الفيوم بمصر (٨٦) ، واضطر عبيد الله المهدى الى حبس نحو مائتى رجل منهم وكتب الى عماله فى تلك المواضع التى ظهر فيها هؤلاء الغلاة أن يحضروهم مقيدين فحبسـوا حتى مات اكثرهم بالسـجن ، ومن المشهورين من هؤلاء الغلاة أحمد البلوى النخاسى الذى كان يعمل نخاسا بتجارة الرقيق ثم انضم الى زمرة الشيعة وكان يعتقد فى ألوهية عبيد الله المهدى فكان يصلى الى رقادة أيام وجود عبيد الله فيها وهى منه فى الغرب فلما استقر المهدى بالمهدية وهى منه الى الشرق صلى اليها وكان يقول له « ارق الى السماء ، كم تقيم فى الأرض وتمشى فى الأسواق » وكان يقول لأهل القيروان عن عبيد الله : انه يعلم سركم ونجواكم .

---

(٨٣) موسى لقبال : دور كتامة ، ص ٤٢٥ .

(٨٤) اصبحت كلمة التشريق فيمـا يبدو تعنى الغلو فى التشيـيع كما يفهم من سياق الروايات .

(٨٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(٨٦) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .

ومنهم ابراهيم بن غازى ، كان يأكل فى شهر رمضان جهارا ويرتكب الكبائر على الرغم من أنه كان فى أيام بنى الأغلب من المتزهدين المرابطين بقصر الطوب المجاور لسوسه (٨٧) .

ويعترف القاضى النعمان بظاهرة الغلو التى فشت وقتا بين الشيعة فى افريقية لكنه يحاول تبرئة عبيد الله المهدى من المسئولية عن حدوث هذه الظاهرة ويذكر أنه عاقبهم على قــدر ذنوبهم فقتل قوما منهم وســجن آخرين (٨٨) . غير أن الهمدانى يتهمه بأنه كان وراء هذه الظاهرة ووراء سياسة اضطهاد أهل السنه وأنه « كان يشتد على أهل القيروان وما يملكه من أرض المغرب وقتل الرجال واستصفاء الأموال وقصد الفقهاء والعلماء ، وقد كان بث دعاته فيها يدعون اليه والى طاعته ويأخذون العهود عليهم ويلقون الى الناس من أمره بحسب عقولهم واحتمال كل طبقة منهم فمنهم من يلقون اليه أنه المهدى ابن رسول الله ومنهم من يلق اليه أنه رسول الله وحجة الله ومنهم من يلق اليه أنه الله الخالق الرازق فكان اذا احتج الناس من هذا وظهر فيهم الانكار يأخذ الدعاة فمرة يحبس بعضهم ومرة يقتلهم ويقول ما أمرت بهذا ، ويقول الدعاة هو أمرنا وبأمره فعلنا » (٨٩) .

لقد كان الغلو الذى أظهره بعض الشيعة منذ سنة ٣٠٩ هـ نتيجــة للتصعيد فى سياسة التشييع والتضييق على أهل السنة واضطهاد المالكية التى انتهجها عبيد الله المهدى بعد استقرار الأمور له فى افريقية ، ومع أن المهدى قد وافق على هذا الغلو حينا فانه سرعان ما خشى عواقبه بعــد ثورة أهل تيهرت على الداعى المغالى منيب بن سليمان المكناسى وقتلهم عددا ممن اتبعه .

على أى حال ، فقد كان تصعيد المهدى لسياسة التشييع واضطهاد المالكية سببا فى تزايد سخط فقهاء المالكية وأهالى القيروان وافريقية الى درجة جعلتهم يؤازرون أبا يزيد مخلد بن كيداد الخارجى الأباضى النكارى فى ثورته ضد العبيديين التى بدأت بوادرها قبيل وفاة المهدى فى العشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ .

(٨٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٦ .
(٨٨) افتتاح الدعوة ، ص‌ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .
(٨٩) تثبيت دلائل النبوة ، ص ٦٠٠ .

التشيع فى بلاد المغرب فى عهود خلفاء المهدى وحتى انتقال المعز لدين الله الى مصـر :

تولى القائم بأمر الله خلافة الدولة العبيدية بعد وفاة أبيه عبيد الله المهدى وسار القائم بأمر الله على نهج سلفه واقتفى سيرته وأحكامه (٩٠) فأظهر التشيع وتشدد فيه على نحو ما كانت عليه سياسة أبيه فى سنواته الأخيرة ، بل « زاد شره على شر أبيه أضعافا مضاعفة وجاهر بشـتم الأنبياء » (٩١) وأمر بسب الغار وما وعى والكسـاء وما حوى ، فمن اعترض أو تكلم عذب وقتل ومثل به حتى اشتدت المحنة على أهل السنة فى بلاد المغرب (٩٢) وأضحوا فى حالة شديدة من الاهتضـام والتستر تجرى عليهم المحن الشديده فى أكثر الأيام . وتصب العبيديون حسينا الأعمى السباب فى الأسواق يسب الصحابة بأسجاع لقنها ، وعلقت رءوس الأكباش والحمر على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة فيها أسماء الصحابة ، فمن تكلم أو اعترض من أهل السنة امتحن ومثل به (٩٣) .

كان لهذا التصعيد الخطير فى سياسة التشيع واضطهاد أهل السـنة لأول خلافة القائم بأمر الله ردود فعل عنيفة فى بلاد المغرب ، فقد اندلعت الثورات على العبيديين هنا وهناك ، وزاد من لهيب تلك الثورات سخط الأهالى لكثرة الضرائب والمغارم واستصفاء الأمـوال (٩٤) التى دأب العبيديون عليها منذ خلافة المهدى ، فقد كانت للعبيديين مطامع واسـعة يتطلب تحقيقها وجود جيش قوى باهظ التكاليف لا تكفى « النفقات » التى يدفعها أتباعهم للوفاء بها ، ومن ثم اضـطر العبيديون الى فرض ضرائب عديدة باهظة جدا لم تكن مقبولة من الناحية الواقعية ولا تجد ما يبررها من الناحية الشرعيـة (٩٥) عند أهل السـنة المنكرين لعقائد الشيعة . كما زاد من سخط أهالى المغرب تلك المعاملة السيئة التى تعرض

---

(٩٠) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٣١ .
(٩١) الهمدانى : تثبيت دلائل النبوة ، ص ٦٠١ .
(٩٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٦ .
(٩٣) عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٣١٥ .
(٩٤) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ .
(٩٥) الفرديل : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص ١٦٢ .

لها الفقهاء والعباد على أيدى الشيعة ، وكان لهؤلاء الفقهاء والعباد — خاصة المالكية منهم — شعبية جارفة تجعل الناس يتعضون لكل محنة تحل بواحد من هؤلاء الزعامات على أيدى العبيديين ، كما تجعلهم يستجيبون لدعوات الثورة التي تطلقها تلك الزعامات من حين لآخر . ولم تكن دعوات الثورة قاصرة على المالكية وأهل السنة وحدهم بل كثيرا ما أطلقها بقايا الخوارج الصفرية والاباضية التى وان كانت قد فقدت كياناتها السياسية فى بلاد المغرب على أيدى العبيديين الا أن أنصارها الذين لاذوا بالمناطق النائية أو المنعزلة كانوا يتحينون الفرصة للثأر من الشيعة العبيديين (٩٦) .

لم يلبث القائم بأمر الله بعد توليه الخلافة الا قليلا حتى اندلعت فى وجهه الثورات التى أرقت مضجعه فى جهات كثيرة من بلاد المغرب وافريقية . وكان من أوائل هذه الثورات ثورة قام بها محمد بن طالوت القرشى بنواحى طرابلس ، وقد انضم اليه عدد كبير من البربر زحف بهم الى طرابلس للاستيلاء عليها فدافعه أهلها عن مدينتهم ولم يمكنوه من اقتحامها .

وعلى الرغم من اقتضاب الروايات فيما ذكرته عن تلك الثورة ، فاننا نرى فى هذه الثورة دلالات خطيرة ، فقد روى أن محمد بن طالوت القرشى زعم أنه ابن المهدى وأن البربر اتبعوه على ذلك فلما تبين لهم كذبه قتلوه وأتوا برأسه الى القائم بأمر الله (٩٧) .

يجعلنا هذا الادعاء فى حيرة أمام تفسير تلك الأحداث اذ يمكن من خلاله تفسيرها على أكثر من وجه ، من ناحية أهل طرابلس ومن ناحية البربر الذين اتبعوا ابن طالوت القرشى .

فمن ناحية أهل طرابلس أما أنهم علموا بزعم ابن طالوت بأنه ابن للمهدى فقاوموه خلعا لطاعة العبيديين الشيعة منتهزين اضطراب الدولة العبيدية

---

(٩٦) الفردبل : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٩٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢١٦ .
والقاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٢٣ وابن خلدون : العبر ، مجلد ٤ ، ص ٨٣ .

لوفاة عبيد الله المهدى أو أنهم قاوموه باعتباره منشقا على الخليفةالقائم يريد انقسام البيت العبيدى على نفسه . ويصعب تصديق القول بأن أهل طرابلس الذين توالت ثوراتهم على العبيديين كانت تهمهم وحدة البيت العبيدى ومقاومة المنشقين عليه . واما أن أهل طرابلس قاوموا ابن طالوت دون علمهم بزعمه أنه ابن للمهدى فحاربوه دفاعا عن مدينتهم ضد طامع فيها يريد الاستيلاء عليها فخدموا بذلك العبيديين دون قصد منهم .

أما البربر الذين اتبعوا ابن طالوت على زعمه بأنه ابن للمهدى فهل كانوا يميلون الى التشيع حتى يتبعوا ابنا للمهدى ؟! واذا كانوا يميلون الى التشيع فلماذا لا يوالون خليفة الشيعة فى المهدية وينحازون الى منشق عليه ؟!

أغلب الظن أن البربر بنواحى طرابلس — والذين كانت الدعوة الخارجية تلقى قبولا بينهم منذ عصر الولاة — لم يتبعوا ابن طالوت القرشى الا نكاية فى العبيديين فلما فشل ابن طالوت فى الاستيلاء على طرابلس وأدرك البربر ضعفه خشوا عقاب القائم العبيدى وانتقامه فقتلوا ابن طالوت القرشى وقدموا رأسه للقائم العبيدى برهانا على ولائهم ودفعا لعقابه لهم .

وفضلا عن هذا ، فلعلنا نتساءل عن جدوى ادعاء قرشى أنه من ولد المهدى فى بيئة كان أهلها يتشككون حينئذ فى صحة انتساب المهدى نفسه الى البيت العلوى حتى أن بعض كبار بناة الدولة العبيدية كاشفوا المهدى بشكوكهم فيه وطالبوه بدليل على صحة نسبه العلوى كما سبق أن ذكرنا ، فهل من الممكن أن يكون زعم ابن طالوت القرشى ببنوته للمهدى من مزاعم الرواية الشيعية واختلاقاتها وأنها أرادت — فى ذكاء — الايحاء بصحة انتساب المهدى للعلويين بدليل أن قرشيا كابن طالوت يزعم أنه من أبناء المهدى ويتمسح بالانتساب اليه ، ولو شك هذا القرشى فى نسب المهدى لما أقدم على الانتساب اليه وادعاء بنوته .

على أى حال ، فمهما كانت حقيقة ثورة محمد بن طالوت القرشى فقد كانت ارهاصة بالمتاعب والثورات التى ستواجه القائم بأمر الله العبيدى والتى كانت أخطرها وأشدها هولا ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى الأباضى النكارى المعروف بالأعرج صاحب الحمار .

كان أبو يزيد مخلد بن كيداد أول أمره معلما للصبيان بتقيوس ولكنه كان ميالا الى الثورة يحث الناس على الخروج على طاعة العبيديين ، واستطاع أن يقنع أهــل تقيوس بقتل عاملها من قبل العبيديين ســنة ٣١٦ هـ (٩٨) فاشتد عبيد الله المهدى فى طلبه حتى تم القبض عليه وحبس فى توزر وظل فى حبسها حتى تمكن أبو عمار كنار بن عبد الحميد الأعمى وغيره من أعوان أبى يزيد من اقتحام سجن توزر واخراجه منه فتوجه بهم أبو يزيد الى أوراس وأخذ هو وصــاحبه أبو عمار الأعمى يحثان البربر على الثورة على العبيديين واجتمع اليهما الخوارج فأخذوا يغيرون على النواحى الخاضعة للعبيديين فى أول خلافة القائم بأمر الله العبيدى، وهبط أبو يزيد من جبل أوراس يدعو الى الحق بزعمه ولم يعلم الناس مذهبه فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة (٩٩) وانضم اليه كل من كان يميل الى التمرد على العبيديين اما بغضا لهم ولمذهبهم أو طمعا فى الســلطان والأموال (١٠٠) .

كان من الممكن أن تظل ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد مجرد ثورة خارجية اباضية محدودة الأثر ويسهل على العبيديين القضاء عليها ، لولا أن تحالف معه أهل السنة خاصة مالكية القيروان.فقد كان لتشدد القائم فى سياسة التشييع واضطهاد أهل السنة فى أول خلافته أثره فى تذمر أهل القيروان وتطلعهم الى الخلاص من الشيعة فتمنوا — على حد قــول عياض — قائما عليهم (١٠١) فلما تسامع الناس بأبى يزيد وأنه ينكر المنكر اجتمعوا اليه (١٠٢) وقام أهل السنة معه وخرج على رأسهم الفقهاء والعباد مع أبى يزيد لمحــاربة الشيعة وخليفتهم القائم بأمر الله العبيدى فتمكن أبو يزيد من دخول القيروان فى صفر سنة ٣٣٣ هـ ، فأظهر لأهلها خيرا وترحم على الشيخين أبى بكر وعمر ودعا الناس الى جهاد الشيعة وأمرهم بقراءة مذهب مالك ، وخرج الفقهاء والصلحاء فى الأسواق بالصلاة على

---

(٩٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .
تقيوس : بالفتح ثم السكون وياء مضمومة وواو ساكنة وسين مهملة مدينة بافريقية قريبة من توزر (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٧) .

(٩٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢١٦ .

(١٠٠) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ١٧٤ .

(١٠١) ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .

(١٠٢) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ .

النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأزواجه (١٠٣) وهى أمور كانوا قد حرموا منها منذ أيام عبيد الله المهدى ، ولعنوا من لا يترحم على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهدموا بيوت المتقبلين (١٠٤) اعلانا عن توقفهم عن دفع الضرائب التى فرضها عليهم العبيديون ، فضلا عن الخلاف المذهبى ، كان أهل القيروان وبلاد المغرب ساخطون على العبيديين لكثرة ما أرهقوهم به من ضرائب باهظة يستعرض ابن حوقل أنواعها من العشور والصدقات والمراعى والجوالى الى المراصد والمكوس وغيرها (١٠٥) بل فرضت المغارم على الحجيج وحرص عبيد الله المهدى على أن يمر طريق الحاج على المهدية ليؤدوا ما وظف عليهم من المغارم (١٠٦) • وهكذا تنوعت أسباب السخط على العبيديين دينية وسياسية واقتصادية مما يفسر التأييد العارم الذى لقيه أبو يزيد — رغم اباضيته — فى ثورته ضد العبيديين •

لم يكن القرويون يجهلون هوية أبى يزيد المذهبية الاباضية لكنهم كانوا يعدونه من أهل القبلة يجوز لهم الانضمام اليه فى محاربة الشيعة الذين كانوا يكفرونهم ويخرجونهم عن أهل القبلة ، واذا كان العداء المشترك للشيعة قد جمع بين أهل القيروان السنة وأبى يزيد مخلد بن كيداد الاباضى فان القرويين كانوا لا ينوون الانصياع الدائم لأبى يزيد بعد انتصارهم على الشيعة عدوهم المشترك ، وانما كانوا يأملون أن يسلط الله عليه اماما عادلا يخرجه عنهم (١٠٧) •

لا شك أن نجاح أبى يزيد فى الدخول الى القيروان كان بفضل انحياز القرويين اليه ونهوض أهل السنة معه وعلى رأسهم الفقهاء والعباد لمحاربة العبيديين وقد نجح أبو يزيد فى استمالة القرويين بسكوته عن الترويج لمذهبه الاباضى واقدامه على ما يرضى أهل السنة كالترحم على الشيخين أبى بكر وعمر ودعوة الناس الى جهاد الشيعة وقراءة مذهب مالك (١٠٨) وازالة الظلم والمكوس (١٠٩) •

(١٠٣) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٠ •
(١٠٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢١٦ •
(١٠٥) رشيد بوزويبه : المرجع السابق ، ص ١٨١ •
(١٠٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٦ •
(١٠٧) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ •
(١٠٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٦ •
(١٠٩) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ •

تحاول الرواية الاسماعيلية اخفاء دور أهل القيروان فى تأييد أبى يزيد مخلد بن كيداد ونصرته ، فلا تشير على الاطلاق الى هذا الدور الذى قاموا به ، بل يرجع الداعى ادريس دخول أبى يزيد القيروان الى سـوء تدبير خليل بن عدنان التميمى الذى ولاه القائم بأمر الله مهمة الدفاع عنهـا (١١٠) .

وفضلا عن هذا تحرص الرواية الشيعية على تصوير أبى يزيد مخلد ابن كيداد فى صورة المارق الفاسـد الذى اسـتحل دماء المسـلمين وفروجهم (١١١) على الرغم من أنه كان اباضـيا والاباضية اكثر فرق الخوارج اعتدالا وأقربهم الى أهل السنة ، ويجرى بعض الباحثين مجرى الروايات الشيعية فى تشويه صورة أبى يزيد (١١٢) وأغلب الظن أن الذين بالغوا فى تشويه صورة أبى يزيد تأثروا فى ذلك بالرواية الشيعية المعادية لأبى يزيد وبالرواية الاباضية الوهبية المخالفة للنكار المنكرين لامامة عبد الوهاب بن رسـتم وكانت كلمة النكارية سـيئة الوقع فى نفوس الدارسين وكأنهم تصوروها انكار للدين مع أنها لا تعنى الا انكار امامة عبد الوهاب بن رستم لأباضية تاهرت . وربما ساعدت روايات مالكية افريقية على شىء من هذا التشويه بعد اختلاف المالكية مع أبى يزيد لكنهم كانوا فى البـداية يشيدون بنسـكه وورعه ، فيذكر عياض أنه « كان يتحلى بنسك عظيم » (١١٣) ويشيد به ابن عذارى وبأنه أظهر لأهـل القيروان خيرا وترحم على أبى بكر وعمر وأباح قراءة مذهب مالك (١١٤) ويصفه ابن خلكان بأنه كان يظهر التزهد وأنه انما قام غضبا لله تعالى ولا يركب غير حمار ولا يلبس الا الصوف (١١٥) بل ان الرواية الشيعية نفسهـا تعترف بأنه كان يوالى أبا بكر وعمر (١١٦) لكنها رغم ذلك

---

(١١٠) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ١٨٤ .
(١١١) نفس المصدر ، سبع ٥ ، ص ١٩٣ وما بعدها .
(١١٢) محمد السيد أبو العزم : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
(١١٣) ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .
(١١٤) البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٦ .
(١١٥) وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٢١٢ .
(١١٦) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٧١٢ .

حريصة على تشويهه والتشنيع عليه انتقاما لما أنزله بالدولة العبيدية من هزائم كادت أن تودى بها لولا أخطاء ارتكبها بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من الاجهاز التام على الدولة العبيدية .

تشجع أهل السنة على مجاهدة الشيعة بعد الانضمام الى أبى يزيد مخلد بن كيداد ، وأفتى فقهاء القيروان بأن الخروج مع أبى يزيد لجهاد الشيعة متعين لكفر الشيعة ، وأجمعت مشـيخة القيروان على وجوب الخروج لجهاد العبيديين وأخذوا فى حث الناس على ذلك فسـاروا فى مظاهرات عسكرية فى شوارع القيروان لتشجيع الناس ، فبدأوا بالخروج الى مصلى العيد يوم الاثنين لثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى سـنة ٣٣٣ هـ بالسلاح الشاك والعدة ، ورفعوا البنود مكتوب عليها التهليل والتكبير والصلاة على الرسول وأصحابه وأزواجه وآيات قرآنية تحث على قتال أئمة الكفر ونصرة أبى يزيد ، وشارك فى تلك المظاهرات جميع فقهاء المدينيين المشهورين لم يتخلف منهم أحد لعذر أو مرض حتى أن أبا ميسرة الأعمى الذى كانت عاهته تقعده عن الجهاد مشى شاهرا السلاح فى القيروان مع الناس تحميسا لهم ، كما شارك أيضا بعض فقهاء الأحناف مثل ابراهيم بن محمد المعروف بالعشاء الحنفى وكان يرفع بندا أبيضا كان أكبر البنود السبعة التى رفعت يومئذ .

وظلت تلك المظاهرات الحماسية تشق القيروان طيلة خمسة أيام حتى يوم الجمعه فأقام الفقهاء الجمعة — وكانوا لا يجمعون منذ أول جمعة لعبيد الله المهدى فى القيروان — وخطب فيهم يومئذ أحمد بن أبى الوليد خطبة بليغة حث فيها الناس على الجهاد وسب بنى عبيد وأغرى بهم وأعلن الناس بالخروج من غدهم يوم السبت لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ٣٣٣ هـ لجهاد الشيعة ونصرة أبى يزيد (١١٧) .

خرجت جموع أهـل القيروان يتقدمها من الفقهـاء ربيع القطـان وأبو الفضل الممسى وأبو العرب تميم والسبائى للانضمام الى أبى يزيد فى مجاهدة العبيديين ، وتمكن أبو يزيد مخلد بن كيداد بفضل مؤازرة

---

(١١٧) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٠٩ .
وعياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص‌ص ٣١٩ — ٣٢٠ .
وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٣ .

أهل السنة المتحمسين وفى مقدمتهم مشيخة القيروان من احراز النصر على الشيعة حتى أصبح على قيد خطوة من القضاء على دولة بنى عبيد لولا سوء تقديره وتفكيره فى الخلاص من مشيخة القيروان كى ينفرد بالرأى والتدبير ، فسولت له نفسه — فى توقيت غير مناسب — أن يغدر بمشيخة القيروان ، قال ابن عذارى « ولما رأى أبو يزيد أنه قد استولى على الأمر أو كاد وأن الشيعى قد كاد يبيد أو باد قال لجنوده اذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم أراد أن يتبرأ عن معرة قتلهم عند الناس وأراد الراحة منهم لأنه فيما ظن اذا قتل شيوخ القيروان وأئمة الدين تمكن من أتباعهم فيدعوهم الى ما شاء فيتبعونه » (١١٨) .

وقع اللقاء المرتقب بين الشيعة العبيديين وأبى يزيد ومعه أهل السنة فى الوادى المالح بين تماجر والمهدية (١١٩) ورغم انتصار أبى يزيد فى هذا اللقاء المشهور فانه نفذ خطته للخلاص من مشيخة القيروان وانكشف عنهم أتباعه كما أمرهم فقتل من مشيخة القيروان عدد كبير (١٢٠) كان من بينهم أبو الفضل الممسى وربيع بن سليمان القطان ومحمد بن على البقال وغيرهم (١٢١) .

فطن أهل القيروان الى خدعة أبى يزيد وسوء نيته وغدره للخلاص من مشيختهم ففارقوه واشتد بغضهم له ونكصوا عن مؤازرته (١٢٢) وعادوا الى قيروانهم فأظهروا به السنة وحلقوا بالجامع وأحيوا ذكر شهدائهم بتسمية حلقات الدرس التى كانت تعقد فى الجامع بأسماء

---

(١١٨) البيان المغرب ، جـ ١ ص ٢١٨ .

وعياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ .

(١١٩) البكرى : المصدر السابق ، ص ٢٩ والمالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٩٢ . والحميرى : الروض المعطار ، ص ١٣٦ .

(١٢٠) قدرهم عياض (ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٣٢١) بخمسة وثلاثين رجلا من الفقهاء والصالحين بينما قدرهم المالكى (رياض النفوس ، ص ٢٩٢) بخمسة وثمانين ، وهو تصحيف فيما يبدو .

(١٢١) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ .

(١٢٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .

الشهداء (١٢٣) خاصة من كانت له منهم حلقة قبل استشهاده ، مثل ربيع القطان الذى كانت له حلقه قبل استشهاده (١٢٤) فظلت تنسب اليه وتدعى باسمه ، ويتردد عليها كبار علماء المالكية اللاحقون مثل أبى الأزهر ابن معتب وعمر بن محمد العسال وأبى محمد بن أبى زيد وغيرهم (١٢٥) . وترأسها عقب استشهاد صاحبها أخوه أحمد وتولى الالقاء بها حتى استعاد العبيديون القيروان فغادر أحمد الى الأندلس وأقام بها عشر سنين حتى أخذ له سجل بالعفو من المعز لدين الله العبيدى فعاد الى القيروان (١٢٦) .

أدى تخلى مشيخة القيروان وأهل السنة فيها عن تأييد أبى يزيد وانفضاضهم من حوله الى عجزه عن اقتحام المهدية الحصينة على الرغم من وفاة القائم بأمر الله العبيدى أثناء الحصار وهو الأمر الذى كان من الممكن أن يشيع الفوضى فى الدولة العبيدية فى فترة من أدق وأخطر فتراتها لولا أن ابنه وخلفه المنصور بالله اسماعيل تمكن من تكتم خبر موت القائم كيلا يفت فى عضد جنوده المقاومين لحصار أبى يزيد ، وكيلا يرفع معنويات أبى يزيد وجيشه فيشتد حصارهم للمهدية ، فقام المنصور بدفن أبيه « سرا وأظهر عليه جلدا وصبرا لئلا يعلم العدو بذلك فتقوى عزيمته ويطلع الولى فيكثر فشله وتهى قوته وغطى ذلك بكثرة الصلاة وأعطى فعم بالنعم والأيادى المتواصلات ولم يتسم بأمير المؤمنين »(١٢٧) .

كان التشيع يمر بأيام عصيبة وقتئذ عبر عنها الداعى ادريس بأنها « كانت ظلمة عمت المغرب ومحنة شملت على كل مسلم — يقصد كل شيعى — من كان بعيد ومقترب (١٢٨) وكاد أن يقضى على دولة العبيدية التى تعرضت لهزائم عديدة وخسروا جميع المدن والبلاد وأخرجوا منها

---

(١٢٣) محمد ابو العزم : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
(١٢٤) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ ، ص ٣٢٥ .
(١٢٥) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ .
(١٢٦) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٣٣٢ .
(١٢٧) الداعى ادريس ، المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢٣١ .
(١٢٨) نفس المصدر ، سبع ٥ ، ص ١٩٧ .

بما فيها رقادة والقيروان وغيرها من بلاد المغرب وافريقية فلم يبق لهم منها غير المهدية (١٢٩) .

واشتد حصار أبي يزيد للمهدية وقطع عنها الميرة فغلا سعر القمح والشعير بها غلاء فاحشا وكثر خروج الناس منها لشدة الجوع والجهد ، ولم تف الأهراء السلطانية باحتياجات الناس من الغذاء فعظم بهم البلاء حتى احتاجو الى أكل الميته والدواب وغيرها (١٣٠) وتمادى الحصار فهرب كثير من أهل المهدية فى المراكب الى بلاد الروم ومصر وطرابلس وصقلية (١٣١) .

ويبدو أن العبيديين استعملوا الحيلة لتفريق أتباع أبى يزيد فدسوا عليهم من أعلن الثورة على أبى يزيد فى باجة مدعيا أنه من بنى العباس فأجابه كثير من الناس وكان يمكن لذلك المدعى أن يبث الفرقة فى صفوف أنصار أبى يزيد ويستميل منهم من يهوى فؤاده العباسيين لولا أن اخذ هذا المدعى أسيرا فوجدت معه أعلام سود مكتوب فى كل منها لا اله الا الله محمد المهدى بالله ، فأتى أبو عمار الأعمى صاحب أبى يزيد بنفر من أهل بغداد سألوا هذا المدعى عن صفة بغداد وفى أى ناحية منها كانت سكناه فلم يحر جوابا ، فانكشفت الحيلة (١٣٢) .

وعلى الرغم من شدة حصار أبى يزيد للمهدية فانه فشل فى الاستيلاء عليها وأدرك أبو يزيد أن سبب ذلك هو قعود القرويين عن نصرته بعد ما كان منه يوم وقعة الوادى المالح وتآمره للخلاص من مشيخة القيروان فضلا عن اساءة حامية القيروان من قبله الى أهلها واظهار أصحابه مذهب الاباضية فكرهه الناس وشق عليه أهل القيروان عصا الطاعة ، وحاول

---

(١٢٩) ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٥ والذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٥ ، ص ١٥٦ .
واحسان الهى ظهير : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(١٣٠) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢٠٧ .

(١٣١) نفس المصدر ، سبع ٥ ، ص ٢١٠ وابن الأثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤٢٨ .

(١٣٢) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢١٠ وابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤٣٠ .

أبو يزيد استرضاءهم واستمالتهم الى جانبه من جديد دون جدوى [١٣٣] فى الوقت الذى أدرك فيه المنصور بالله اسماعيل الخليفة العبيدى الجديد جدوى مؤازرة أهل القيروان لأبى يزيد فأخذ يبذل جهده لصرف القرويين عن نصرة أبى يزيد واستمالتهم الى جانب العبيديين فانتهج سياسة الاعتدال ووعد أهل السنة بتغيير سياسة أبيه وجده « وأنه لا يتعرض لدياناتهم — مذاهبهم — وحلف على ذلك وآكد وأشهد ... وأخذ الدعاة الذين كانوا لهم — الشيعة — فحلق لحاهم وتفاهم وقال لأهل قيروان : من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه فانى معكم ومن ورائكم وأطلق المحدثين فى الحديث والناس فى اقامة التروايح » [١٣٤] ، وأطلق المنصور « المحبوسين الذين حبسهم القائم بسبب القدح فى الدولة ووصل الفقراء والمساكين ووجه مراكب كثيرة مشحونة بالطعام الى فقراء مدينة سوسة المستورين ففرقت فيهم لما قاسوه من حصار أبى يزيد » [١٣٥] .

كان لسياسة الاعتدال التى استفتح بها المنصور بالله اسماعيل خلافته أثرها فى صرف أهل القيروان عن مؤازرة أبى يزيد فلما فشل أبو يزيد فى استرضائهم انصرف عن القيروان تاركا العبيديين يستردونها فى سهولة فأمن المنصور أهلها فى أموالهم وأنفسهم ووعدهم خيرا [١٣٦] وأخرج أحمالا كثيرة من الدنانير والدراهم قام قاضيه محمد بن أبى المنصور بتوزيعها عليهم [١٣٧] كما أرسل الى القيروان جعفر بن على الحاجب فصلى الجمعة وأقام الخطبة معلنا فيها أن الأمير — أعزه الله — [١٣٨] ترك

---

(١٣٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤٣٥ والهمدانى : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ والداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢١٤

(١٣٤) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ .

(١٣٥) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ١٤٤ .

(١٣٦) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢٣٧ وابن الأثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤٣٥ .

(١٣٧) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢٥٣ .

(١٣٨) تبدو لهجة الاعتدال فى قول جعفر بن على « الامير اعزه الله » ولم يقل امير المؤمنين صلى الله عليه وسلم كما اعتادت الشيعة الاسماعيلية على قول ذلك .

لهم ما يجب عليهم فى سنتهم (٣٣٤ هـ) والسنة التى تليها (٣٣٥ هـ) من العشر والصدقة وجميع اللوازم رفقا بهم واعانة لهم على عمارة أرضهم وبواديهم (١٣٩) ووعد ألا يؤخذ منهم فى اقبال السنين الا العشر والصدقة ، الطعام من الطعام والشاة من الغنم والثور والبقر من السائمة والبعير من الابل على فرائض الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ووعد أيضا بالاحسان واظهار العدل واحياء الحق (١٤٠) .

وامعانا فى سياسة استرضاء أهل القيروان واستمالتهم تغاضى المنصور بالله اسماعيل العبيدى عما كان نفر من مشيخة القيروان يجاهرون بـه من عداء للشيعة حتى أنه لما وصل الى القيروان « وجه فى شيوخها ، فوجه فى مروان بن سعدون الخطيب ، وكان يشتمهم — الشيعة — على المنبر ، ودخل عليه فلم يسلم لا وقت دخوله ولا وقت خروجه ، وجعل كلما كلمه لا يزيد على : ما شاء الله حسبنا الله ونعم الوكيل » (١٤١) .

وادراكا من المنصور بالله اسماعيل لأهمية القيروان وخطورة معارضة أهلها لسلطان العبيديين عدل عن سياسة أبيه وجده فى الاستقرار بالمهدية الحصينة التى صمدت لحصار أبى يزيد مخلد بن كيداد ، واتجه المنصور الى اتخاذ حاضرة جديدة له على مقربة من القيروان يسهل عليه منها مراقبتها والسيطرة عليها فأمر ببناء مدينة المنصورية (صبرة) على نصف ميل فقط من القيروان (١٤٢) .

---

(١٣٩) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢٥٤ والمقريزى : المقفى الكبير ، ص ١٥٢ .

(١٤٠) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص‌ص ٢٥٤ — ٢٥٥ . والمقريزى : المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

(١٤١) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٨٧ .

(١٤٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٢٠ وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٩ والداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٢٥٩ .

تغيرت موازين القـوى فى الحرب الدائرة بين المنصـور العبيدى وأبى يزيد الأباضى النكارى لصالح المنصور بعدما انفض أهل القيروان عن أبى يزيد واتهج المنصور سياسـة الاعتدال — التى أشرنا اليها — لتسكينهم ، وزاد من حرج موقف أبى يزيد اتجاهه لسياسة البطش ارهابا للمدن الخاضعة له كيلا تخرج عليه مثلما فعلت القيروان فزاد ذلك من عداء أهل السنة له ونفورهم منه ، وطالت الحرب بين المنصور وأبى يزيد حتى حسمت الجولة الأخيرة فيها لصالح العبيديين وأمكن القبض على أبى يزيد وقتله لتنتهى — أو تكاد — بذلك أخطر ثورة تعرض لها العبيديون فى بلاد المغرب .

وكان على المنصور بالله العبيدى أن يبذل جهده لازالة آثار هـذه الحرب الدامية التى طال مداها ونجم عنها كثير من التخريب فضلا عن جهوده لاحتواء ردود الفعل والأعمال الانتقامية التى شنها أنصار أبى يزيد انتقاما لمقتله فقد ثار كل من معبد بن محمد بن خزر من أنصار أبى يزيد كما ثار فضل بن أبى يزيد بعد أن تسلل الى جبل اوراس وجمع حوله أنصار أبيه وتمكن من الاستيلاء على قسطيلية وقفصة (١٤٣) . فكان على المنصور بالله اسماعيل أن يبذل جهده للقضـاء على تلك الثورات ومعالجة آثارها .

تطلبت معالجة هذه الآثار من المنصور بالله اسماعيل أن يستمر وقتا على نهج الاعتدال وتسكين أهل القيروان حتى أنه رأى أن يولى على قضاء القيروان نفر من مشيخة القيروان المالكية ، أراد بذلك « تسكين نفوس أهل السنة والناس وما كان منهم بعـد فتنة أبى يزيد » (١٤٤) وتغاضى المنصـور فى سـبيل ذلك عن معاداة هؤلاء النفر من المالكية للشيعة ومؤازرتهم السابقة لأبى يزيد مخلد بن كيداد فى ثورته ضـد العبيديين ، فوجه المنصور بالله العبيدى فى طلب أبى ميسرة الأعمى ليوليه قضاء القيروان وهو الذى خرج من قبل فى شوارع القيروان شاهرا سيفه لتحميس الناس على مجاهدة الشـيعة ، لكن أبا ميسرة أحمد بن نزار

---

(١٤٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤٤١ والمقريزى : المقفى الكبير ، ص ١٧٥ .

(١٤٤) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٦٩ .

الأعمى اعتذر عن تولى القضاء متعللا بعاهته وذهاب بصره (١٤٥) فعرض المنصور بالله القضاء على أبى العباس عبد الله الابيانى المالكى لكنه امتنع وطلب اعفاءه فأعفاه وسمح له بالخروج الى تونس دون أن يعترض أحد طريقه (١٤٦) ، ثم قبل أبو عبد الله محمد بن أبى المنظور قضاء القيروان (١٤٧) لكنه اشترط على المنصور ألا يأخذ على القضاء أجرا ولا صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقبل شهادة من قاربهم ولا يركن اليهم ، ورغم تشدد شروط ابن أبى المنظور وما لهـا من دلالة ، فقـد قبل المنصـور بالله هـذه الشروط (١٤٨) استرضاء للقرويين وتسكينا لهم .

على هذا النحو كانت سياسـة الاعتدال التى انتهجها المنصور بالله العبيدى فى أول خلافته لمواجهة ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد وما أعقبها من اضطرابات حتى اذا استنفدت هذه السياسة أغراضها وتوطدت أقدام العبيديين فى بـلاد المغرب بعد أن زلزلتها ثـورة أبى يزيد ، لم يلبث المنصور بالله اسماعيل العبيدى أن نكص عن سياسة الاعتدال وعاد الى التشيع القبيح واضطهاد أهل السنة ، وبعد أن كان يطلب من الفقهـاء المحلقين فى الجامع أن يسمحوا للشيعة بعقد حلقه واحدة فى الجامع بين حلقات أهل السنة (١٤٩) وبعد أن كان يطلب من فقهاء أهل السنة من المالكية والشافعية والحنفية أن يشتركوا مع الشيعة فى النظر فى مشروعية مهادنة النصارى كالهدنة التى عقدت مع صاحب القسطنطينية سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م (١٥٠) اذا به يعدل عن كل هذا فيقتل من أهل القيروان خلقـا ويعذب آخرين ليظل أهـل القيروان فى محنة معـه الى أن توفى (١٥١) ولم يقتصر فى ذلك على أهل القيروان وانما شمل أهل السنة فى نواحى بلاد المغرب ، ففى برقه عذب قاضى برقه أبو عبد الله محمد ابن اسحاق

---

(١٤٥) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٥٩ .
(١٤٦) نفس المصدر ، جـ ٣ ص ٣٤٩ .
(١٤٧) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ١٤٦ .
(١٤٨) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٦٥ .
(١٤٩) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٦٠٣ .
(١٥٠) المقريزى : المقفى الكبير ، ص ١٨٦ .
(١٥١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .

البرقى لمخالفته المذهب الاسماعيلى فى هلال رمضان وأفضى تعذيبه الى موته فصلب بباب أبى الربيع سنة ٣٤١ هـ (١٥٢) .

وعهد المنصور بالله اسماعيل بالقضاء الى فقهاء الشيعة من جديد فولى النعمان بن محمد بن حيون على قضاء المنصورية والقيروان وأعمال افريقية وجعل منه قاضيا للقضاة يتبعه القضاة فى سائر الدولة العبيدية ، ونصب المنصور « عمد التشيع وأظهر سننه وأحكامه وأقام باطن الدعوة وظاهرها وحكم قواعدها ومشاعرها وأبان نواهيها وأوامرها » (١٥٣) .

وعاد الشيعة الى سيرتهم الأولى فى سب الصحابة ، وعاد حسين الأعمى السباب ليسب فى الأسواق ويلعن الغار وما وعى والكساء وما حوى (١٥٤) وأظهر المنصور بالله اسماعيل رضاه عن ذلك بدفاعه عن حسين الأعمى السباب الشيعى (١٥٥) وفرض على أهل القيروان حظر التجول ليلا خشية أن يدبروا بليل للثورة على الحكم الشيعى (١٥٦) .

ظل المنصور بالله اسماعيل العبيدى على سياسة التشيع القبيح مضطهدا أهل السنة حتى وقع فريسة المرض ثم توفى فجأ فى أواخر سنة ٣٤١ هـ دون أن يكمل العقد الرابع من عمره ، فخلفه فى حكم الدولة العبيدية ولده معد المعز لدين الله .

كان المعز لدين الله مدركا للأخطار التى تحدق بالدولة فكتم وفاة والده من وفاته فى آخر شوال الى عاشر ذى الحجة يوم النحر سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م (١٥٧) وما أن أعلن عن وفاة والده وتسلمه الخلافة حتى

---

(١٥٢) الدباغ : معالم الايمان ، جـ ٣ ، ص ٤٩ .

ولكن المقريزى (المقفى الكبير ص ١٨٧) يرجع سبب محنة القاضى البرقى الى انه حكم بين خصمين بغير المذهب اسماعيلى واقسم الا يحكم بمذهبهم ولو صلب فاحضروه الى القيروان وصلبوه .

(١٥٣) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ٣٣١ .

(١٥٤) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .

(١٥٥) نفس المصدر ، ص ٣٨٤ .

(١٥٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٥٧) الداعى ادريس : عيون الاخبار ، سبع ٦ ، ص ١٣ (قطعة منه نشرها محمد اليعلاوى ضمن كتابه تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب) .

خرج فى نفس اليوم فى غارة وقائية على جبل أوراس لارهاب أهله كيلا يجددوا اشعال الثورة التى مازالت آثارها باقية ، فأطراف الدولة على سبيل المعصية والسبل خائفة ولهب نار الفتنة لم يخمد وحرها لم يبرد ، وأخذ المعز زعماء الأوراس بالمباغته فدانوا له بالخضوع وعلى رأسهم محمد بن خزر ومعه قواد البربر ووجوههم (١٥٨) .

وكعادة أسلافه ، بدأ المعز خلافته بالاعتدال ، فكان مع حرصه على نشر عقائد المذهب الاسماعيلى (١٥٩) يداهن ويدارى (١٦٠) ، فلا يجهر بغلوه فى التشيع الا مع خاصته ودعاته وشيعته ، ويحتاط فى الابانة عن غلوه أمام المخالفين (١٦١) .

واتخذ المعز لدين الله من المنصورية حاضرة له ومركز لنشر الدعوة الشيعية فى افريقية والمغرب ، وكانت الدعوة تنشر على مستويين : مستوى الظاهر ومستوى الباطن ، فالعلم الظاهر كانت تعقد حلقاته فى المسجد الجامع بينما كانت حلقات العلم الباطن تعقد فى قصر المعز لدين الله ويقتصر حضورها على الخاصة من شيعته لتعريفهم بأسرار المذهب وعقائده التى يصعب على العامة فهمها (١٦٢) .

وأسندت مهمة الدعوة الى القاضى النعمان بن محمد الذى رفع المعز لدين الله قدره وجمع له رئاسة القضاء والدعوة وأمره بقراءة كتب الأئمة آباء المعز ونشر علومهم على أتباعه وأوليائه وأن يرتبهم على مراتبهم بحسب علومهم وما هو من واجبهم ، وأخرج اليه كتبا من علم الباطن ليقرأها عليهم فى كل يوم جمعه فى مجلس القصر (١٦٣) .

ولما أيقن المعز من استتباب الأمور له نهج سيرة أسلافه فى التشيع القبيح فوجه الى أئمة المساجد والمؤذنين مشددا عليهم بالا يؤذنوا الا

---

(١٥٨) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٦ ص ١٩ .
(١٥٩) محمد أبو العزم : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .
(١٦٠) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٧ ص ٧٤ .
(١٦١) احسان الهى ظهير : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .
(١٦٢) محمد أبو العزم : المرجع السابق ، صص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
(١٦٣) الداعى ادريس : المصدر السابق ، سبع ٦ ، ص ٢٠ .

بحى على خير العمل وقراءة البسملة فى أول السور والتسليم تسليمتين والتكبير على الجنائز خمسا وما الى ذلك مما يأخذ به الاسماعيلية (١٦٤) . بل قيل انه ادعى النبوة ودس من نادى فوق صومعة جامع القيروان « أشهد أن معدا رسول الله » فارتج البلد لذلك فأرسل من سكن الناس (١٦٥) ومع أنه من الصعوبة بمكان قبول القول باقدام المعز على ذلك ، فليس هناك ما يمنع من القول بأن أحد الغلاة ممن يشبه الغلاة الذين ظهروا فى خلافة المهدى قد أقدم على مثل هذا الغلو القبيح .

لم تلق سياسة المعز لدين الله العبيدى — رغم مقدرته فى المداراة والمداهنة — قبولا لدى أهل السنة ومشيخة القيروان الذين ظلوا على عدائهم للعبيديين يحثون الناس على بغضهم والكفر بمذهبهم رغم ما تعرضوا له من أذى وبطش بأيدى العبيديين ، يدل على ذلك كتاب ورد الى المعز من صاق الاكريكى عامله على قصر الافريقى يذكر فيه تناصر البربر عليه وتخريبهم لمنطقته وأنه خائف على نفسه أن يهلكوه (١٦٦) .

وكان من كبار مشيخة القيروان حين تولى المعز لدين الله الخلافه أبو اسحاق السبائى ، الذى كان ممن تزعموا نصرة أبى يزيد مخلد بن كيداد ابان ثورته ومؤازرته فى الخروج على القائم بأمر الله ثانى خلفاء العبيديين . وكان السبائى قد اعتكف فى داره بعد فشل ثورة أبى يزيد وظل على اعتكافه الى أن اشتد أمر بنى عبيد وفتح دعاتهم أبوابهم وتشددوا فى دعوة الناس الى التشيع ، فقال السبائى لأصحابه افتحوا باب دارى نأخذ فى ذمهم والتحذير منهم (١٦٧) .

ورغم معرفة المعز لدين الله بعداء السبائى للعبيديين وقوله عنه ذات يوم « أعد لنا السلاح وتربص بنا الدوائر وكفرنا وشتمنا وعلم الناس الجرأة علينا » (١٦٨) الا أن المعز كان يداريه ويسكت عنه (١٦٩) كيلا يثير

---

(١٦٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٨٥ .

(١٦٥) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ .

(١٦٦) سيرة جوذر ، ص ٩٣ .

(١٦٧) عياض : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٧٨ .

(١٦٨) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٣٨٨ .

(١٦٩) عياض ، المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٨٧ .

بالتعرض له أهل السنة ، وكان قلقا منه حيا وميتا ، اذ أرسل كفنا ليوارى فيه حين وفاته لكن أهل السنة قطعوا ذلك الكفن ، ولما رأى المعز كثرة اجتماع الناس لتشييع جنازته خشى عواقب تجمعهم فأرسل عامل القيروان عسلوج الولهاجى لتفريق الناس ، فواجه الناس عسلوجا بما يسىء الشيعة من القول فيجاريهم فى القول خوفا منهم ومن ثورتهم ، وظل المعز لدين الله فى قلق وتوجس حتى تم دفن السبائى وانفض الناس (١٧٠) .

وكان من طبقة السبائى وعلى شاكلته أبو اسحاق الجبنيانى الذى كان هو الآخر مبغضا للعبيديين مقاوما لهم لا يخفى بغضه لهم ولا تكفيره اياهم ، فقد حضر الجبنيانى ذات يوم جنازة امرأة وصلى عليها وجىء يومئذ بجنازة كتامى شيعى وراءها خلق منهم فنادوا الصلاة على الشهيد فلم يرد الجبنيانى عليهم حتى اذا فرغ من دفن المرأة انصرف وتركهم وقوفا بتابوتهم (١٧١) .

وكان أبو اسحاق الجبنيانى يمكن أوقات صلاتى الظهر والعصر مخالفة للعبيديين ليعلم الناس صلاتهم وكيدهم للدين ومسلكهم الى هدمه بتغييرهم فى الصلاة وآذانهم قبل الوقت ، وكان أبو الحسن القابسى أيضا يمكن أوقات الصلاة مثلما يفعل الجبنيانى (١٧٢) .

وكان ابو اسحاق الجبنيانى لا يؤذن بحى على خير العمل ولا يقرأ البسملة فى أو السور ولا يسلم على ناحيتين مخالفا بذلك ما أمر المعز باتباعه (١٧٣) لكن المعز كان يخشى من تأثيره فى الناس وتمكنه من أفئدتهم فكان يداريه ويسكت عنه خشية أن يؤدى التعرض له الى اثارة الناس على العبيديين (١٧٤) .

وكان من مشيخة القيروان الذين يعادون العبيديين أبو محمد عبد الله ابن اسحاق المعروف بابن التبان الذى كان شديد التنقيص للعبيديين ، يكفرهم ويلعنهم ويحث الناس على النفور منهم والبغض لهم (١٧٥) .

---

(١٧٠) نفس المصدر ،
(١٧١) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٥١٠ .
(١٧٢) نفس المصدر ، جـ ٤ ، صص ٥١٤ — ٥١٥ .
(١٧٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ، صص ٥٠٩ — ٥١٠ .
(١٧٤) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٥١٠ .
(١٧٥) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٥٢١ .

وبلغ من عداء المعز لأهل السنة أن أمر بنبش قبر عقبة بن نافع واحراق بقاياه بالنار ، وبعث لأداء هذه المهمة خمسمائة من الشيعة ما بين فارس وراجل ، توجهوا الى قبر عقبة بتهوده ونفذوا ما أمرهم به المعز . وكان سبب نبش قبر عقبة بن نافع أن المعز لدين الله أراد تحريف قبلة مسجد القيروان سنة ٣٤٥ هـ وهي التي كان عقبة قد قام بتوجيهها وتعيينها حين بنى مسجد القيروان ، فتذمر الناس لما يريده المعز من تحريفها وقالوا ان الله عز وجل يمنع المعز من تحريفها بدعاء عقبة بن نافع الذي توجه الى الله به وقت تأسيسه الجامع (١٧٦) .

كذلك كان نهج المعز لدين الله العبيدي في التشيع ، سار فيه على نهج أسلافه وان كان قد أبان عن حصافة ودهاء اكثر منهم ، ولعله قد تعلم منهم كيفية المداراة وقت الشدة خاصة من أبيه المنصور بالله اسماعيل لكن المعز زاد على أسلافه باتباع سياسة المداراة والمداهنة في معظم الأوقات فكان لا يبين عن حقيقة أغراضه في كثير من الأحيان الا لخاصة أتباعه الذين يفشى فيهم علم الباطن ليدركوا دقائق المذهب الاسماعيلي وأسراره ، أما العامة من الشيعة وغيرهم من أهل المذاهب الأخرى فكان لا يعرض عليهم الا علم الظاهر كيلا يصدم هؤلاء في مشاعرهم ويقفون من التشيع موقفا عدائيا لا هوادة فيه . الا أن المعز كان لا يملك نفسه أحيانا فيبين عن حقيقة أهوائه ومعتقده في بعض الأحيان ، ولعل قلة هذه الحالات هي التي دعت بعض المؤرخين الى وصف المعز لدين الله بالاعتدال .

وسواء كان المعز لدين الله معتدلا أو يتصنع الاعتدال فان أهل السنة لم ينخدعوا بسياسته ولم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال سياسة التشيع التي كان المعز ينتهجها ، غير أنهم لم يثوروا في عنف كما حدث في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد . وعلى الرغم من الهدوء النسبي في ردود أفعال أهل السنة لسياسة المعز الا أنه أدرك غربة المذهب الاسماعيلي في بلاد المغرب وعزوف أهل المغرب الشديد عن تقبل عقائد الاسماعيلية فأيقن أن المستقبل السياسي للعبيديين في بلاد المغرب محفوف بالمخاطر فكان هذا من دواعي انتقال المعز الى مصر بعد استيلاء العبيديين عليها على يد قائده جوهر الصقلي ، لتبدأ بعد انتقاله الى مصر صفحة جديدة من تاريخ التشيع في المغرب على عهد بني زيري .

---

(١٧٦) كتاب الاستبصار ، ص ١١٤ .

التشيع في بلاد المغرب

في عهـد بني زيـري

انتقل المعز لدين الله العبيدى الى مصر سنة ٣٦١ هـ لأسباب عديدة كان من أهمها افتقاد العبيديين للاحساس بالاستقرار فى بلاد المغرب واستمرار المعارضة لهم سياسيا ومذهبيا من قبل مخالفيهم فى المذهب الذين كانوا يشكلون غالبية المغاربة من أهل السنة والخوارج والعلويين غير المتشيعين ، وقد جمع العداء المشترك للشيعة الاسماعيلية هذه الفئات أحيانا ودفعها للتحالف ضد العبيديين مثلما حدث فى ثورة أبى يزيد مخلد ابن كيداد .

ولما كان العبيديون قد أخذوا فى الاعتماد على صنهاجة تحقيقا للتوازن بينها وبين كتامة منذ أن تبين لهم أن ولاء كتامة كان بالدرجة الأولى لأبى عبد الله الداعى حتى أن جماعات من الكتاميين أشعلوا الثورات ضد الحكم العبيدى انتقاما لمقتل أبى عبد الله الشيعى ، ولقد تدعمت مكانة صنهاجة عند العبيديين منذ أن أثبت زيرى بن مناد الصنهاجى ولاءه لهم ابان ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد (١) فرضى العبيديون عنه حتى سمحوا له بانشاء مدينة أشير واتخاذها مقرا له ، فلما حان وقت انتقال المعز لدين الله الى مصر استخلف على افريقية والمغرب يوسف بن زيرى ابن مناد الصنهاجى المعروف ببلكين .

سار بلكين بن زيرى على نهج العبيديين وفق الخط الذى رسمه له المعز لدين الله العبيدى والوصايا التى أوصاه بها (٢) وتفانى فى نشر التشيع فى بلاد المغرب تعبيرا عن ولائه للعبيديين والتزامه بطاعتهم .

واتخذ بلكين بن زيرى أشير حاضرة له وأناب على افريقية عبد الله ابن محمد الكاتب الذى كان أداة بلكين فى تنفيذ سياسة التشريق أو نشر التشيع فى افريقية وفوض اليه بلكين شئون الدعوى (٣) فتفانى عبد الله ابن محمد الكاتب فى تنفيذ سياسة سيده واتخاذ الوسائل الناجعة لها حتى لقب بالمحتال ، فتارة يلاحق فقهاء المالكية ليجبرهم على الدخول فى التشريق (التشيع) ، يقول عياض : « كان عبد الله المعروف بالمحتال

---

(١) النويرى : نهاية الارب جـ ٢٤ ص ١٦٣ .
والحبيب الجنحانى ، القيروان ، ص ٩٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ .

(٣) كان تفويض أبى عبد الله الكاتب فى شئون الدعوة بأمر من العزيز بالله (النويرى ، المصدر السابق ، جـ ٢٤ ، ص ١٧٩) .

صاحب القيروان شد فى طلب أهل العلم ليشرقهم » (٤) ولم يتوقف فى ملاحقاته تلك عند حد ، فقد لاحق كبار المالكية مثلما لاحق صغارهم فطلب الشيخ أبا سعيد ابن أخى هشام وأبا محمد بن التبان وأبا القاسم ابن شبلون وأبا محمد بن أبى زيد وأبا الحسن القابسى فاجتمعوا فى مسجد ابن اللجام واتفقوا على الفرار من القيروان ، فقال لهم ان التبان أنا أمضى اليه وأكفيكم مؤونة الاجتماع به ويكون كل واحد منكم فى داره ... أبيع روحى من الله دونكم لأنكم أن أتى عليكم وقع الاسلام على وهن » (٥) . واذا كان لتفكير هؤلاء الفقهاء فى الفرار من دلالة ، فانما يدل على شدة ملاحقة عبد الله الكاتب لهم حتى جعلهم يفكرون فى الفرار مخالفين فتوى سبق أن أصدروها بعدم جواز الفرار من وجه الشيعة ووجوب المكوث والتصدى لهم .

وكان عبد الله بن محمد الكاتب يعقد مجالس المناظرة بين فقهاء المالكية ودعاة الشيعة ظنا منه ببراعة هؤلاء الدعاة وثقة فى قوة حجتهم ، فاذا فشل هؤلاء الدعاة فى مقارعة فقهاء المالكية الحجة بالحجة — وكان الفشل غالبا من نصيبهم — لجأ عبد الله الكاتب الى الوعد والوعيد لترغيب فقهاء المالكية فى التشيع جهلا منه — أو تجاهلا — لبغض المالكية الشديد للتشيع ، من ذلك على سبيل المثال أنه عقد مجلسا للمناظرة بين دعاة الشيعة وفقهاء المالكية ، وحضر من دعاة الشيعة داعيان يدعى أحدهما أبو طالب ويدعى الآخر أبو عبد الله وطلب لمناظرتهما أبا محمد ابن التبان ، وتمكن أبو محمد بن التبان من افحام الداعيين الشيعيين فحاول عبد الله الكاتب استمالته وادخاله فى التشيع فرفض ابن التبان قائلا انه لو نشر نصفين ما فارق مذهب مالك ، فسمح له عبد الله الكاتب بالخروج من المجلس فمر ابن التبان فى خروجه بجماعة من الناس ممن أحضروا لتلقى عليهم الدعوة الى التشيع ، فقال لهم ابن التبان : تثبتوا ، ليس بينكم دين لله عز وجل الا الاسلام ، فاذا فارقتموه هلكتم . فترك عبد الله الكاتب طلب بقية شيوخ المالكية بعد ذلك المجلس (٦) .

---

(٤) ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٥٢١ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٥٢١ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ص ٥٢١ — ٥٢٢ .

ولجأ عبد الله بن محمد الكاتب الى الضغط على أهل السنة وفرض المغارم عليهم كي يتحولوا عن مذهبهم ، ففي سنة ٣٦٥ هـ أمر بأن يؤخذ كل البحريين في القيروان وافريقية واجبارهم على الخدمة في الأسطول ، وكانت الخدمة في جيش الشيعة أو أسطولهم مما يشق على أهل السنة اذ لا يعدون ذلك نوعا من الجهاد لتكفيرهم الشيعة ، ولذلك أدرك الخوف كافة أهل القيروان خاصتهم وعامتهم فلزموا دورهم الى درجة أنه كان اذا مات أحدهم لا يخرجه الا النســاء (٧) وفي سنة ٣٦٦ هـ أغرم عبد الله الكاتب نحو ســتمائة من أعيان أغنياء القيروان وافريقية أموالا كثيرة بالتعيين ، ووصــل غرم بعضهم الى عشرة آلاف دينار للواحــد منهم ، فاجتمعت له بالقيروان أموال كثيرة من هذه المغارم وعم هذا الغرم سائر أعمال افريقية فيما عدا الفقهاء والصلحاء والأدباء وأولياء السلطان (٨) وأغلب الظن أنه لم يعف الفقهاء والصلحاء رأفة بهم أو لطيب علاقته بهم وانما أراد الوقيعة بينهم وبين عامة أهــل افريقية الذين سيتشككون في الفقهاء تبعا لذلك . وكان لشدة عبد الله الكاتب على أهل السنة أن تظاهر بعضهم بالدخول في التشيع سترا وتقية من عبد الله الكاتب وكان من هؤلاء شبلون بن عبد الله المصاحفي (٩) .

كانت العلاقات بين العبيديين في مصر ونائبهم في افريقية أبي الفتوح يوسف بن زيري لا بأس بها وكان يتبادل واياهم الهدايا (١٠) واستطاع أبو الفتوح يوسف بن زيري أن يوطد حكمه في سائر أنحاء المغرب — فيما عدا سبته — بعدما خاض حروبا متصلة منذ سنة ٣٦٨ هـ الى سنة ٣٧٣ هـ ، وكان ترد اليه أثناء ذلك سجلات العبيديين من مصر فتصله على البريد حيثما وجد (١١) .

---

(٧) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ .
والمقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ .
(٩) القيرواني : المصدر السابق ص ١٣٣ .
(١٠) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .
(١١) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ .

غير أن العلاقات بين العزيز بالله العبيدى فى مصر ونائبه أبى الفتوح الزيرى قد تأثرت — على نحو أو آخر — من جراء هروب كباب ومغنين ابنى زيرى من أخيهما أبى الفتوح ولجوئهما الى العزيز بالله فى مصر فآواهما وخلع عليهما ووصلهما واستبقاهما فى مصر بضعة أشهر ثم أعادهما الى المغرب آمرا أخاهما أبا الفتوح بالعفو عنهما وعدم التعرض لهما (١٢) . ومع أن أبا الفتوح قد استجاب لأوامر الخليفة العبيدى الا أنه قد دخل فى نفسه شيئا من ناحيته ، ويبدو أن العزيز بالله قد توجس خيفة من نائبه فأرسل اليه طالبا منه ارسال ألف فارس من خيرة صناديد صنهاجة لكن أبا الفتوح لم يستجب لطلب الخليفة العبيدى هذه المرة متذرعا بالخطر الأموى المحدق ببلاده وباحتياجه لهؤلاء الأبطال فى حربه مع أمويى الأندلس وأعلن تخليه عن مسئولية بلاد المغرب اذ أصر الخليفة العزيز على طلبه ذلك فنزل الخليفة العبيدى على رغبة نائبه وتغاضى عن طلب الفرسان الصنهاجيين (١٣) وأدى الفتور الذى حل بالعلاقة بين أبى الفتوح بلكين والعبيديين الى شىء من التقارب بين الأمير الزيرى وأهل السنة ظهر فى وفاة الفقيه أبى سعيد خلف بن عمر المالكى الذى توفى ليلة الجمعة ٧ صفر سنة ٣٧٣ هـ وصلى عليه ابن الكوفى القاضى وحضر الصلاة أمير افريقية بلكين بن زيرى وجميع عسكره وأهل القيروان وجميع أهل المذهبين من الموافق والمخالف (١٤) . ثم توفى بلكين أبو الفتوح يوسف ابن زيرى فى سنة ٣٧٤ هـ وتولى امارة افريقية والمغرب من بعده ابنه المنصور عبد الله بن بلكين الذى كان عاملا عفيفا يحب الرفق بالأمر فجبلت الناس على محبته (١٥) .

وتلوح فى الأفق بوادر التغيير فى سياسة بنى زيرى وسيتزايد الفتور الذى أصاب علاقاتهم بالعبيديين قبيل وفاة بلكين شيئا فشيئا فى امارة

---

(١٢) عياض المصدر السابق ، ج ١ ، ص‌ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .

(١٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٩١ .

— وان كان عياض غير متأكد من العام فيقول سنة ٣٧١ او سنة ٣٧٣ ، وقد اخذنا بسنة ٣٧٣ لتوافق ذلك مع الأحداث . كما ان عياض يجعل اسم بلكين فى هذه العبارة عبد الله بن زيرى والصواب هو يوسف ابن زيرى أما عبد الله فاسم ابنه المنصور بالله .

(١٥) ان أبى دينار : المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس ، ص ٧٧ .

ابنه المنصور الذى كشف عن طموحه الى الاستقلال باتخاذه لقب المنصور بالله على غرار اتخاذ رؤسائه العبيديين الألقاب ورأى المنصور بالله أن يكتسب محبة رعيته ليتقوى بهم على العبيديين اذا دعت الضرورة لذلك فأظهر حفاوة عظيمة بمن جاء من وجوه أهـل القيروان لتهنئته بالامارة وأوضـح لهم أن سروره بهـم لا يفـوقه شيء (١٦) وكشـف لهم عن الاصلاحات التى يزمع ادخالها على سياسة الزيريين فقال لهم « ان أبى وجدى أخذا الناس بالسيف قهرا وأنا لا آخذهم الا بالاحسان ، وما أنا فى هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب » وأمر المنصور بن بلكين عبد الله بن محمد الكاتب أن يصرف لهم عشرة آلاف دينار ضـيافة ، فدعوا له ووقع فعله من نفوسهم موقعا حسـنا حتى أن أهل القيروان أحسنوا لقاءه واستقبلوه استقبالا رائعا حينما قدم الى بلدهم وأظهروا غبطتهم بقدومه اليهم فوعدهم خيرا ووعدهم بكل جميل (١٧) .

وبينما كانت علاقة المنصور بالله بن بلكين بأهل السـنة آخذة فى التحسن ، كانت علاقته بالعبيديين — على العكس من ذلك — آخذة فى التدهور ، ومن الطبيعى أن يكون التقارب فى أحد الاتجاهين تباعدا عن الآخر .

ويبدو أن العبيديين بعد انتقالهم الى مصر كانوا يخشـون انفراد صنهاجة بالحكم فى افريقية والمغرب والنزعات الاستقلالية التى يمكن أن تعترى نوايهم الصنهاجيين فأرادوا استقطاب من بقى من الكتاميين فى بلاد المغرب وأن يجعلوا منهم قـوة تدين لهم وحـدهم بالولاء وتنـاوىء الصنهاجيين وتتصـدى لنزعاتهم الاسـتقلالية وأرسـل العبيديون لتلك المهمة الداعى أبا الفهم الخراسانى الذى ظهر فى كتامه سنة ٣٧٦ هـ فاجتمع اليه خلق كثير من كتامة وساد بينهم حتى صـار يركب الخيل ويجمع العسكر ويعمل البنود ويضرب السكة فعظم أمره وشاع خبره (١٨) .

---

(١٦) ابن ابى دينار : المصدر السابق ص ٧٧ .

(١٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ .
وابن أبى دينار : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(١٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤١ والمقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ . والنويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، ص ١٨٢ . ومحمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٥ .

أفزعت حركة الداعى الاسماعيلى أبى الفهم الخراسانى أمير أفريقية والمغرب المنصور بن بلكين فتحرك فى سرعة للقضاء عليها واتهم نائبه على أفريقية عبد الله بن محمد الكاتب بالتواطؤ مع أبى الفهم والتقاعس عن القضاء عليه قبل أن يستفحل خطره وتهوينه لأمره وتصغيره لشأنه حتى تفاقم خطره وذاع خبره (١٩) وكان عبد الله بن محمد الكاتب قد عهد اليه بأمره الدعوة الشيعية فى المغرب بأمر من العزيز بالله العبيدى (٢٠)، فقتل المنصور بن بلكين عبد الله الكاتب ثم تعقب الداعى أبا الفهم الخراسانى وحاربه وهزمه ثم أسره وقتله سنة ٣٧٨ هـ (٢١) .

وفى السنة التالية (٣٧٩ هـ) ظهرت فى كتامة ثورة أخرى يتزعمها رجل يقال له أبو الفرج زعم أنه حفيد للقائم بأمر الله العبيدى فاجتمعت حوله كتامة واتخذ البنود والطبول وضرب السكة وفعل أكثر مما عمله أبو الفهم وجرت بينه وبين عمال المنصور بن بلكين على ميله وسطيف معارك عديدة حتى تصدى له المنصور وقتله شر قتلة ، ومع احتمال عدم وجود صلة بينه وبين العبيدين فى مصر وأنه دعى ادعى صلة بهم بينما لا يعرف من أى موضع هو (٢٢) فأغلب الظن أن ادعاءه هذا انعكس على العلاقة بين المنصور بالله بن بلكين ورؤسائه العبيديين .

أدى قتل الداعى أبى الفهم الخراسانى وخروج كتامة على طاعة صنهاجة بتحريض من العبيديين الى توتر العلاقة والتباعد بين المنصور بن بلكين والعزيز بالله العبيدى لكن العبيديين لم يظهروا غضبهم على المنصور الزيرى حفاظا على ولائه الاسمى وآثر العزيز بالله العبيدى ثم ابنه الحاكم بأمر الله — من بعده — التودد الى المنصور بن بلكين وعدم مجاهرته بالعداء (٢٣) .

---

(١٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢٠) النويرى : المصدر السابق ، جـ ٢٤ ، ص ١٧٩ .

(٢١) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٤٣ .

(٢٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٦٧ والنويرى : المصدر السابق ، جـ ٢٤ ص ١٨٤ وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .

(٢٣) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

بينما أدى قتل عبد الله بن محمد الكاتب البغيض الى نفوس المالكية حتى لقبوه بالمحتال الى التقارب بين المنصور بن بلكين وأهل السنة سيما وأن يوسف بن أبى محمد عامل افريقية الجديد من قبل ابن بلكين — والـذى كان يسمى شيخ الورد لتعلقه الشديد بالورد — لم يكن منكبا عـلى الحكم فترك تدبير أمور افريقية لابن البونى الذى يبدو أنه أحسن السياسة وضبط الأمور حتى كان أهل الحاضرة معه فى أمن وعافية (٣٤) فزاد تقدير أهل القيروان للمنصور بن بلكين حتى أنهم خرجوا للقائه فى جموع غفيرة حينما قدم الى المنصورية القريبة من مدينتهم سنة ٣٨١ هـ فأدناهم وأثنى عليهم ووعدهم خيرا ثم أخذ فى التضييق على الشيعة حتى أنه لما رفع اليه أن عبدا من عبيده سب بعض الصحابة — رضوان الله عليهم — أمر بقتله وصلب جثته والمناداة على رأسه بالقيروان (٣٥) .

أدت سياسة المنصور عبد الله بن بلكين — فيما يبدو — الى هـدوء الصراع المذهبى بين الشيعة والمالكية فلم توجد فى عصره مصادمات عنيفة بين الفريقين حتى أن المالكية التى كانت المحنة قد وحدت بين صـفوفها فى مواجهة الشيعة فلما هدأت حدة المواجهة معهم أنشغل المالكية بالجدل فيما بينهم حول مسائل كلامية مثل مسألة الايمان التى كانوا يعدونها بدعة أتى بها أبو الحسن بن الزيات من العراق وألقى بها فى القيروان ، ومع ذلك اختلف حولها كثير من فقهاء القيروان ومشيختها وتفاقم الأمر حتى اختلف فقيهان كبيران من كبار مشيخة القيروان وزعمائها هما أبى محمد بن أبى زيد وأبى محمد بن التبان (٣٦) .

لكن علاقة الزيديين بأهل السنة عادت الى التكدر فى امارة باديس بن عبد الله المنصور ، فقد حدث فى المهدية أن اعتدى نصرانى ابن أخ لواحد من خاصة الأمير باديس على صبية من الاشراف فافتضها ، فلما سمعت العامة بذلك ثاروا وقتلوا ذلك النصرانى فعظم على باديس ثورة العامة وتحديهم لسلطته فأرسل الى المهدية عسكرا لتأديبهم وأمر قائدهم بقتل كل من رفع السيف فى تلك الحادثة . فسخط شيخ المالكية وزعيمها حينئذ أبو الحسن

---

(٣٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ .

(٣٥) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ .

(٣٦) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٥٢٣ ، ص ٥٣٦ .

على القابسي على باديس لما أقدم عليه من اضطهاد العامة بسبب ذلك النصراني الذي اغتصب فتاة مسلمة ، وخاف باديس من سورة غضب الشيخ القابسي لنفوذه في الناس فوجه باديس كبار رجاله لاسترضاء القابسي ، فلما دق رجال باديس باب الشيخ القابسي لم يأذن لهم بالدخول في داره وانما أمرهم بالذهاب الى الجامع وانتظار العلماء هناك ووجه أبو الحسن القابسي في طلب أصحابه من شيوخ المالكية مثل أبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي والخواص وابن الاجدابي وغيرهم وأملى عليهم رسالة عرض فيها بباديس وأمرهم أن يقرأها أحدهم ممن له صوت عال ، وفيها أعلن : « كيف يحل لمن اعتقد الاسلام أن يقوم في دم كافر اغتصب صبية من سلالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لو انطبقت السموات والارض من أجل هذا الفعل كان قليلا » ، وأظهر القابسي بلهجته العنيفة قوة أهل السنة ملمحا بالوعيد لباديس حتى أن قواد باديس وكبار رجاله قالوا لبعضهم لما سمعوا ذلك : والله ما السلطان الا هذا الشيخ (٣٧) .

وزاد من سخط أهل القيروان على أبي مناد باديس انصياعه لأمر العزيز بالله العبيدي اياه بارسال القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم الى مصر على غير رغبة القاضي وقد خشي باديس أن يحول أهل القيروان دون اخراج القاضي ابن هاشم الى مصر فأرسل جماعة من رجال دولته الى منزل القاضي فحملوه قهرا رغم مرضه الى رقاده ليمضوا به منها الى مصر لكن مجيء الاخبار بوفاة العزيز بالله جعلت باديس يتراجع في قراره ويعيد القاضي ابن هاشم الى داره معظما مكرما (٣٨) ورغم ذلك فقد أثرت هذه الحادثة على علاقة أهل السنة بباديس وزادت ما بينهما من تباعد .

وتزعم المالكية في القيروان بعد وفاة أبي الحسن القابسي واحد من أصحابه هو أبو علي بن خلدون الذي « كانت العامة تتبعه وكان شديدا على أهل البدع والروافض مغريا بهم ، يستند منه أهل السنة الى ملجأ ووزر فضجر لذلك الشيعة حتى ضرب به شاعرهم المعروف بالباحجوري المثل فقال في شعره :

كأنما ذكرى الهوى عنده ذكرى ابن خلدون لدى الشيعة (٣٩) .

---

(٣٧) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٦٢٠ .
(٣٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٤٨ .
(٣٩) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٦٢٤ .

وفى تونس كان يتزعم أهلها فى مناوئة الشيعة وقتئذ شيخها أبو محمد محرز بن خلف المعروف بالعابد ، وكان محرز العابد يحرض أهل تونس على الفتك بالروافض وتطهير مدينة تونس منهم ، وكان يظهر مخالفته الشيعة فلا يؤذن بحى على خير العمل ويكبر على الميت أربع تكبيرات وغير ذلك مما يخالف مذهب الاسماعيلية وأوامرهم وكان العامل على تونس وقتئذ صقلى يتشدد فى تشيعه ويأمر الناس باتباع مذهب الشيعة فأرسل فى طلب محرز العابد ونبه عليه بعدم مخالفة أوامر السلطان ، فرد عليه الشيخ محرز العابد ردا خشنا وتركه وانصرف ولم يستطع العامل الصقلى أن يناله بشىء من الأذى (٣٠) كيلا يزيد من سخط الناس وغضبهم ، فتزايد تحريض الشيخ محرز العابد لأهل تونس على الثورة والفتك بالروافض حتى استجاب له أهل تونس وقاموا على الروافض وأوقعوا بهم مذبحة عظيمة حنق بسببها أبو مناد باديس بن المنصور حنقا شديدا على أهل السنة فى تونس وعزم على التوجه اليهم والانتقام منهم وتأديبهم على اجترائهم على الشيعة وتحديهم لسلطانه لولا أن عاجلته المنية فى سنة ٤٠٦ فتوفى مصابا بذبحة أتت عليه (٣١) بعد حكم دام عشرين عاما (٣٨٦ — ٤٠٥هـ / ٩٩٦ — ١٠١٦ م) .

ويرى البعض أن « ساعد أهل السنة بدأ يشتد نوعا ما فى أواخر عهد الأمير باديس بن المنصور الزيرى وأن المسئول عن ذلك هو الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله الذى شاء أن يقف من التيار الزيرى موقف المناضل فانتهز الزيريون هذه الظروف لمصلحتهم وظفروا بنوع من الحرية عن ذى قبل وليس أدل على ذلك من أن مربى ولى العهد أبا الحسن على بن أبى الرجال السنى المالكى المذهب قد عهد اليه بتربية الأمير الصغير » (٣٢) .

ويبدو أن ساعد أهل السنة قد اشتد فعلا فى أواخر أيام باديس بن المنصور على الرغم من موقفه المشار اليه ازاء أهل تونس ، ولا يدل على ذلك تعيين أبى الحسن على بن أبى الرجال مربيا للمعز بن باديس فحسب ،

---

(٣٠) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٧١٣ .

(٣١) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٣٢) حسن احمد محمود : محنة الشيعة بافريقية فى القرن الخامس الهجرى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة — ١٩٥٠ ، صص ٩٣ — ١٠٠

وانما يدل عليه أيضا تقرب أبى مناد باديس من فقهاء السنة حتى أنــه حضر جنازة أبى القاسم الحضرمى المعروف باللبيدى المتوفى سنة ٤٠٤ هـ ونوه اثر ذلك بولده وخلع عليه وأجلسه مقعد أبيه (٣٣) .

واذا كان ساعد أهل السنة قد اشتد فى أواخر أيام باديس بن المنصور فقد حدث فى أواخر أيامه أيضا أول خروج رسمى على طاعة العبيديين فى المغرب لكنه لم يكن من قبل باديس وانما كان من قبل عمه حماد بن بلكين الذى كان يحكم المغرب الأوسط نيابة عن أخيه المنصور بن بلكين ثم ابنه باديس بن المنصور من بعده ، ففى سنة ٤٠٥ هـ خلع حماد بن بلكين طاعة العبيديين (٣٤) ويبدو أن اقدامه على تلك الخطوة كان لأسباب سياسية بالدرجة الأولى أدى اليه التنافس القائم وقتئذ بين حماد وابن أخيه باديس، فيرى جلفين Golvin أن الدواعى السياسية قادت بنى زيرى وبنى حماد الى اتباع سياسة تضاد بينهما بحيث اذا أظهر أحد الجانبين الولاء للعبيديين فى مصر أظهر الآخر الميل الى أهل السنة والعداء للعبيديين ، لكن أهــل المغرب لم يتساقوا وراء أمرائهم فى تقلباتهم السياسية لأن أهل المغرب كانوا أصلا متمسكين بالسنة بغض النظر عن التقلبات الرسمية (٣٥) .

ولم يكتف حماد بن بلكين بالخروج على طاعة العبيديين وانما قرن ذلك بقتل الشيعة فى حاضرته (٣٦) وربما يكون ذلك هو الذى شجع أهل تونس على الاستجابة لتحريض شيخهم محرز العابد بالثورة على الروافض والفتك بهم مما جعل باديس بن المنصور يرى فى ثورة أهل تونس امتدادا للعصيان السياسى الذى بدأه عمه حماد فى المغرب الأوسط والذى كان خروجه على العبيديين ينسحب ضمنا على علاقته بابن أخيه باديس فخشى باديس أن يستشرى الخروج على سلطانه فعزم على البطش بأهل تونس والتصدى لعمه حماد لكنه توفى تاركا المشكلة لابنه ووريثه المعز الــذى دخل فى حرب طويلة مع عم أبيه حماد بن بلكين توقفت بالصلح بينهما

---

(٣٣) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٧٠٨ .

(٣٤) عبد الحليم عويس ، دولة بنى حماد ، ص ١٦٧ .

(٣٥) Golvin; le Magrib Central à L'epoque des Zirides. Recherches d'archealzie et d'histoire p. 140.

(٣٦) محمد ولد داده ، مفهوم الملك فى المغرب ، ص ٩٣ .

فى سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧ م على أن يتمتع حماد بن بلكين باستقلال ذاتى فى المغرب الأوسط مع الحفاظ على تبعيته الاسمية لحفيد أخيه المعز بن باديس (٣٧) •

لقد كان التقارب بين أهل السنة وبين فرعى بنى زيرى مرتهنا بالدواعى السياسية لكن هذا التقارب سيجد داعيا مذهبيا فى امارة المعز بن باديس مما سينقله نقلة خطيرة ويفسح المجال لانتصار السنة فى المغرب •

محنة الشيعة بافريقية وانحسار التشيع عن بلاد المغرب :

تولى المعز بن باديس امارة بنى زيرى سنة ٤٠٦ هـ بعد وفاة أبيه أبى مناد باديس ، وشهدت امارته تطورات خطيرة فى موقف بنى زيرى من التشيع والصراع المذهبى بين الشيعة وأهل السنة انتهى بها الأمر الى محنة الشيعة فى افريقية وانحسار المذهب الشيعى عن بلاد المغرب •

ويمكن القول ان هذا التحول الخطير لم يأت من فراغ وانما أعد له أهل السنة أعدادا جيدا وذكيا فقد كانوا رغم تكفيرهم الشيعة يقبلون تعليم أولادهم لا خوفا منهم ولا طمعا فى صلاتهم ولكن ليبثوا فى نفوس صغار أبناء الشيعة حب السنة والعمل بها وكراهية التشيع والنفور منه ، مثال ذلك ما كان يقوم به أبو اسحاق الجبنيانى الذى كان يتعلم عنده جماعة من أولاد الكتاميين الشيعة ولا يأخذ منهم صلة جزاء ذلك فخرج كل كتامى تلقى العلم على أبى اسحاق الجبنيانى عاملا بالسنة محبا لأهلها (٣٨) • كما كان أبو بكر يحى بن خلفون الهوارى المؤدب يعلم فى كتابه أبناء الشيعة وكان من بينهم ابن لعامل مدينته الشيعى لكن أبا بكر ابن خلفون كان يلقنه مع سائر أبناء الشيعة الذين يتعلمون عليه حب السنة والعمل بها حتى أنهم شاركوه فى ضرب مشرقى (شيعى) كان يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما (٣٩) • كذلك فقد تلقى المعز بن باديس نفسه العلم

---

(٣٧) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٤٣ •

(٣٨) عياض : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٥١٦ •

(٣٩) المالكى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٢٥ •

على يد معلم مالكى هو أبى الحسن على بن أبى الرجال الذى قام بتأديب المعز على احترام شيوخ المالكية وتقديرهم والرغبة فى استرضائهم (٤٠) .

لم يفطن الشيعة الى حقيقة مشاعر الأمير المعز بن باديس ومدى تأثير معلمه أبى الحسن بن أبى الرجال فيه ، فقد كان أبو الحسن ينفذ خطته لغرس محبة السنة والمذهب المالكى فى نفس المعز بن باديس سرا فلم يعلم بذلك الشيعة ولا أهل القيروان (٤١) .

كان بنو زيرى منذ بداية حكمهم يطمحون الى الاستقلال بافريقية والمغرب عن العبيديين ولكنهم كانوا ينتظرون اللحظة المواتية للاقدام على هذه الخطوة الخطيرة التى لم تكن تقتصر على الاستقلال السياسى وانما يرتبط بها — بشكل أو بآخر — نوعا من الاستقلال المذهبى ، اذ كان بنو زيرى يدركون أن نجاحهم فى تحقيق رغبتهم الاستقلالية يتوقف على مساندة أهل المغرب لهم وخاصة أهل السنة المبغضين للعبيديين ، واذا كان المنصور بن بلكين من أكثر الزيريين ادراكا لهذه الحقيقة ، فان أباه بلكين — أول نائب زيرى للعبيديين على افريقية والمغرب — لم يكن أقل طموحا الى الاستقلال من ابنه ، وقد كشف بلكين بن زيرى عن طموحه هذا حينما جاءه خبر وفاة المعز لدين الله العبيدى فأخذ يرقص فرسه ويهز رمحه فى وجوه رجاله يمينا ويسارا وهو يصيح حتى أدرك مرافقه أنه

---

(٤٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٣ ، والقبال : المرجع السابق ، ص ٥٩٦ .

(٤١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص‌ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

— رأى استاذنا الدكتور حسن محمود فى قول ابن عذارى « والشيعة لا يعلمون ذلك » أن الشيعة كانوا لا يعلمون عن ابن ابى الرجال انه سنى المذهب فطوى النفس على المذهب الذى كان يعتنقه واخفاه لكننا اذا اكملنا قراءة عبارة ابن عذارى « والشيعة لا يعلمون ذلك ولا اهل القيروان » فهمنا ان ابن عذارى لا يقصد اخفاء ابى الحسن لمذهبه الذى لا يعقل اخفاءه عن اهل المذهبين وانما يقصد اخفاء خطته سيما وان الشيعة كانوا يعلمون اولادهم على معلمى المالكية مثل الجبنيانى والهوارى دون حاجة لاخفاء مذهبهم المالكى لان الشيعة لم يفطنوا الى خطورة تاثير معلمى المالكية على اولادهم .

وصل اليه خبرا سره وأغبطه فلما سأله عما يبهجه قال « بعدت مصر من المغرب وقد صار المغرب والله فى أيدينا الى دهر طويل » (٤٢) .

وقد سارت العلاقات بين العبيديين فى مصر وتوابهم الزيريين فى بلاد المغرب بين تباعد وتقارب على نحو ما أسلفنا ، وكان العبيديون يعملون على تقليص سلطان بنى زيرى فى المغرب وضمان تبعيتهم بتحريض كتامة عليهم بواسطة الدعاة كأبى الفهم الخراسانى . لكن فشل العبيديين فى أن يجعلوا من كتامة قوة مناوئة للزيريين برهن على عجزهم عن الحد من سيطرة بنى زيرى على بلاد المغرب أو تقليص نزعتهم الاستقلالية (٤٣) . لكن الفريقين ظلا يدارى كل منهما الآخر فيظهر الزيريون الولاء بارسال الهدايا وبالاستجابة لبعض أوامر العبيديين كطاعة باديس بن المنصور للعزيز بالله فى أمره بارسال القاضى محمد بن عبد الله بن هاشم الى مصر رغم استياء أهل القيروان من ذلك (٤٤) . ويظهر العبيديون الرضا عن طريق ارسال الخلع ومنح الألقاب حتى تولى المعز بن باديس بخلفيته السنية وتعليمه المالكى على يد معلمه أبى الحسن على بن أبى الرجال فى وقت كان العبيديون فى مصر يمرون فيه بفترة من فترات ضعفهم فى خلافة المستنصر بالله العبيدى ويعجزون عن ردع أى حركة استقلالية أو القضاء عليها فأقدم المعز بن باديس على تحقيق حلم بنى زيرى فى الاستقلال السياسى وتحقيق أمانى أهل السنة فى الانتصار على الشيعة والقضاء عليهم فى بلاد المغرب .

تولى المعز بن باديس الامارة وهو غلام صغير لا يزيد عمره على ثمانى سنوات فقط ، ولعله استوزر لأول ولايته استاذه ومربيه أبا الحسن على بن أبى الرجال فقد ذكر ابن عذارى أنه « ربى فى حجر وزيره أبى الحسن بن أبى الرجال » (٤٥) . ولعل صغر سن المعز وتقديره لاستاذه قد جعله يترك له تصريف أمور الدولة فكان وجود أبى الحسن بن أبى الرجال فى هذه المكانة الرفيعة مما شجع أهل السنة وأعلى من روحهم

---

(٤٢) المقريزى اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ .
(٤٣) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .
(٤٤) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ .
(٤٥) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ .

سيما وأنه « كانت أذن المعز بن باديس صاغية الى مذاهب أهل السنة وربما كانت شواهدها تظهر عليه » (٤٦) •

وكان زعيم أهل السنة بالقيروان يومئذ أبو على بن خلدون شديدا على الروافض مغريا بهم حتى ضرب به المثل فى ذلك على نحو ما أسلفناه فتحفز أهل القيروان للسير على خطى حماد بن بلكين واقتفاء أثر أهل تونس فى الفتك بالشيعة والقضاء عليهم • وجاءت اللحظة المواتية فى المحرم سنة ٤٠٧ هـ لأول ولاية المعز بن باديس يوم « خرج المعز فى بعض الأعياد » (٤٧) الى المصلى فى زينته وحشوده وهو غلام فكبا به فرسه فقال عند ذلك « أبو بكر وعمر » فسمعته الشيعة التى كانت فى عسكره فبادروا اليه ليقتلوه فجاء عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان ووضع السيف فى الشيعة فقتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف فسمى ذلك الموضع بركة الدم » (٤٨) •

وكان بمدينة القيروان قوم بحومة تعرف بدرب المعلى يتسترون بمذهب الشيعة من شرار الناس فانصرفت العامة اليهم من فورهم فقتلوا منهم خلقا كثير رجالا ونساء ، وانبسطت أيدى العامة على الشيعة وانتهبت دورهم وأموالهم وتفاقم الأمر وانتهى الى البلدان الكبرى فى أفريقية والمغرب فقتل منهم خلق كثير وقتل من لم يعرف مذهبه بالشبهة ، وحتى من لجأ الى المسجد ممن بقى منهم فى المهدية فقد قتلوا فيه عن آخرهم رجالا ونساء (٤٩) • وأظهر أهل السنة معتقداتهم وشعائرهم وقطعوا من الأذان حى على خير العمل (٥٠) •

---

(٤٦) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ص ٣٦ •

(٤٧) يذكر ابن خلدون ان المعز خرج لبعض مذاهبه بينما يذكر ابن عذارى انه خرج فى بعض الأعياد الى المصلى ، لكن عياض يذكر انه خرج يوم الجمعة منتصف المحرم يوم وصول المعز الى القيروان ، فلعل ابن عذارى يقصد بقوله بعض الأعياد يوم الجمعة المشار اليه وللجمعة حفاوة عند المسلمين أو لعله يقصد بالعيد الاحتفال بتنصيب المعز بن باديس •

(٤٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٤ •

(٤٩) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٦٨ والنويرى : المصدر السابق ، جـ ٢٤ ص ٢٠١ •

(٥٠) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٦٣ •

ويزيد القاضي عياض الأحداث توضيحا فيقول « ولما قتلت الرافضة سنة سبع وأربعمائة وكان ابتداء ذلك يوم الجمعة منتصف محرم فقتحتها وهو يوم كان وصول المعز بن باديس الى القيروان فيه بعد موت أبيه واستفتاح ولايته فقتلت العامة الرافضة أبرح قتل بالقيروان وحرقوهم وانتهبوا أموالهم وهدموا دورهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجروهم بالأرجل ، وقيل ان عامل القيروان منصور بن رشيق كان يمشي كأنه يسكن الناس وهو يشير على العامة وأفتق الأمر فلم يقدر السلطان على ضبطه وولى عاملا آخر فتعذر عليه سده وخرج الأمر عن القيروان الى المهدية وسائر بلادهم فقتلوا حيث وجدوا وأحرقوا بالنار ، فلم يترك أحدهم بمدن أفريقية وأعمالها الا من اختفى ، ولجأت الرافضة الى مساجد البادية فقتلوا فيها أبرح قتل وهدموا دار الامارة بالمنصورية، وتعدت العامة ذلك الى جماعة من أهل السنة غيرهم فلقد حكى أن العامة جاءت تتعلق برجل منهم اتهموه برأيه فمروا به على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به الى الفقيه أبي علي بن خلدون فنأخذ فيه بما يأمرنا به فقال لهم الشيخ العامي لم لا تقتلوه الآن فان كان رافضيا أصبتم وان كان سنيا عجلتم بروحه الى الجنة من الآن ... فانتقم الله منهم على أيدي عامة المسلمين وقتلوهم كل قتل » (٥١) .

لم يكن المعز بن باديس — أو من حوله من الشيعة — على استعداد لتقبل هذا التغيير المفاجيء أو تلك الثورة العارمة ، وأثبتت الأحداث التالية أن الشيعة لم تخسر كل سلطانها فقد أثاروا رعب المعز من ثورة العامة حتى دبر قتل عقلها المفكر وزعيم أهل السنة وقتئذ أبي علي بن خلدون « فلما كان يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة أتى عامل القيروان ومعه خيل ورجال فتقدم الى مسجد أبي علي بعد صلاة العصر وهو جالس عنده جماعة فطلع بعض رجالاته الى المسجد فقتلوا أبا محمد بن العرب جليسه وهم يظنونه أبا علي ، وخرجوا فلما عرفوا أنه ليس اياه رجعوا فقتلوا أبا علي ... وارتجت المدينة وثارت الصيحة من نواحي القيروان وتعدت الى المنصورية فنهبت الحوانيت وألقيت النار في الأسواق ونهبت أموال التجار . وأراد العامل

(٥١) ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ص ٦٢٥ — ٦٢٦ .

استرضاء الناس فجاء برجلين وقال انهما اللذان قتلاه فقتلهما ودفن أبو علي بالليل » (٥٣) .

وليس يبعيد أن نجد الدواعي السياسية وراء تشدد المعز بن باديس مع أهل السنة وقتل زعيمهم أبي علي بن خلدون رغم ميول المعز السنية فقد كانت الخلافات بينه وبين حماد بن بلكين وقتئذ على أشدها فأراد المعز بموالاته العبيديين تعضيد موقفه في مواجهة حماد الذي كان قد أقدم على خلع طاعة العبيديين وقتل من بدولته من الشيعة على نحو ما أسلفنا ، فحرص المعز بن باديس على اظهار ولائه للعبيديين بالاعتذار عما أحدثته العامة بالشيعة واستمرار الدعوة للتشيع ومهاداة العبيديين(٥٢) ولعل قتل أبي علي بن خلدون كان احدى الهدايا التي قدمها المعز بن باديس للعبيديين .

وعلى الرغم من الخسارة الفادحة التي منى بها أهل السنة بمقتل زعيمهم والعقل المدبر للانتفاضة الفقيه أبي علي بن خلدون فانهم خرجوا من انتفاضة عام ٤٠٧ هـ أعلى كلمة وأشد قوة بينما قل شأن الشيعة وهان أمرهم عن ذي قبل .

ولعل أخطر ما نجم عن قتل أبي علي بن خلدون هو افتقار الثقة المتبادل بين أهل السنة والمعز بن باديس ، فقد تشكك أهل القيروان في مالكية المعز واعتبروه طاغية وازوروا عنه حتى ظن أن المالكية يكفرونه فأرسل من يسأل الفقيه أبا بكر عبد الرحمن الخولاني : هل المعز عندك مسلم أو كافر ، فقال أبو بكر الخولاني لمن سأله قل له : تتتبع العلماء هذا التتبع وتستقصي عليهم ، والله لئن لم تتركني لأعرضنك على الله عز وجل ، فلم يعرض له المعز بعد ذلك بشيء (٥٤) . وقاطع الفقهاء المعز ورفضوا هداياه مثلما فعل الفقيه المالكي أبو بكر عتيق السوسي الذي بعث اليه المعز مالا ليشتري به دارا فرد أبو بكر مال المعز اليه (٥٥) .

---

(٥٢) عياض : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٢ .
(٥٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٦٣ .
(٥٤) الدباغ : معالم الايمان ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ .
(٥٥) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١٨١ .

وعلى الجانب الآخر ، فقد تشكك المعز أيضا فى موقف الفقهاء منــه وخشيهم على نفسه ، فما ان علم باجتماع الناس حول الفقيه محمد بن عبد الصمد وكثرة أتباعه حتى حذر منه وخاف منه على سلطانه فدبر الخلاص منه (٥٦) .

عكست الثقة المفقودة بين المعز بن باديس وأهل السنة ظلها الثقيل على الصراع المذهبى فى بلاد المغرب خاصة وأن المعز بن باديس كان يومئذ يقدم مصلحته السياسية على ميوله المذهبية فتجمد الى حين التحول الرسمى لبنى زيرى عن المذهب الشيعى لكن انتفاضة أهل السنة سنة ٤٠٧ هـ كانت فاتحة سلسلة من الانتفاضات التى توالت فى امارة المعز ابن باديس ففى سنة ٤٠٩ / ١٠١٨ م وقعت بالرافضــة مقتلة باغاية كان ممن قتل فيها ميمون بن عبد الله الهوارى الذى كان من مسالمة تونس متشيعا شديد الصلف مباينا للخاصة والعامة فى ذلك (٥٧) .

وفى سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م أيضا خرجت طائفة من الشيعة نحو مائتى فارس بأسرهم يريدون المهدية للركوب منها الى صقلية وخرجت معهم الخيل لحراستهم ، فلما وصلوا الى قرية كامل وباتوا بهــا تنافر أهل المنازل عليهم فقتلوهم وانتهكوا حرمات نسائهم (٥٨) وفى ســنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م وقعت فى القيروان بين الجند والعامة فتنة قتل فيها من العامة نحو المائتين (٥٩) .

ويبدو أن تصالح المعز بن باديس مع حماد بن بلكين قد أوجــد حلا لمشكلة المعز السياسية فلم يعد فى احتياج لتعضيد العبيديين الذين انشغلوا وقتئذ بمشاكلهم الداخلية وبالأحداث فى جبهتهم الشرقية عن الاهتمام بشئون المغرب مما فت فى عضد الشيعة بالمغرب ، كما أن اكثار المعز من العبيد والاعتماد عليهم أضعف من شأن شيعة صنهاجة كما ضعف

---

(٥٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .
(٥٧) القيروانى : أنموذج الزمان ، ص ٤١٩ .
(٥٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .
والفردبل : الفرق الاسلامية ص ٢٠٨ .
(٥٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٧٥ .

من قبل شأن شيعة كتامة منذ وقت طويل ، فضعفت بقايا الشيعة فى بلاد المغرب فى الوقت الذى اشتد فيه ساعد أهل السنة (٦٠) وبدأ المعز يستجيب لميوله السنية بعد أن ساءه أن يتهم فى مالكيته وأن يزور عنه فقهاء المالكية . ولعله أحس بخطورة عداء المالكية على مستقبله السياسى خاصة وأن الاسلام السنى لم يكن قاصرا على القيروان وغيرها من الحواضر وانما كان قريبا من قلوب كل سكان الأرياف ان لم يسكن فى سويدائها (٦١) فكان الطريق ممهدا أمام التحولات المذهبية والسياسية الرسمية التى فكر المعز بن باديس فى الاقدام عليها .

لكن المعز بن باديس كان ينتهج أسلوب التدرج فى هذه التحولات حتى يضمن نجاحها واحتواء ردود الفعل الداخلية والخارجية فى وقتها وقبل استفحالها ، لذلك أفسح المعز المجال فى أروقة القيروان لتدور فيها مناقشات حول القضاء على الشيعة ، وكان المعز يستطلع آراء الفقهاء المالكية وانطباعاتهم حول سياسته التدريجية ، فكلف من يسأل كل من أبى بكر الخولانى وأبى عمران الفاسى — وهما كبيرا مشيخة القيروان حينئذ — عن صحة الصلاة بثياب عليها طراز الشيعة فأجاب الخولانى فى شدة « هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة ، وأجاب الفاسى فى هدوء « انما يجب على من بسط الله يده أن يمنع ذلك » فجمع المعز بين الفقيهين فى مجلسه ، وأوضح الخولانى أن اجابته فيها معنى التنبيه على بقاء مظاهر أخطر من ذلك تعكس نفوذ العبيديين منها بقاء السكة والبنود على ما هى عليه ، ولكن المعز أوضح بأن السكة أبقيت لمصلحة الحجاج والمسافرين وأن ذلك لا ينفى ميله الى السنة الذى يدل عليه أنه أمر بقتل الشيعة واضطهادهم وتأييد السنة لكن أبا عمران الفاسى أيد كلام الخولانى فى ضرورة محو بقية مظاهر التشيع وسأل الأمير لم لم يكتب بمنع ذلك ؟ (٦٢) .

يبدو أن هذا النقاش قد حدث قبل وفاة أبى عمران الفاسى سنة ٤٣٠ هـ وقبل اضطهاد للشيعة بموافقة الأمير المعز كما يستبين من حديثه

---

(٦٠) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ص ٩٣ — ١٠٠ .
(٦١) الفرديل : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
(٦٢) موسى لقبال : المرجع السابق ص ٥٩٩ .

لكن المعز كان يميل الى التريث فى قطع علاقته بالعبيديين أو لعله كان مترددا خشية العواقب . غير أن ضعف المستنصر بالله العبيدى من ناحية ورغبة المعز فى تدعيم مكانته بين أهل السنة من ناحية أخرى جعله يظهر فى سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م الميل للدولة العباسية وورد عليه فى هذا العام عهد من القائم بأمر الله العباس (٦٣) دون أن يقطع علاقته بالعبيديين . ويبدو أن هذه الخطوة قد سبقها مراسلات بينه وبين العباسيين ، ومع ذلك لم يعلن المعز بن باديس عن قطع الخطبة لصاحب مصر وتحويلها للعباسيين الا فى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وأحرقت بنود العبيديين وأمر المعز بأن يدعى على منابر أفريقية للعباس بن عبد المطلب والخلفاء الراشدين الأربعة وبقية الصحابة العشرة الذين كانوا محل لعنة الشيعة العبيدية (٦٤) وأمر الخطيب بسب بنى عبيد فقال « اللهم والعن الفسقة الكفار المارقين الفجار أعداء الدين وأنصار الشيطان المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك المبدلين لكتابك ، اللهم والعنهم لعنا وبيلا واخزهم خزيا عريضا طويلا ، اللهم وان سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك والناصر لسنة نبيك والرافع

---

(٦٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٥ .

والفردبل : المرجع السابق ص ٢٠٩ .

ويجعل ابن ابى دينار (المؤنس ص ٨٣) هذه الخطوة سنة ٤٣٥ ، بينما يجعل النويرى (جـ ٢٤ ص ٢٠٩) بدء الدعوة للعباسيين فى سنة ٤٣٥ ، ويقدم كل من ابن ميسر (اخبار مصر جـ ٢ ص ٥) والعينى (عقد الجمان ، مخطوط وقف العينية ص ٢٤) تفصيلا لتلك الخطوة هو أن المعز بن باديس ارسل رسولا الى القائم بالله العباسى يخبره بتحوله الى موالاة العباسيين فبعث اليه القائم بأمر الله العباسى رسولا يدعى أبو غالب الشيرازى ومعه العهد بالولاية واللواء الأسود والخلع فوقع ابو غالب فى ايدى قسطنطين صاحب الروم فارسله الى المستنصر فقام المستنصر بتجريسه واحراق العهد واللواء والخلع فى ساحة بين القصرين بينما جمع القائم فى بغداد الأشراف والقضاة والفقهاء والمقدمين وكتبوا محضرا بالطعن فى نسب المستنصر .

(٦٤) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٧٧ وموسى لقبال : المرجع السابق ص ٦٠٣ .

للواء أوليائك يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك مدافعا لمن غير الدين وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين « يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » ، وأمر الأمير أبو تميم المعز بن باديس للخطيب أن يسبهم على منبر القيروان بأشنع من هذا السب فلما كان فى الجمعة الأخرى أبلغ فى ذلك بما فيه شفاء لنفوس المؤمنين » (٦٥) .

أرضى هذا السب للشيعة ضمائر أهل السنة وشفى نفوسهم ووافق مذهبهم فى تكفير الشيعة فقد كانوا لا يقبلون القول بغير ذلك حتى أن الفقيه أبا اسحاق التونسى لما أفتى بتصنيفهم الى صنفين وقال انهم على ضربين أحدهما كافر مباح الدم والآخر يقول بتفضيل على بن أبى طالب على سائر الصحابة وهؤلاء لا يلزمهم الكفر ولا تبطل نكاحاتهم ، فلم تعجب هذه الفتوى غيره من فقهاء المالكية ، يقول عياض « وشاعت فتواه فأنكرها فقهاء افريقية بالقيروان وغيرها وكانوا من التشدد على هذه الفئة المارقة وكل من يتعلق بهم حيث كانوا والعامة أشد من ذلك لاسيما بظهورهم عليهم وبغضبهم فيهم وأرسلوا الى أبى اسحاق فى معاودة النظر وأن يرجع فأبى اباء شديدا ... وانتهت القصة الى السلطان المعز فجمعهم بعض الجمع عنده فى المقصورة وناظروه فأظهر الانابة الى قولهم والرجوع اليهم ثم خلا بأصحابه فأنكروا عليه رجوعه عن قولهم وأنه الحق الذى لا يجب سواه . وكان رأى الفقهاء سد هذا الباب للعامة على الكفرة وأن بنى عبيد زنادقة وان الداخل فى دعوتهم وان لم يقل بقولهم كافر لتوليهم الكفرة، فأظهر أبو اسحاق التمادى على قوله وانكار الرجوع عنه ومشى الناس فى هذا بعضهم الى بعض وامتزج منه القيام لله عز وجل فى ذلك بالشهوة من العصبية للغلبة ، واجتمعت الفقهاء فى ذلك واتهم مكاتبات علماء الجهات بانكار ذلك وأن المتقمين بهذه المقالة الخبيثة من المصريين والشاميين قد استحسنوا جوابه ونهضوا ليفتوا الناس به وسر به من فى قلبه مرض واحتج به فأطلق الفقهاء الفتيا عليه بمقالته هذه بالتضليل والتبديع وقال فيها الشعراء قصائد كثيرة تضمنت ايذاء أبى اسحاق والتبرؤ منه وأنشدها الشعراء والطلبة عند الفقهاء غيره فى دورهم وجموعهم وأطلقوا فيها عليه ، وأمر السلطان بسجل أنشىء فى القصة من التبرؤ من قوله وأمر بقراءته يوم

---

(٦٥) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٧٨ والعينى : المصدر السابق ص ٣٨ .

جمعة على المنبر قبل الصلاة مستهل صفر عام ثمان وثلاثين (٦٦) ثم أمر السلطان باحضاره فى ذلك اليوم أثر الصلاة وأحضر معه الفقيه اللبيدى فى بقية مشيخة الفقهاء وكبارهم والفقيه أبا الحسن بن المغربى والقاضى أبا بكر بن محمد بن أبى زيد خاصة من بين سائر الفقهاء ، وكان هذان الفقيهان من أشد الناس وحكم فى المسألة اللبيدى فحكم بأن يقر بالتوبة على المنبر بمشهد جميع الناس وأن يقول كنت ضالا فيما رأيته ونطقت به ثم رجعت عن ذلك الى مذهب الجماعة فكانوا على ذلك ولكنه استعظم ذلك على المنبر وقال ها أنا أقول هذا بينكم فساعدوه وقنعوا منه بقول ذلك بحضرة السلطان والجماعة وأن يقوله فى مجلسه ويشيعه عن نفسه فافترقوا على ذلك وجعلت على الشيخ من ذلك غضاضه فخرج فى صبيحة يومه متوجها للمنستير للرباط مستكنا لقضيته ومنسيا لها فتغيب شخصه » (٦٧) .

ثم تلاحقت الخطوات لاستكمال الانفصال عن العبيديين ، ففى شعبان سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م أمر المعز بن باديس تبديل السكة فنقش على أحد وجهيها « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » ونقش على الوجه الآخر « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، وضرب منها دنانير كثيرة وأمر بسك ما عنده من الدنانير التى عليها أسماء بنى عبيد فسبكت ، وكانت أموالا عظيمة ثم بث فى الناس قطع سكتهم وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله وقد كان قطع أسماءهم من الرايات والبنود (٦٨) .

وفى شوال من نفس سنة ٤٤١ هـ أمر أبو تميم المعز بن باديس بأن ينادى انه من تصرف بمال عليه أسماء بنى عبيد نالته العقوبة الشديدة وأحدث هذا الأمر اضطرابا فى الأحوال المالية فضاقت الحال بالفقراء والضعفاء وغلت الأسعار بالقيروان (٦٩) .

---

(٦٦) يسبق هذا التاريخ الذى ذكره عياض التاريخ الذى حدده ابن عذارى لقطع المعز بن باديس الخطبة للعبيديين وسبهم على المنابر فى سنة ٤٤٠ هـ .

(٦٧) ترتيب المدارك : جـ ٤ ، ص ص ٧٦٧ — ٧٦٨ .

(٦٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

(٦٩) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ .

ثم جاءت فى سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م الخطوة الأخيرة فى الانفصال الرسمى عن العبيدين ، ففى جمادى الثانية من هذه السنة أمر المعز بن باديس باحضار جماعة من الصباغين وأخرج لهم ثيابا بيضا من فندق الكتان وأمرهم أن يصبغوها سودا فصبغوها بأحلك السواد وجمع الخياطين فقطعوها أثوابا وكساهم ذلك السواد ونزلوا بأجمعهم وركب السلطان (٧٠) بعدهم حتى وصل الى جامع القيروان ، ثم صعد الخطيب المنبر وخطب خطبة أتى فيها على جميع الأمر بأجزل لفظ وأحسن معنى ثم دعا لأبى جعفر عبد الله القائم بأمر الله العباسى ودعا للسلطان المعز بن باديس ولولده أبى الظاهر تميم ولى عهده من بعده ثم أخزى بنى عبيد الشيعة ولعنهم (٧١) .

ولما كان المغرب الأقصى قد خرج على التشيع فعليا منذ انتقال العبيديين الى مصر وأصبحت اليد الطولى للقوى المعادية للعبيديين الموالين للأمويين فى الأندلس ، وكان المغرب الأوسط قد تخلص من الشيعة حين خرج حماد بن بلكين على طاعة العبيديين فى سنة ٤٠٥ هـ ودعوته لآل العباس (٧٢) ، أما طرابلس فقد قام أهلوها بقتل الشيعة عندهم عقب مذبحتهم فى القيروان سنة ٤٠٧ هـ وكان المحرض لهم على قتل الشيعة فى طرابلس الفقيه المالكى أبو الحسن على بن محمد بن التمر الطرابلسى الذى قطع الأذان بحى على العمل وأذن بنفسه فى ذلك اليوم بأذان أهل السنة وأعاد للناس بطرابلس صلاة القيام بعد أن كان بنو عبيد قد محوها ، وقدم أبا مسلم موسى بن فرج فصلاها بالجامع الأعظم بطرابلس لأول مرة فلم تكن قد صليت فيه من

---

(٧٠) يبدو أن المعز بن باديس اتخذ لقب السلطان دلالة على تحوله الى المذهب السنى ، وهذا يعطى فهما جديدا للقب السلطان الذى كان يتخذه بعض حكام المسلمين المستقلين الموالين اسميا للعباسيين .

(انظر كتابنا : دراسات فى نظم الحكم الاسلامية ، الفصل الخاص بنشأة السلطنة) .

(٧١) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٢٨ وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ وحسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، جـ ١ ص ١٧٣ .

(٧٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١٧١ .

قبل لانه من بناء العبيديين (٧٣) • وأطلق الفقيه ابن النمر الطرابلسي للناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن أحد من الناس يصليها أيام بنى عبيد الا مستخفيا فان ظهروا عليه قتلوه (٧٤) •

أما برقة — ونظرا لقربها من مصر — فقد تأخرت فى خلع طاعة العبيديين حتى سنة ٤٤٣ هـ ، ففى هذه السنة دعا أهل برقة للقائم بأمر الله العباسى ولعنوا العبيديين وأحرقوا المنابر التى كان يدعى لهم عليها وأحرقوا راياتهم وتبرءوا منهم ووصل كتاب من الأمير جبارة بن مختار العربى من برقة بالسمع والطاعة للمعز بن باديس (٧٥) •

على هذا النحو عم الخروج على طاعة العبيديين بلاد المغرب كله من برقة حتى المحيط ، وعلى حد قد الدباغ ، قام كل شيخ على من ببلده من غير أن يكون هناك اتفاق منهم على ذلك (٧٦) وبذلك تم الانفصال عن العبيديين سياسيا ومذهبيا ، رسميا وشعبيا ، وانحسر التشيع عن بلاد المغرب الا فى بعض الجيوب الصغيرة المنعزلة أو بعض من يخفون تشيعهم ولم يعد للتشيع أى سلطان مذهبى أو سياسى على الاطلاق وعاد المغرب سنيا قلبا وقالبا من الناحية الشعبية والناحية الرسمية على حد سواء •

---

(٧٣) ابو العزم : المرجع السابق ، ص ٢١٩ •
(٧٤) نفس المرجع ، ص ٢٢٠ •
(٧٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٨٨ •
وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ •
(٧٦) معالم الايمان ، جـ ٣ ، ص‌ص ١٥٤ — ١٥٥ •

مصادر ومراجع البحث

(أ) مصـــادر :

١ ــ ابن الآبار : ابو عبد الله محمد القضاعي .
ــ الحلة السيراء ، جـ ١ تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ .

١ ــ ابن ابى زرع : ابو الحسن بن عبد الله الفاسى .
ــ الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ١٩٣٦ .

٣ ــ ابن الأثير : على بن احمد بن أبى الكرم :
ــ الكامل فى التاريخ ، بيروت / ١٩٦٥ .

٤ ــ ادريس : الداعى المطلق الاسماعيلى عماد الدين :
ــ عيون الأخبار وفنون الآثار فى فضائل الائمة الأطهار ، سبع ٤ ، سبع ٥ ، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت / ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ .
ــ تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، سبع ٥ وبعض سبع ٦ ، بتحقيق محمد اليعلاوى .

٥ ــ الاشعرى : ابو الحسن على بن اسماعيل :
ــ مقالات الاسلاميين ، نشر هلموت ريتر / الطبعة الثالثة .

٦ ــ الاصطخرى : ابراهيم بن محمد الفارسى الكرخى :
ــ المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، القاهرة / ١٩٦١ .

٧ ــ الأصفهانى :
ــ مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد احمد صقر ، القاهرة / ١٩٤٩ .

٨ ــ باعلوى : محمد بن ابى بكر العلوى الحسينى :
ــ المشرع الروى فى مناقب السادة الكرام آل ابى علوى ، القاهرة / ١٩٨٢ .

٩ ــ ابن بسام : ابو الحسن على الشنترينى :
ــ الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت / ١٩٧٩ .

١٠ ــ البغدادى : عبد القادر بن طاهر :
ــ الفرق بين الفرق ، القاهرة / ١٩١٠ ، بيروت / ١٩٨٨ .

١١ــ البكرى : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز :
ــ المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ، نشر دى سلان ، الجزائر / ١٨٥٧ .

١٢ــ البهروجى : الداعى حسن بن نوح الهندى :
ــ كتاب الازهار ومجمع الانوار الملقوطة من بساتين الأسرار مجامع الفواكه الروحانية الثمار ، ج ١ ، تحقيق عادل العوا (ضمن منتخبات اسماعيلية) ، دمشق / ١٩٥٨ .

١٣ ــ ابن تغرى بردى : جمال الدين ابو المحاسن :
ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة / ١٩٢٩ .

١٤ــ الجزنائى :
ــ زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ، الجزائر / ١٩٢٢ .

١٥ــ الجوذرى : ابو على منصور العزيزى :
ــ سيرة الاستاذ جوذر ، تحقيق محمد كامل حسين ، ومحمد عبد الهادى شعيرة ، القاهرة / ١٩٥٤ .

١٦ــ ابن الجوزى :
ــ المنتظم ، جـ ٧ ، حيدر آباد الدكن / ١٣٥٨ هـ .

١٧ــ جعفر بن منصور اليمن :
ــ اسرار النطقاء ، (ضمن المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية) ، نشر ايفانوف ، كلكت / ١٩٤٢ .

١٨ــ جعفر الحاجب :
ــ سيرة جعفر الحاجب .

١٩ــ ابن حزم :
ــ جمهرة انساب العرب .

٢٠ــ الحسنى : احمد بن على :
ــ عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب ، بمباى / ١٣١٨ هـ

٢١ — ابن حسين : الشريف عبد الرحمن بن محمد :
— شمس الظهيرة ، الضاحية المنيرة فى نسب اهل البيت من بنى علوى وفرع فاطمة الزهراء وامير المؤمنين على رضى الله عنه ، تحقيق النسابة محمد ضياء شهاب ، جدة / ١٩٨٤ .

٢٢ — الحسينى : الشريف تاج الدين نقيب حلب :
— غاية الاختصار فى البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، النجف الاشرف / ١٩٦٢ .

٢٣ — ابن حماد : ابو عبد الله محمد بن على الصنهاجي :
— اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ، الرياض / ١٩٨١ .

٢٤ — الحمادى : محمد بن مالك بن ابى الفضائل اليمانى :
— كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، القاهرة / ١٩٥٥ .

٢٥— الحميرى : محمد بن عبد المنعم :
— الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت / ١٩٧٥ .

٢٦— ابن حوقل : أبو القاسم النصيبى :
— صورة الأرض ، ليدن / ١٩٧٩ .

٢٧ — الخشنى : محمد بن حارث بن أسد :
— طبقات علماء افريقية ، تحقيق محمد بن شناب ، بيروت / ب.ت

٢٨— خطاب بن الحسن :
— غاية المواليد ، (ضمن منتخبات اسماعيلية) ، نشر ايفانوف ، كلكتا / ١٩٤٢ .

٢٩— ابن الخطيب :
— اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاقلام من ملوك الاسلام ، القسم الثالث ، الدار البيضاء / ١٩٦٤ .

٣٠— ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد :
— العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، بيروت / ١٩٧١ .

٣١— الدباغ : ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصارى :
— معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان ، جـ ١ ، تحقيق ابراهيم شبوح ومحمد الاحمدى ابو النور ، جـ ٢ ، تحقيق محمد الاحمدى ابو النور ومحمد ماضور ، القاهرة / ١٩٦٨ .

٣٢— الداووارى : ابن ايبك :
الدرة المضية فى تاريخ الدولة الفاطمية ، (الجزء السادس من كنز الدرر وجامع الغرر) تحقيق صلاح الدين المنجد القاهرة/١٩٦١ م .

٣٣— الــرازى :
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة/١٩٧٨ .

٣٤— الرصاص : احمد بن الحسن :
مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم ، نشر محمد عبد الســلام كفافى ، بيروت/١٩٧١ .

٣٥— الرقيق القيروانى :
تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، تونس/١٩٦٨ .

٣٦— ابو زكريا : يحيى بن أبى بكر :
سير الائمة واخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربى ، الجزائر/١٩٧٩ .

٣٧— السجلات المستنصرية :
تحقيق عبد المنعم ماجد ، القاهرة/١٩٥٤ .

٣٨— السراج : محمد بن محمد الاندلسى :
الحلل السندسية فى الاخبار التونسية ،
تحقيق محمد الحبيب الهيلة بيروت/١٩٨٥ .

٣٩— ابن سعيد الاندلسى :
— النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ،
تحقيق حسين نصار القاهرة/١٩٧٠ .
— الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت/١٩٧٠ .

٤١— الشهرستانى : ابو الفتح محمد بن عبد الكريم احمد :
الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، القاهرة/١٩٦٨ .

٤٠— السلاوى : احمد بن عى الناصرم :
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، الدار البيضاء/١٩٥٤ .

٤٢— الشيرازى : صدر الدين على خان المدنى :
الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة ، النجف الاشرف/١٩٦٢ .

٤٣— الشيرازى : هبة الله المؤيد فى الدين :
المجالس المؤيدية ، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت/ب.ت .

٤٤— الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير :
تاريخ الرسل والملوك .
— تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم .

٤٥— ابن ظافر : جمال الدين على
أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق أندريه فريد ، القاهرة/١٩٧٢ .

٤٦— عطا ملك الجوينى :
تاريخ جهانكشاى (الجزء الملحق بكتاب الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد جمال الدين) .

٤٧— ابن عذارى المراكشى :
البيان المغرب فى اخبار الاندلس المغرب ، جـ ١ ،
تحقيق كولان وليفى بروفنسال ، بيروت/١٩٨٠ .

٤٨— عريب بن سعد :
تكملة تاريخ الطبرى .

٤٩— ابو العرب : محمد بن احمد بن تميم القيروانى :
طبقات علماء افريقية وتونس ،
تحقيق على الشابى ونعيم اليافى تونس/١٩٦٨ .
— ونسخة اخرى نشرها محمد بن شنب ضمن طبقات علماء افريقية بيروت/ب.ت .

٥٠— ابن عطية : القاضى ابو محمد عبد الحق المحارى الاندلسى :
فهرس ابن عطية ، تحقيق محمد أبو الاجفان ومحمد الزهرانى بيروت / ١٩٨٣ .

٥١— العلوى : يحيى بن حمزه (من ائمة الزيدية) :
الافحام لافئدة الباطنية الطغام ،
تحقيق فيصل بدير عون الاسكندرية/١٩٧١ .

٥٢ــ **عياض : القاضي عياض بن موسى السبتي :**
ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،
تحقيق احمد بكر محمود بيروت/ب.ت .
وطبعة اخرى ، تحقيق محمد بن شريفه ، المغرب/ب.ت .

٥٣ــ **الغزالي : الامام ابو حامد :**
فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ،
تحقيق عبد الرحمن بدوي القاهرة/١٩٦٤ .

٥٤ــ **ابو الفــــدا :**
تاريخ ابي الفــدا .

٥٥ــ **ابو فراس : الداعي شهاب الدين (اسماعيل نزاري) :**
كتاب الايضاح ، تحقيق عارف تامر ، بيروت/١٩٦٥ .

٥٦ــ **ابن فرحون : القاضي برهان الدين ابراهيم المالكي :**
الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ،
تحقيق محمد الاحمدي ابو النور ، القاهرة/١٩٧٤ .

٥٧ــ **ابن فضل الله العمري : شهاب الدين احمد بن يحيى :**
مسالك الابصار في ممالك الامصار .
ــ السفر الخامس ، مصوره عن خطية رقم ٢٤١٨ آيا صوفيا السليمانية استــانبول .
ــ السفر السادس مصوره عن خطية رقم ٢٠٣٧ لالي‌لي السليمانية . استانبول (مصــــورات معهد العلــوم العــربية والاســــلامية ، فرانكفورت/١٩٨٨) .

٥٨ــ **ابن القاضي : احمد المكناسي :**
جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس ، الرباط/١٩٧٤ .

٥٩ــ **ابن قرة : ثابت بن سنان الصابيء :**
تاريخ اخبار القرامطة ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت/١٩٧١ .

٦٠ــ **المــالكي :**
ريــاض النفوس .
ــ ج ١ تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة/١٩٥١ .
ــ طبعة كاملة بتحقيق بشير البكوش ، بيروت/١٩٨٣ .

٦١— مجهول :(داعى اسماعيل)
كتاب التراتيب (ضمن أخبار القرامطة) ،
تحقيق سهيل زكار — دمشق/١٩٨٢ .

٦٢— مجهــول :
الاستبصار فى عجائب الامصار ،
تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية/١٩٨٤ .

٦٣— مجهــول :
رسالة فى نسب الخلفاء الفاطميين ، نشرها حسـين بن فضـل الله الهمـدانى .

٦٤— المخزومى : الشريف عبد الله :
صحاح الاخبار فى نسب السادة الفاطمية الاخيار ، القاهرة/١٣٠٦هـ

٦٥— المقدسى : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد البصرى :
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليدن/١٩٠٦ .

٦٦— المقريزى : تقى الدين :
— اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا .
— المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
— المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية ، بتحقيق محمد اليعلاوى) بيروت/١٩٨٧ .

٦٧— المؤيدى : مجد الدين محمد بن منصور الحسنى :
التحف شرح الزلف ، الطبعة الاولى/١٣٨٩هـ .

٦٨— ابن النديم : محمد بن اسحاق :
الفهـرست ، بيروت/١٩٧٨ .

٦٩— نظام الملك :
سياست نامه (سير الملوك) ،
ترجمة يوسف حسين بكار الدوحة/١٩٨٧ .

٧٠— النعمان : القاضى بن حيون المغربى :
— افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوى ، تونس .
— المجالس والمسايرات .

٧١ـ النوبختي : ابو محمد الحسن بن موسى :
فرق الشيعة ، تحقيق هـ. ريتر ، النجف الاشرف/١٩٥٩ .

٧٢ـ النويرى : شهاب الدين :
نهاية الارب في فنون الادب ، جـ ٢٢ ،
تحقيق حسين نصار ، القاهرة/١٩٨٣ .

٧٣ـ النيسابورى : احمد بن ابراهيم :
استتار الامام ، نشر ايفانوف ، مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة .

٧٤ـ الهمدانى : قاضى القضاة عبد الجبار بن احمد :
تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، بيروت/١٩٦٦ .

٧٥ـ ابن الوزان : الحسن بن محمد المعروف بليو الافريقى :
وصــف افريقيــا ،
ترجمة عن الفرنسية محمد صبحى ومحمد الاخضر بيروت/١٩٨٣ .

٧٦ـ الونشريسى : احمد بن يحيى :
المعيار المغرب والجامع المقرب ، عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب بيروت/١٩٨١ .

٧٧ـ اليمانى : محمد بن محمد :
سيرة جعفر الحاجب ، نشر ايفانون مجلة كلية الآداب ــ جــامعة القاهرة .

ب ــ مراجع عربية ومعربة :

١ ــ ابراهيم احمد العدوى :
بلاد الجزائر ، تكوينها فى العصر الاسلامى ، القاهرة/١٩٧٠ .

٢ ــ احسان الهى ظهير :
الاسماعيلية ، تاريخ وعقائد ، لاهور/١٩٧٦ .

٣ ــ احمد بــدر :
هجرة الثقافة من المشرق الى المغرب فى القرن الثانى للهجرة (من محاضرات المؤتمر العالمى لتاريخ الحضارة العربية الاســلامية) دمشق/١٩٨١ ص ٧٥ ــ ٩٧ .

٤ ــ احمد بن عامر :
الدولة الصنهاجية ، تونس/١٩٧٢ .

٥ — احمد مختار العبادى :
— دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية/١٩٦٨ .
— فى التاريخ العباسى والفاطمى ، الاسكندرية/١٩٨٢ .

٦ — الاعظمى :
عبقرية الفاطميين .

٧ — أيمن فؤاد سيد :
الدولة الفاطمية فى مصر .

٨ — برنارد لويس :
أصول الاسماعيلية ، ترجمة خليل جلو وهاشم الرجب القاهرة/١٩٤٧ .

٩ — بل : الفرد :
الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ترجمة عبد الرحمن بدوى بيروت/١٩٨١ .

١٠— حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة/١٩٦٤ .

١١— حسن احمد محمود :
— الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا — ج ١ — القاهرة/١٩٦٣ .
— محنة الشيعة فى افريقية فى القرن الخامس الهجرى . مجلة آداب القاهرة/١٩٥٠ ص ٩٣ — ١٠٠ .

١٢— حسن حسنى عبد الوهاب :
ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، تونس/١٩٧٢ .

١٣— الحسن السائح :
الحضارة الاسلامية فى المغرب العربى ، تونس/١٩٦٨ .

١٤— الحبيب الجنحانى :
القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية فى المغرب العربى تونس/١٩٦٨ .

١٥— حسين بن فضل الله الهمدانى :
فى نسب الخلفاء الفاطميين (مقدمة) .

١٦ــ **حسين مؤنس :**
ــ معالم تاريخ المغرب والاندلس ، القاهرة/١٩٨٠ .

١٧ــ **رشيد بوزويبة :**
الجزائر فى عهد الفاطميين والزيريين ، (ضمن كتاب الجزائر فى المعهد الاسلامى ــ تعريب محمد بلقراد ص ١٣٣ ــ ١٩٨) الجزائر/١٩٨٤ .

١٨ــ **سعد زغلول عبد الحميد :**
تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية/١٩٧٦ .

١٩ــ **سهيل زكار :**
ــ اخبار القرامطة ، دمشق/١٩٨٢ .

ــ الفكر الاسماعيلى فى تطوره الافريقى (من كتاب ملتقى القاضى النعمان بالمهــدية) ص ٢٧ ــ ٤٣ ، تونس/١٩٧٧ .

٢٠ــ **السيد عبد العزيز سالم :**
تاريخ المغرب فى العصر الوسيط ، الاسكندرية/١٩٨٢ .

٢١ــ **شتروتمان :**
مادة الشيعة ــ دائرة المعارف الاسلامية .

٢٢ــ **صالح باجيه :**
الاباضية بالجريد فى العصور الاسلامية الاولى ، تونس/١٩٧٢ .

٢٣ــ **ابن ابى الضياف :**
اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس/١٩٦٣

٢٤ــ **الطاهر احمد الزاوى :**
تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ليبيا/١٩٦٩ .

٢٥ــ **عادله على الحمد :**
قيام الدولة الفاطمية فى بلاد افريقية والمغرب ، القاهرة/١٩٨٠ .

٢٦ــ **عبد الحليم عويس :**
دولة بنى حمـــاد ، بيروت/١٩٨٠ .

٢٧ــ **عبد الرحمن محمد الجيلالى :**
تاريخ الجزائر العام ، بيروت/١٩٨٠ .

٢٨— **عبد العزيز الدورى :**
مقدمة كتاب أصول الاسماعيلية .

٢٩— **عبد الله العروى :**
تاريخ المغرب العربى — محاولة فى التركيب ، ترجمة ذوقان قرقوط بيروت/١٩٧٠ .

٣٠— **عبد الله كنون :**
النبوغ المغربى فى الادب العربى ، بيروت/١٩٧٥ .

٣١— **عوض محمد خليفات :**
النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية فى شمال افريقية فى مرحلة الكتمان ، عمان/١٩٨٢ .

٣٢— **عبد المنعم ماجد :**
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، الاسكندرية/١٩٦٨ .

٣٣— **كامل مصطفى الشيبى :**
الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ، بغداد/١٩٦٦ .

٣٤— **مبارك محمد الميلى :**
تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، الجزائر/١٩٦٣ .

٣٥— **محمد جمال الدين سرور :**
— الدولة الفاطمية ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها القاهرة/١٩٧٠ .

٣٦— **محمد السعيد جمال الدين :**
دولة الاسماعيلية فى ايران ، القاهرة/١٩٧٥ .

٣٧— **محمد السيد ابو العزم :**
الاثر السياسى للمالكية فى شمال افريقية حتى قيام دولة المرابطين مكة المكرمة/١٩٨٥ .

٣٨— **محمد الطالبى :**
— الدولة الاغلبية ، ترجمة المنجى الصيادى ، بيروت/١٩٨٥ .
— دراسات فى تاريخ افريقية وفى الحضارة الاسلامية فى العصر الوسيط تونس/١٩٨٢ .

٣٩— **محمد عبد الله عنان :**
الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة/١٩٥٩ .

٤٠— **محمد كامل حسين :**
طائفة الاسماعيلية ، القاهرة/١٩٥٩ .

٤١— **محمد العروسي المطوى :**
سيرة القيروان ، سيرتها الدينية والثقافية في المغــرب الاســلامى تونس/١٩٨١ .

٤٢— **محمد ولد داده :**
مفهو الملك في المغرب ، بيروت/١٩٧٧ .

٤٣— **مصطفى غالب :**
— تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، سلمية/١٩٧٩ .
— الحركات الباطنية في الاسلام ، بيروت/ب.ت .

٤٤— **موسى لقبال :**
دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الجزائر/١٩٧٩ .

٤٥— **وداد القاضي :**
الشيعة البجلية في المغرب الاقصى (من اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب وحضارته) ج ١ ص ١٦٧ — ١٩٤ ، تونس/١٩٧٩ .

٤٦— **يوسف سليم الدبيسى**
أهل التوحيد « الدروز » ، لبنان/١٩٩٢ .

ج — مراجع اجنبية :

1. **GOLVIN;**
Le Magrib central à l'epouque des Zirides; Recherches d'archealagie et d'histoire.

2. **IVANOW, W;**
— Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Calcutta, 1942.
— The Alleged Founder of Ismailism, Bombay 1946.

فهرس الموضوعات

التشيع فى بلاد المغرب الاسـلامى

رقم الايداع ١٩٩٣/٧١٣٠

الترقيم الدولى 2 - 5468 - 00 - 977

(مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٩٣/٤٢/١٠٣٠)

تم الطبع
بمطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعى
المدير العام
البرنس حموده حسين
١٩٩٣/١١/٣٠